كتاب الصراط

المنسوب إلى المفضل بن عمر الجعفي

(ت ـ180هـ؟/796م؟)

تحقيق

المنصف بن عبد الجليل

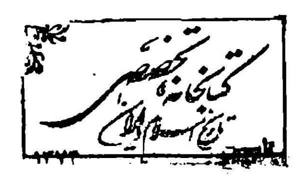


كتابُ الصِّراط

كتابُ الصِّراط

المنسوب إلى المفضل بن عمر الجعفي

(ت. 180هـ؟/ 796م؟)



تحقيق

المنصف بن عبد الجليل



دار المدار الإسلامي

الطبعة الأولى

كانون الثاني/يناير/اي النار 2005 إفرنجي

رقم الإيداع المحلي 6169/ 2004
ردمك (رقم الإيداع الدولي) ISBN 9959-29-263-0
دار الكتب الوطنية/ بنغازي ـ ليبيا

تصميم الغلاف: نقوش

دار المدار الإسلامي

أوتوستراد شاتيلا ـ الطيونة، شارع هادي نصر الله ـ بناية فرحات وحجيج، طابق 5،
خليوي: 933989 ـ 03 ـ هاتف وفاكس: 542778 ـ 1 ـ 00961 ـ بريد إلكتروني: szrekany@inco.com.lb
ص.ب. 14/6703 ـ بيروت ـ لبنان
الموقع الإلكتروني www.oeabooks.com

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية: زاوية الدهماني، السوق الأخضر، ص.ب: 13498،
هاتف: 3407010 . 21 . 00218 – 3407012 . 21 . 00218 – 3407013 . 21 . 00218 – فاكس: 3407011 . 21 . 00218
طرابلس ـ الجماهيرية العظمى ـ oeabooks@yahoo.com

التَّقديم

1

يمثّل الكتاب مجموعة من الأحاديث في التَّعريف بالصّراط وعقابه وبيان صفة خلاص المؤمن من أهل الإقرار ومصير أهل الخلف والجحود. هي أحاديث بثّها جعفر الصّادق (ت148هـ/ 765م) نفراً من خاصّته في بعض مجالسه ونقلها المفضّل بن عمر الجُعفي أحد المقرّبين عنده وعدول الثّقات على الأرجح. والكتاب شبه غيره مما نُسبت إلى المفضّل روايته. مثل كتاب «الهفت والأظلّة»[1]. خاصّة. وهو أيضاً أصل

---

(1) اختلفت صيغ عنوان الكتاب وأجمل ذلك الباحث والمؤرّخ الألماني هاينز هالم (Halm Heinz) راجع:

Das «Buch der Schatten» die Mufaddal - Tradition der Gulat und die Ursprûge des Nusairiertums, in Der Islam Band 55 - 22 (Oct. 1978), p221.

حقق الكتاب أوّلاً عارف ثامر والأب عبده خليفة. وأصدراه عن المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة 1960 في طبعة أولى، ثم سنة 1969 في طبعة ثانية، ولكن مصطفى غالب لاحظ تشويهاً في العنوان والنّص. فأعاد التّحقيق وأصدر الكتاب تحت عنوان «الهفت الشريف» عن دار الأندلس بيروت /د.ت/ راجع تقديم الطبعة الأولى:

Denis Marchand, Kitab al - Haft wa-l Azillat attribué à al - Mufaddal ibn Umar al - Ja'fi, disciple de l'Imam Ja'far as - Sadiq, in IBLA, 24ème Année (1961) ii): pp 196 - 197.

راجع أيضاً منصف بن عبد الجليل - فلسفة التناسخ عند النصيرية من خلال كتاب =

لمناظرة النّشابي على الأرجح[2]، وكذا الأمر في بعض ما حوى، مجموع الأعياد، لأبي سعيد ميمون بن القاسم الطّبراني (ت. بعد 426هـ/ بعد 1034م)[3] فأجمع أهل الاختصاص ـ لهذا ـ على أنَّ الكتاب أصل نصيريّ.

ولم يحظ الكتاب ـ فيما نعلم ـ بدراسة مفردة، على أهميته، وإن أشارت إليه بعض الأعمال الببليوغرافية والدّراسات في مقالات الغلاة[4]. فرأينا من المفيد تحقيقه، والتّقديم له بدراسة فيها التّعريف بالرّاوي، على قلّة أخباره في كتب الرّجال وتضاربها، وتحليل المتن، ووصف المخطوطة الوحيدة التي اعتمدناها. وإنّما غرضنا أن نسهم في التّعريف بالمقالة النّصيريّة نشأة وأصولاً ورؤية.

2
المفضّل بن عمر الجعفي
(ت. 180هـ؟/ 796م؟)

لم تسهب كتب الرّجال في نسبه. ولم يعرف بغير هذا الاسم الذي أثبتنا. ويكنى بأبي عبد الله، وهو الصحيح، حسب الخصيبي[5]. وقد يكون الإمام الصادق كنّاه بأبي الخيرات أيّام كان منقطعاً إليه. نشأ بالكوفة، وأدرك جعفر الصّادق، وصحبه، وكان سفيره ووكيله[6]. ثمّ لزم

= «الهفت الشريف» للمفضّل الجعفي في إيلا السنة 52. العدد 163 (1989 ـ 1) ص ص 107 ـ 127؛ العدد 164 (1989 ـ 2) ص ص 303 ـ 318.

(2) راجع مخطوط باريس عدد 1450 ورقة 67/ب. . .

(3) راجع مثلاً مجموع الأعياد تحقيق شطروطمان، في Der Islam المجلد 27 ـ 2 (1943 ـ 1944) ص 111.

(4) راجع H. Halm; Das Buch, p196

(5) راجع الهداية الكبرى ط، مخطوطة غير مرقمة الصفحات، مكتبة مرعشي قم عدد 2973 ـ 127 سطر 1 و2.

(6) راجع المامقاني، تنقيح المقال في علم الرّجال. النجف 1350هـ، ج3، ص 242.

ابنه موسى الكاظم (ت. 183هـ/ 799م)، وكان بابه[7].

والظّاهر أنّ صحبته للأئمة الشّيعة قد وسّعت روايته عنهم، وألزمته رفقتهم حيثما نزلوا، علناً أو سراً مثلما ألزمته السّفارة عنهم إلى الإخوان والأتباع بحواضر فارس مما يلي العراق خاصة. ولم يكن هذا أمراً مباحاً وشأناً يسيراً أيّامها، فقد أدرك المفضّل دعوة آل العباس وخروج آل البيت منها بلا أثر غير التّنكيل والاستئصال. وشهد ما أصاب الإمام جعفر الصادق من المنصور (137 ـ 159هـ/ 754 ـ 775م)[8] وإيذاء داود بن علي[9] له بالمدينة[10] حتّى طلب رأسه إن لم يطع نفر عسكره. ولم يكن أمر موسى بن جعفر مع المهدي (158 ـ 169هـ/ 775 ـ 785م) والرَّشيد (170 ـ 193هـ/ 786 ـ 809م) وغيرهما خفيّاً. وكانت تلك المعاملة تلهب حماس الأتباع فيركبون ـ أحياناً ـ شيئاً من الغلوّ في حبّ آل البيت وتعظيم الأئمة، وإلى ذلك مال طرف غير قليل من الشّيعة بالكوفة مثلاً. فظهرت حركات كثيرة ذهبت في مقالاتها مذاهب شتّى[11] لعلّ من أهمّها فرقة الخطابية التي تعنينا في هذا المقام لترجيح بعض الأخبار أن يكون المفضّل بن عمر على رأيها، خلفاً لابن أبي زينب في الدّين والاعتقاد[12].

---

(7) راجع أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين، اللاذقية 1924 ص 193.

(8) راجع المجلسي، بحار الأنوار، ط3 بيروت 1983 ج47. ص ص 162 ـ 212.

(9) هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس ولي المدينة ومكة واليمامة واليمن سنة 132هـ وتوفي بالمدينة سنة 133هـ.

(10) راجع المجلسي، المصدر المذكور ج47 ص ص 66 ـ 67، عدد 9.

(11) راجع محمد جابر عبد العال. حركات الشيعة المتطرّفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق إبان العصر العباسي الأول. القاهرة 1954، ص 16 ـ 99، وكذلك. .
H. Halm. Die Schia, Darmastadt, 1988, PP.186.

(12) حول الخطابية، راجع مثلاً B Lewis. The origins of Ismailism. Cambridge 1940 pp. 32 - 37, 32, 37 Halm. Die Islamische Gnosis, Munchen, 1982. PP.199 - 217.

وإذن تضاربت الأخبار في حال المفضّل تعديلاً وجرحاً لأنه راوية ومحدّث عن الأئمة بالأساس. فظهرت شخصيته مدخلاً مفيداً إلى دراسة مقالات المتجادلين. وبالفعل يمكن التعريف بالمفضّل من خلال روايتين فيه: أولاهما الرّواية الإمامية، والثانية الرّواية الغالية بالاعتماد على الرّواية النّصيرية خاصّة.

أولاً: الرّواية الإماميّة

تعتبر الترجمة التي خصّ بها المامقاني (ت. بعد 1016هـ/ 1607م) المفضَّل بن عمر الجعفي أشمل تعريف بالرجل. ظهر في أصول الإماميّة فيما نعلم. والسبب أن صاحب التنقيح قد اشتغل بجميع ما قيل في المفضّل من الأخبار واجتهد في نقدها وتقليبها حتى إذا فرغ انتصر للمفضّل وعدّله ووثّق خبره وروايته، وردّ على كلّ طاعن فيه. والمظنون أن مقال المامقاني صورة صادقة جامعة لأخبار المفضّل ومذاهب النّاس فيه، مثلما هو رأي ممثّل لمقالة الإمامية المتأخرة في المفضّل ذاته. والحصيلة أن أتباع الإماميّة قد ذهبوا في المفضّل إلى مقالتين: عدّله فريق، وضعّفه غيره.

أمّا أخبار أهل التّوثيق فتعود إلى أربعة أقسام:

أ ـ ما جاء في أمانة المفضّل وتلك علامة الوكالة والصّدق.

ب ـ ما جاء في الشهادة له بالعلم والفقه.

ج ـ ما جاء في حسن رفقته للإمام ورحمته به.

د ـ ما جاء في شهادة الأئمة فيه بعد وفاته.

ففي أمانته ذكر الكشّي (ت. ق. IV هـ/ X م) في رجاله أنَّ علي بن محمد قال: حدّثني سلمة بن الخطّاب عن علي بن حسّان عن موسى بن بكر

قال: كنت في خدمة أبي الحسن (ع) ولربّما رأيت الرجل يجيء بالشيء فلا يقبله منه ويقول: أوصله إلى المفضّل[13]، وفي هذا الاستئمان إشارة إلى أنّه باب علي الرّضا. وفي ما رواه الكليني (ت. 329هـ/ 950م) عن إصلاح المفضّل بين أبي حنيفة سائق الحاج وختنه حين تشاجرا في ميراث تأكيد أمانته أيضاً[14].

ويروي أهل التوثيق في **علم الرّجل وفقهه** ما حكاه نصر بن الصّباح عن ابن أبي عميرة بإسناده «أن الشيعة ـ حين أحدث أبو الخطّاب ما أحدث ـ خرجوا إلى أبي عبد الله (ع) فقالوا: أقِمْ لنا رجلاً نفزع إليه في أمر ديننا وما نحتاج إليه من الأحكام. قال: لا تحتاجون إلى ذلك، متى ما احتاج أحدكم عرج إليّ وسمع منّي، وينصرف. فقالوا: لا بدّ. فقال: قد أقمتُ عليكم المفضّل، اسمعوا منه واقبلوا عنه، فإنّه لا يقول على الله وعليّ إلاّ الحقّ. فلم يأت عليه كثير شيء حتّى شنّعوا عليه وعلى أصحابه. وقالوا: «أصحابه لا يصلّون، ويشربون النّبيذ، وهم أصحاب الحمام، ويقطعون الطريق، والمفضّل يُقرّبهم ويدنيهم»[15].

ويشهد الشيخ المفيد (ت. 413هـ/ 1022م) في الإرشاد أنَّ «من شيوخ أصحاب أبي عبد الله (ع) وخاصّته وبطانته وثقات الفقهاء الصَّالحين رحمة الله عليهم المفضّل بن عمر الجعفي ومعاذ بن كثير وعبد الرّحمان بن الحجّاج ويعقوب بن السّرّاج»[16].

---

(13) راجع رجال الكشي، ص 276.

(14) راجع المامقاني، تنقيح، ج3/ ص 238.

(15) رجال الكشي ص 277.

(16) راجع الإرشاد، ص 288، معاذ بن كثير الكساني الكوفي، من أصحاب الإمام الصادق، المامقاني. عدد 11883، عبد الرحمان بن الحجاج البجلي، من أصحاب الصادق. مولى كوفي وراوية ثقة. المامقاني، عدد 635، يعقوب بن السرّاج، من شيوخ أصحاب الصادق. كوفي. المامقاني عدد 13277.

ويذكر أهل الأخبار أنّ المفضّل كان حسن المعاشرة للإمام، لطيف الموافقة، رحيما. حتى قال فيه أبو الحسن الأوّل: «يا محمّد، إنَّ المفضل كان أنسي ومستراحي»[17]. وفي خبر إشفاق المفضل على أبي الحسن حجَّة على وثاقته في نظر أهل التّعديل فإذا كانت هذه حال المفضّل في الصّحبة[18] لم يظهر على خبر بشير الدّهان (راوية من أصحاب الكاظم) مطعن: «محمد بن مسعود عن إسحاق بن محمد البصري، قال أخبرنا محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن بشير الدّهّان، قال: قال أبو عبد الله (ع) لمحمّد بن كثير الثقفي: «ما تقول في المفضّل بن عمر؟ قال: ما عسيت أن أقول فيه، لو رأيت في عنقه صليباً وفي وسطه كسحاً لعلمت[19] أنه على الحق بعدما سمعتُك تقول فيه ما تقول. قال رحمه الله: لكن حُجر بن زائدة وعامر بن جُذاعة أتياني فشتماه عندي. فقلت لهما: لا تفعلا. فإنّي أهواه. . الخبر»[20]. بل إنَّ أبا الحسن قال حين علم بموت المفضّل - في ما يروي موسى بن بكر - : «رحمه الله كان الوالد بعد الوالد». وبهذا انتصر المامقاني في توثيق المفضّل[21].

والظاهر - في الختام - أنّ جلّ شيوخ الطائفة يوثّقونه ويروون عنه. مثل الصّدوق (ت. 381هـ/ 991م) والمفيد والطوسي (ت. 460هـ/ 1067م) والكليني (ت. 329هـ/ 940م). وقد اقتفى أثرهم بعض المقدّمين في علم الطّائفة وأخبار أعيانها من اللاّحقين كالمجلسي في بحار الأنوار[22].

---

(17) راجع المامقاني. تنقيح المقال، ج3/ ص 238.
(18) راجع الكشي، المصدر المذكور، ص 278، القهباني، مجمع الرّجال، ج6/ ص 129.
(19) في الأصل: «عملت» وهو تصحيف.
(20) راجع القهباني، المرجع المذكور، ج6 ص 124.
(21) راجع المامقاني، تنقيح المقال، ج3 ص 239.
(22) راجع البحار ج74 ص 279، ج78، ص 380 - 383، وخاصة كتاب توحيد المفضّل، في ج3 ص ص 57 - 151. خبر الاهليلجة ج3، ص ص 152 - 198.

ولكنّ في كتب رجال الشيعة الإماميّة أخباراً **تضعف المفضّل وتطعن في روايته عن الأئمة**، وتجتمع حجَّة أهل الجرح من أهل العلم بالرّجال والأخبار في أصل واحد هو الغلو في الإمام.

يمكن جمع حجّة الطّاعنين في أربعة أخبار، تعدّ الثلاثة الأولى تفصيليّة، والخبر الرابع إجمالاً لموقف المضعّفين.

الخبر الأول[23]:

وهو ما جاء في مخالطة المفضّل للشطّار والحمقى وأصحاب الحمام[24]. والظّاهر أنّ الغاية من الخبر الطّعن في أخلاق الرّجل وسيرته، وأنّه غير خليق ولا حقيق بصحبة الإمام، ولا يجوز، من ثمّ، أن يحدّث في الدّين عنه، لهذا السبب حرص المنتصرون وأهل التوثيق على أن يحملوا الأمر على التّقيّة.

والواقع أنّ ذلك الصّنف من العامة الذي أوخذ المفضّل على مخالطته هو التربة التي نبتت فيها بذرة الغلوّ، وبهذا الصّنف ستقوى حركات أصحاب المقالة الغريبة المفرطة في تقدير الإمام والبابيّة. فالحديث عن سواد العامَّة، في مقالة الطّاعنين، مدخل إلى ردّ الغلوّ الذي تنكره الإماميّة إنكاراً قاطعاً.

الخبر الثاني:

«حدّثني الحسين بن الحسين بن بندار القمّي. قال: حدّثني سعد بن عبد الله بن أبي خلف القمّي قال: حدّثني محمّد بن أبي الخطّاب

(23) اخترنا هذه الأخبار الأربعة رغم ورود أحد عشر خبراً في تنقيح المقال. ج3/ ص ص 240 ـ 242)، ولم ترد الأخبار التي أوردناها مرتّبة في المصادر، وإنّما هذا الوضع من عملنا لغاية تحليل روح الخبر وموقف الطاعن وشخصيّة المفضّل.

(24) راجع الكشي، ص 276.

والحسين بن موسى عن صفوان بن يحيى عن عبد الملك بن مسكان قال: دخل حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة الأزدي على أبي عبد الله (ع) فقالا له: جُعلنا فداك، إنَّ المفضّل بن عمر يقول: إنّكم تقدّرون أرزاق العباد. فقال: والله ما يقدّر أرزاقنا إلا الله، ولقد احتجت إلى الطعام لعيالي. فضاق صدري وأبلغت الفكرة في ذلك حتّى أحرزت قوتهم، فعندها طابت نفسي.. لعنه الله، وبرىء منه. قالا: أفتلعنه وتتبرّأ منه؟ قال: نعم، فالعناه، وابرآ منه، برىء الله ورسوله منه»[25].

ويضاف إلى هذا الخبر ما بيّنه: «قال الكشّي: وذكرت الطيّارة[26] الغالية في بعض كتبها عن المفضّل أنّه قال: لقد قتل مع أبي إسماعيل ـ يعني أبا الخطّاب ـ سبعون نبيّاً كلّهم رأى وهلك نبيّنا فيه؛ وأنّ المفضّل قال: دخلنا على أبي عبد الله (ع) ونحن اثنا عشر رجلاً قال: فجعل أبو عبد الله (ع) يسلّم على رجل رجل منّا، ويسمّي كلّ رجل منّا باسم نبيّ وقال لبعضنا: السّلام عليك يا نوح. وقال لبعضنا السّلام عليك يا إبراهيم. وكان آخر من يسلّم عليه. وقال: السّلام عليك يا يونس. ثمّ قال: لا تخاير بين الأنبياء»[27] وبذا يتجلى أنَّ حجّة أهل التّضعيف هي ما نسب إلى المفضّل من مقالة في الإمام. والظّاهر من الخبر الّذي رواه ابن مسكان القول بتأليه الإمام إلى حدّ الإقرار بتقديره للرزق، بل الأظهر هو

---

(25) راجع الكشي، ص 274.

(26) يطلق المصطلح على أهل الارتفاع والغلوّ في المقالة، جاء في رجال الكشي: وجدت بخطّ أبي عبد الله الشاذاني إني سمعت العاصمي يقول: «إنَّ عبد الله بن محمد بن عيسى الأسدي الملقّب ببنان قال: كنت مع صفوان بن يحيى بالكوفة في منزل إذ دخل علينا محمد بن سنان فقال صفوان: هذا ابن سنان لقد همّ أن يطير غير مرّة فقصصناه حتى ثبت معنا..» راجع رجال الكشي، قدّم له وعلّق عليه ووضع فهارسه السيّد أحمد الحسيني، كربلاء /د.ت/ ص 428.

(27) راجع المصدر السابق ص 275.

القول بألوهية جعفر الصّادق عيناً، وتلك مقالة الخطابية أوّل نشأتها[28].

أمّا الخبر الثاني في مقالة المفضّل - إن صحت نسبتها إليه - فيناسب تطوّر مقالة الخطابيّة عندما رأت في أبي الخطّاب نبيّاً، ثم إلهاً، ويظهر في الخبر أيضاً القول بالتّناسخ حين اعْتُبر الإثنا عشر رجلاً مجرد هياكل للأنبياء السّابقين.

ويسوق الكشّي خبراً ثالثاً: «قال أبو عمر الكشّي: قال يحيى بن عبد الحميد الحماني في كتابه المؤلّف في إثبات إمامة أمير المؤمنين (ع): قلت لشريك: إنَّ أقواماً يزعمون أنّ جعفر بن محمّد ضعيف الحديث. فقال: أخبرك القصّة. كان جعفر بن محمد رجلاً صالحاً مسلماً ورعاً، فاكتنفه قوم جهّال يدخلون عليه ويخرجون من عنده، ويقولون: حدّثنا جعفر بن محمد ويحدّثون بأحاديث كلّها منكرات، كذب، موضوعة على جعفر ليستأكلوا الناس بذلك ويأخذوا منهم الدّراهم، فكانوا يأتون من ذلك بكلّ منكر، وسمعت العوام بذلك منهم، فمنهم من هلك، ومنهم من أنكر، وهؤلاء مثل المفضّل بن عمر وبنان وعمرو النّبطي[29] وغيرهم. وذكروا أنّ جعفراً حدّثهم أنَّ معرفة الإمام تكفي من الصّوم والصّلاة. وحدّثهم عن أبيه عن جدّه وأنه حدّثهم قبل يوم القيامة؛ وأنّ علياً (ع) في السّحاب يطير مع الرّيح، وأنه كان يتكلّم بعد الموت، وأنه كان يتكلّم على المغتسل، وأنّ إله السّماء وإله الأرض الإمام. فجعلوا لله شريكاً، جهّال ضلاّل. والله ما قال جعفر شيئاً من هذا قطّ؛ كان جعفر أتقى لله وأورع من ذلك. فسمع النّاسُ ذلك فضعّفوه. ولو رأيت جعفراً لعلمت أنّه واحد النّاس»[30].

---

(28) راجع المصدر نفسه ص 274.

(29) بُنَان التّبان صحب علي بن حسين. غال. المامقاني عدد 1435، عمرو النبطي راوية اتهم بوضع الحديث على جعفر بن محمد، المامقاني عدد 8776.

(30) راجع الكشي. ص 275.

ويتجلّى من الأحاديث السّابقة أوفر ما نسب إلى الخطابية من المقالات، وهي التي ستكون للنصيرية أسّاً وملهماً، إذا أمكن ترجيح ما بين المفضّل وأبي الخطّاب من الاتّصال.

أبو الخطّاب هو محمّد بن مقلاص أبي زينب الأسدي الكوفي الأجدع الزرّاد البزّاز ويكنّى تارة بأبي الخطّاب وتارة أخرى بأبي الظبيان، وتارة ثالثة بأبي إسماعيل[31]. صحب على الأرجح محمّد الباقر، أبا جعفر (ت. 114هـ/ 732م) ثم ابنه جعفر الصّادق (ت. 148هـ/ 765م) إذ يروي النّوبختي (ت. بعد 317هـ/ 929م؟) أنّ أبا الخطّاب كان «يدّعي أنّ أبا عبد الله جعفر الصّادق بن محمّد عليهما السّلام جعله قيّمه ووصيّه من بعده»[32] وإذا كانت قضية الاختلاف بين أبي الخطّاب والإمام السادس حادثة أيّام الإمام لا بعده أصلاً، وأنّها تخصّ الوكالة حتّى كان انتصار أبي الخطّاب إلى إمامة إسماعيل لا موسى[33]، بطل أن يكون هذا الرأس الغالي باباً لموسى الكاظم كما ظنّ الطّويل في تاريخه[34]، لأن أبا الخطّاب قد صلبه عيسى بن موسى (ت. 167هـ/ 783م) الوالي، بسبخة الكوفة، ولمّا يتوفّ أبو عبد الله.

ينتمي المفضل بن عمر الجعفي وأبو الخطّاب إلى خاصّة أبي عبد الله ونخبة المحدّثين عنه، مثلما ينتميان إلى المحيط الكوفي؛ وليس مستبعداً أن تكون «**المفضّليّة**» إحدى الفرق الخطابيّة بعد ابن أبي زينب،

---

(31) راجع النّوبختي، فرق الشّيعة. تحقيق هبة الدّين الشّهرستاني، النّجف / د.ت/ ص 42. الهامش عدد أ. ويبدو ماسينيون طريفاً في حمل كنية أبي إسماعيل على أن أبا الخطاب هو الوالد الرّوحي لإسماعيل بن جعفر الصّادق، راجع سلمان ص 19.

(32) راجع النّوبختي، فرق الشيعة، ص 42.

(33) راجع Lewis, The origins, P.42

(34) راجع أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين، ص 193.

وإن نسبها البعض إلى المفضّل الصيرفي[35]، وذلك لسببين ظاهرين على الأقلّ: أوّلهما، التّقارب إلى حدّ التّماثل أحياناً بين ما سار عن أبي الخطّاب والفرق من بعده. وما نسب إلى المفضّل مثل «الهفت والأظلّة» خاصة. وثانيهما، ما طعن به الإماميّة على المفضّل من العقائد.

لعلَّ أبا الخطّاب قد استتبع المفضّل الجعفي على مقالته: ولعلّ المفضّل كان شبه ابن بكير الرّجاني الذي بكى في مجلس أبي عبد الله على أتباع أبي الخطّاب حين صلبوا، بكاء أتباع عليّ على أهل النّهروان[36]. والمظنون أنَّ المفضّل قد حمل شيئاً من عقيدة أبي الخطّاب، ولو إلى حين، ثم مال ـ كما مال أبو الخطّاب ـ إلى القول بإمامة إسماعيل دون موسى، وأصرّ على ذلك بعد صلب أبي الخطّاب تماماً كأتباع الفرقة. ولكنّه لمّا اشتدّ تتبّع الوالي لحركة الخطّابيّة. وتألّب أصحاب جعفر الصّادق على من خالفه أو تجاوز فيه الحدّ، رجع المفضّل ابن عمر إلى أبي عبد الله. من هنا كان للخبر الثالث معنى.

الخبر الثالث:

«جبرئيل بن محمد قال: حدّثني محمد بن عيسى عن يونس بن حمّاد قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول للمفضّل بن عمر الجعفي: يا كافر. يا مشرك. ما لك ولابني إسماعيل بن جعفر، وكان منقطعاً إليه، يقول فيه مع الخطّابيّة، ثمّ رجع بعده»[37] ويعني الصّادقُ بالكفر والشرك مقالة أتباع أبي الخطّاب في الإمام. ويقصد بالاستفهام والاستنكار مقالتهم

(35) راجع الأشعري، مقالات الإسلاميين، تحقيق ريتر، فيسبادن 1980، ص 13، الشهرستاني الملل والنّحل ج1 ص 72 ـ 77. I. Friedlander, The Heterodoxies of the Shi'ites in the Presentation of it ibn Hazm, in J.A.O.S. Vol. 39 (1909). p96.

(36) راجع الكشي، رجال، ص 249.

(37) المصدر السّابق، ص 272.

في إمامة إسماعيل، وفيها تشارك الاسماعيلية[38].

وعندئذ يتجلّى أنّ التّهمة الأساسيّة الّتي طعن بها المضعّفون على المفضّل هي انقطاعه إلى الخطابيّة؛ وإذا رجح هذا عند أعيان الإماميّة، وجب عليهم الامتناع عن الأخذ بروايته، وهو «المشرك». يحمل هذا الموقف القهباني (ت. بعد 1016هـ/ 1607م) وغيره.

الخبر الرابع:

روى القهباني عن النّجاشي: «مفضّل بن عمر أبو عبد الله، وقيل أبو أحمد الجعفي فاسد المذهب، مضطرب الرّواية، لا يعبأ به (...) قد ذكرت له مصنّفات لا يعوّل عليها»[39]. وكذا قال ابن الغضائري فيما ذكر القهباني في رجاله[40].

والنّتيجة من أقوال الإماميّة في المفضّل بن عمر الجعفي أنّ الرجل كان صاحب أبي عبد الله ووكيله تماماً كأبي الخطاب، ولكن هذا أسبق عهداً وأوثق درجة، ثمّ إنّه كان كوفي الدّار والمقام. حيث كان الغلوّ في تقدير الإمام والارتفاع به شأناً معهوداً ولازماً، ردّاً على استقطاب السّلطة العبّاسية، في ذلك الظّرف، للشرعية السّياسيّة والنفوذ الدّيني ـ الفقهي. والمفضّل عدل ثقة ـ حسب فريق من الإمامية ـ لأنَّ أبا عبد الله استنجبه وقرّبه بل وكّله، وكذا فعل موسى، والإمام من بعده، فلا مناص عندئذ من توثيق الرّجل.

ولكنّه مع ذلك، شارك الخطّابيّة في مقالتها، وذهب مذهبها في

---

(38) نخالف هنا ما ذهب إليه المامقاني في تنقيحه، ج3، ص241، حين قال: «... فإنه لا مناسبة بين القول بإمامة إسماعيل وبين الخطابيّة».

(39) راجع القهباني، مجمّع الرّحال، ج6، ص 131.

(40) المصدر السابق.

الارتفاع، فرأت فيه جماعة من الإماميّة غالياً، فاسد الحال والرّواية، متهافتاً، وعند هذا الحدّ تمثّل محاولة المامقاني في التّقريب بين القولين حرصاً على توثيق أوائل الشيعة ورجال الطّائفة[41] واستقراء لاحقاً لظاهرة الغلوّ[42]. يقرّر المامقاني في غير ما تردّد: «فالرجل عندي من عِظم الشأن وجلالة القدر بمكان»[43]. وأنّه سلخ عن دعوة ابن مقلاص الأسدي، واستقام: ثم «إنّ استقامة الرّجل حيناً قبل موته كاف [هكذا] في العمل بأخباره، لأن سكوته بعد الاستقامة وعدم إخباره باشتمال أخبار زمان انحرافه عن قادح فيها يكشف عن سلامتها عن القدح، وإلاّ لكان السلوك تدليساً يحاشى عنه العدل الأمين»[44]. ومهما اجتهدت الطيّارة في نسبة المقالات إلى المفضّل، فإنّما غرضها ـ حسب المامقاني أيضاً ـ تقوية مذهبها، «بإدخال اسم جليل في جماعتهم»[45]. وتذهب بعض النصوص الإماميّة شوطاً بعيداً في توثيق الرّجل وإجلاله بخبر ترويه عن أبي عبد الله يأمر فيه المفضّل بالكتابة عنه وبثّ العلم حتى ليضحي المفضل، هذا الراوي، فضلاً عن الفقيه الثبت، خزينة العلم ومحلّه بعد الإمام: «قال أبو عبد الله (ع) اكتب وبثّ علمك في إخوانك. فإن متّ فأورث كتبك بنيك»[46]. وللحديث غايتان: بيان وثاقة الرّجل وحجّة مروياته: ثمّ الإقرار بأنّ المفضّل روى عن الإمام مباشرة إما بالسّماع أو الكتابة كما يبدو في الإهليلجة[47].

ولمّا أضحت له هذه المكانة في الصّلة والرّواية، أمكن أن نفهم

---

(41) نقصد خاصة من وثّق المفضّل من شيوخ الطّائفة البارزين كالطوسي في غيبته، ص210 والشيخ المفيد في الإرشاد ص 288.

(42) راجع المامقاني، تنقيح المقال، ج3 ص 240.

(43) المصدر السّابق، ج3، 242.

(44) المصدر السابق، ج3، ص 240.

(45) المصدر السابق، ج3، ص 241.

(46) المصدر السابق، ج3، ص 242.

(47) راجع المجلسي، بحار الأنوار ج3، ص 152 ـ 198.

إقبال الشّيعة بالتّداول والتّدوين على الوصيّة التي تنسب إليه. والرّواة عنه ـ حسب الأصول الإماميّة ـ كثر أجمل المامقاني ذكرهم في خاتمة التّرجمة للمفضّل[48]، وهم الزّبيري، ومحمّد بن سنان، وابن أبي شعيب المحاملي، وأبو حنيفة سائق الحاج، وعليّ بن الحكم، ومنصور بن يونس، وخلف بن حمّاد، وبكّار بن كردم، وجعفر بن بشير، وابن رباط، وزرعة بن محمد، وعبد الرّحمان بن سالم الأشلّ، ورشيد والد سليمان، والقندي، وعبد الله بن حمّاد الأنصاري، ويونس بن عبد الرحمان، ويونس بن ظبيان، وأبو سعيد الخيبري، وعبد الله بن القاسم، ومحمد بن مساور، وإبراهيم بن خلف بن عبّاد الأنماطي، وعبد الرحمان بن كثير، والمفضّل بن زائدة، وعمر بن أبّان، وعيسى بن سليمان النحّاس، والمنذر بن بريد، وعثمان بن سليمان النّحاس، وعبد الله بن الفضل، وعليّ الصّيرفي، وعبد الله بن يونس السبيعي، وعثمان بن عيسى، وبشير بن جعفر، وموسى الصّيقل، وعبد الله الفلا، وهشام الخراساني، ومعلّى ابن خنيس، وعبد الكريم أو الحسين بن محمد بن عبد الكريم.

وليس هؤلاء طبقة واحدة في العدالة، فقد ضعّف المامقاني الكثير منهم، واعتبر غير أولئك مجاهيل، مثل علي الصّيرفي، ومحمّد بن سنان، ومحمّد بن مساور، والمنذر بن يزيد بن ظبيان الكوفي... والسّبب أنهم رأوا رأي الغلاة وذهبوا مذهبهم.

والمهمّ أنّ الرّواية الإماميّة قد جنحت لاحقاً إلى تعديل المفضّل بأن برّأته من الخطابيّة، وأهملت أن يكون راوياً عن ابن أبي زينب، في حين وثّقت صلته بالأئمة، وعندئذ تظهر المقالات الغالية المنسوبة إلى رواية المفضّل عن الأئمة من الملاحيق الموضوعة؛ ولا يخفى ما في هذا التّقدير

(48) المامقاني، تنقيح المقال، ج3، ص242.

من الأهواء المذهبيّة الرّامية إلى إنكار الحركات الغالية إنكاراً قاطعاً.

ثانياً: الرّواية الغالية: النصيريّة أنموذجا.

يمكن جمع شتيت الأخبار التي تمثّل الرّواية الغالية من خلال صنفين من المصادر، أوّلهما، مرويات المفضّل نفسه، مثل كتاب «الهفت الشريف»، و«كتاب الصّراط»، وفيها إشارات إلى صدقه وأمانته، وتأكيد من الإمام أنّه ثقة منتجب، وثانيهما: الرّسائل النّصيريّة وكتبها في أخبار الأئمّة والأبواب، وذلك مثل ما جاء في كتاب «الهداية الكبرى» للخصيبي (ت. 346هـ؟/ 957م؟)، وهو المعتمد عندنا هنا.

1 ـ في بابية المفضّل وإمامته.

تتعمّد بعض الأخبار الوصل بين البابيّة والإمامة في التّعريف بالمفضّل. ولا شكّ أنّه يقصد بالإمامة ـ هنا ـ معنى دقيق خاصّ، هو تقدّم العامّة في العلم والفقه، حتّى يضحي هذا الصاحب للإمام الباب الذي منه يبلغ العلم إلى الناس، والمفضّل في «الهداية الكبرى»، أحد الأئمة ـ الأبواب الاثني عشر: «فأوّلهم سلمان الفارسي، وقيس بن ورقة، وهو سفينة، ورشيد الهجري، وأبو خالد عبد الله بن غالب الكابلي، ويحيى بن معمر أم الطويل اليماني، وجابر بن زيد الجعفي، وابن أبي زينب الكاهلي [وليس «أبي زينب» كما ورد في الأصل، لأنّ المقصود أبو الخطاب] والمفضّل بن عمر الجعفي، ومحمّد بن الفضل، وعمر بن الفرات، ومحمّد بن نصير بن بكر النّميري»[49]، وبهذا التّصوّر تتأسّس سلطتان معرفيتان، سلطة الإمام بالنّسل وتوارث العلم، أوّلاً، ثمّ سلطة الباب أو شبه الإمام، بالاصطفاء والاختصاص، ثانياً. ومن هنا تتّضح مهمّة الباب

(49) راجع الخصيبي. الهداية الكبرى، نسخة مخطوطة، مكتبة مرعشي، قم، ورقة 117/أ.

في الدّعوة، ونشر الدّين، وخدمة الإمام، وهو ما لا يبلغه إلاّ أهل الخاصّة والثقات العدول، كذا تقول الأصول النّصيرية في المفضّل:

«فاعلم، يا مفضّل، أنّ الله جعل الأبواب مفاتيح للخير، وجعلك أحدها، إذ خصّك بالسؤال عن الحكمة باستنباطك لتناهي العظمة (. . .) وعليك بيان ما ألقيه إليك وأكشفه لك لتكشفه وتلقيه إلى أهل عقاب الصّراط الذين لا يرتقي المرتقي إليهم إلاّ بمقدار علمه وعمله واجتهاده»[50]. في هذا الحدّ بالذّات يقترن الباب بالإمام لاتّحاد الوظيفتين: إذ المسلّم به عند أهل التشيّع أن الإمام هو الصّراط إلى النجاة والباب إلى الخلاص؛ وكذا يبدو المفضّل بصفته الحجّة النّاطقة عن الإمام، وإذا هو في النّهاية «سبب العقاب ومقصدها، وإليه تناهي بلوغها»[51]؛ وإذ كانت هيئة المفضّل هذه، جاز أن تكون حاله كحال الإمام في الكرامات المعجزة، وهو ما يظهر في فضل المفضّل.

2 ـ في بيان فضل المفضّل بن عمر.

يروي الخصيبي خبراً يرفعه إلى يونس بن ظبيان في شيء من آيات المفضّل الباهرة، وتذكّر هذه الكرامات بمعجزات الأئمة، وأخبارهم المحيّرة، إقناعاً لأهل الشكّ وتثبيتاً لهم على الإقرار بإمامتهم والولاية لهم: «الحسين بن حمدان عن محمّد بن عبد الله بن مهران عن محمّد بن صدقة عن محمّد بن سنان عن يونس بن ظبيان، قالوا: كنّا نحدّث عن المفضّل حتّى مضى من اللّيل جزء. فأمسينا عنده وكانت ليلة ظلماء ما نبصر أكفّنا. فلمّا خرجنا من عنده، لاح لنا كفّه، فلمعت أصابعه كأنه برق، فلم نزل نمشي في ضوء لها حتّى دخلنا منازلنا»[52] ويناسب هذا

(50) راجع كتاب الصّراط، الفقرة 18.

(51) راجع المصدر السابق، الفقرة 19.

(52) الهداية الكبرى، ورقة 127/أ.

التّصوّر قول الإمام الرّضا (ت. 202هـ/ 818م) في المفضّل: «... وهو باب الله في أرضه، والصّباح للمؤمنين في الظّلمات»، وإن كان يعني المجاز لا الحقيقة. ويروي الخصيبي في هدايته غير هذا، عن يونس بن ظبيان أيضاً قال: «دخلت على المفضّل بن عمر وهو جالس في عليّ بيت على سطح، مشرفاً على صحن الدّار. فقلت له: يا مفضّل الله ورحمته، لو أنعمت عليّ بمعاينة ما فضّلك الله به، حتّى أخرج به إلى الشّيعة فيزدادوا إيماناً ويقيناً، فضرب بيده إلى حصير بجانبه أبيض بلا نقش وخطّ، فبسطه في الهواء وصعد عليه، وصلّى ركعتين، ثمّ رجع إلى موضعه، فجلس وأخذ هذا الحصير فدرجه، وجعله بجانبه»[53] فالجديد في الرّواية النّصيريّة أنها تثبت خلافة المفضّل لأبي الخطّاب[54].

هل روى المفضّل عن أبي الخطّاب؟ نرجّح ذلك. ولكنّنا لم نظفر بنصّ أو مرويّ واحد يثبت ترجيحنا! والسّبب ـ في ظنّنا ـ أنّ الرواية النّصيرية والغالية تعتبر المفضّل بن عمر أصلاً، لأنه الباب إلى الإمام وصاحبه اللازم. والأصل أو الوكيل لا يحدّث عن غير الإمام في العادة، أما الرّواية الإماميّة فقد أنكرت كلّ صلة كانت للمفضّل بأبي الخطّاب، لشبهة الخطّابيّة وصحّة لعن الصادق لأصحابها ورؤسائها، ولم تهمل الرّواية النّصيرية هذه القضيّة الشائكة: لعن الصّادق لأبي الخطّاب، فحملت ذلك على التّقيّة[55].

يتجلّى في الختام أنّ كلاً من الرّوايتين، الإماميّة والنّصيريّة، قد أخبرت عن المفضّل بن عمر بمقالتها المذهبيّة. والظّاهر أنّهما افترقتا في جانبين هامّين: أوّلهما: القول في الباب الإمام، وهو بينهما بين التّقصير

(53) راجع الخصيبي، الهداية الكبرى، ورقة 126/ أ.

(54) المصدر السابق، ورقة 125/ ب.

(55) راجع الهامش 52.

والارتفاع. وثانيهما: صلة المفضّل بأبي الخطّاب، وهو بينهما بين الإنكار والإثبات.

وعلى الرغم من هذا التّباين الأساسي، يمكن أن نذهب إلى الاستنتاجات التالية في الترجمة للمفضّل.

* كان المفضّل بن عمر أحد المنتجبين المقدّمين عند جعفر الصادق، وأحد وجوه الحلقة التي يختلف إليها أبو الخطّاب أو ينتمي، وتجتمع عند الإمام السّادس[56].

* يرجّح أنّ المفضّل بن عمر قد خلف أبا الخطّاب عندما صلب بسبخة الكوفة، والمظنون أنّ أبا الخطّاب لم يقل ما قاله بالتّمام أصحابه من بعده. بل إنَّ ما أثبتته كتب الفرق منسوباً إلى الخطّابية، مقالة متطوّرة عن الأصل بسبب تتبّع الوالي للفرقة، وظهور الجدل بينها وبين الفرق الشّيعية الأخرى، وخاصّة منها الموسويّة وغيرها ممّا ستؤلّف الرؤية الإماميّة الاثني عشريّة لاحقاً.

* نظنّ أنّ المفضّل قد مال إلى مقالة أبي الخطّاب في الإقرار بإمامة إسماعيل بن جعفر الصّادق. وفي «الكافي» و«رجال الكشّي» خبران يهديان إلى تبيّن تطوّر موقف المفضّل من إسماعيل.

الأول: «عن عليّ بن الحكم، عن يونس بن يعقوب، قال: أمرني أبو عبد الله (ع) أن آتي المفضّل وأعزّيه بإسماعيل، وقال: أقرىء المفضّل السّلام، قل له: إنّا قد أُصبنا بإسماعيل فصبرنا، فاصبر كما صبرنا، إنّا أردنا أمراً وأراد الله عزّ وجلّ أمراً، فسلّمنا لأمر الله عزّ وجل»[57].

الثاني: «جبريل بن أحمد، قال: حدّثني محمّد بن عيسى عن يونس

---

(56) راجع الكليني، أصول كافي، ج3 ص 146 عدد 16.

(57) راجع الكشي، رجال ص 172.

عن حمّاد بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول للمفضّل بن عمر الجعفي: يا كافر يا مشرك، ما لك ولابني؟ يعني إسماعيل بن جعفر، وكان منقطعاً إليه، يقول فيه مع الخطابيّة، ثمّ رجع بعده[58]»

فالظّاهر أنّ رسالة أبي عبد الله في التّعزية والصّبر كانت بعد رجوع المفضّل عن مقالة أبي الخطّاب في إسماعيل. وعندئذ جاز أن يكون المفضّل صاحب موسى بن جعفر، وأمكن أن يكون باب الرّضا من بعده. وبهذا تظهر شخصيّة المفضّل صالحة لتكون أصلاً إماميّاً لشهادات الأئمة في عدالته وتقريبهم له. وإذ بان هذا، بات الأصل في صحّة نسبة المرويّات إليه هو تقليب المتون وعرضها على مقالات المذهبين: الغالي والإمامي، حسب المرحلة التي تمرّ بها كلّ مقالة، ما أمكن.

الكتب والمرويات المنسوبة إلى المفضّل بن عمر.

سبق هاينز هالم (Heinz Halm) إلى ذكر هذه الكتب وتحقيق المصادر والمراجع التي ذكرتها[59] ولئن كان في عمله تفصيل يغني عن التّكرار، فإنّنا نروم في هذا المقام أن ندقّق في «وصية المفضّل» من ناحية، وذكر كتاب ينسب إلى المفضّل وأغفل أحياناً.

ذكر هـ. هالم وصيّة المفضّل ولم يشر إلى أنّها جمعت في كتاب بحار الأنوار للمجلسي، الجزء 78 بين الصّفحتين 380 و383، ووردت تحت عنوان «باب وصيّة المفضّل بن عمر لجماعة الشّيعة». وقد خلا المتن من السّند، وبدايته: «أوصيكم بتقوى الله... ونهايته: لا يغرّنكم الدّنيا وما ترون فيها من نعيمها وزهرتها وبهجتها وملكها، فإنها لا تصلح لكم، فوالله ما صلحت لأهلها» وقد تضمّنت ما يلي:

(58) الكشي، ص 272.
(59) راجع H. Halm. Das Buch der Schatten..; in Der Islam, 55, 2 (Oct. 1978) PP221 - 224.

* الحثّ على توحيد الله والإقرار برسالة محمّد وقول المعروف، والمحافظة على سنّة الله، والالتزام بحدوده والرّضى بقضائه (ص 380 ـ 381).
* الحثّ على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر (ص 381).
* الإحسان إلى من أحسن والعفو عمّن أساء (ص 381).
* الحثّ على مخالطة النّاس بالإحسان، وعلى الورع والتّفقّه في الدّين (ص 381).
* الحثّ على عدم التّقصير في الفرض والقصد في الغنى والفقر (ص 381).
* التّحذير من البغي، والحثّ على التّوادّ والتّراحم (381 ـ 382).
* حديث المفضّل في شتم الشّيعة له بالكوفة، إلى جعفر الصّادق. (ص382 ـ 383).
* صفة ضيعة جعفر. (ص383).
* التحذير من مفاتن الدّنيا تزهيداً فيها (ص383).

أما الكتاب المنسوب إلى المفضّل وأُغفل أحياناً، فهو كتاب «**درج المراتب**». وقد نبّه إليه لويس ماسينيون (Louis Massignon) ووقفنا عليه عند اطّلاعنا على أرجوزة الصّويري (ت. بعد 714هـ/ 1314م). مخطوطة مانشستر عدد 452. ورقة 226/ أ.

أ ـ الكتب المخطوطة المنسوبة إلى المفضّل بن عمر الجعفي[60]

كتاب الصّراط؛ كتاب العقود؛ كتاب الأسوس؛ كتاب الأشباه والأظلّة؛ كتاب جامع الأصول؛ كتاب الفرائض والحدود؛ كتاب الابتداء والانتهاء (ممّا رواه عن الصّادق)؛ كتاب الأدلّة على الخلق؛ المسائل المفضليّة؛ رواية الأرز وما فيه من الفضل؛ كتاب أبواب المعارف؛ كتاب

(60) راجع: L. Massignon, Bibliographie Nusayrie, in opéra Minora, Beirut, 1963, PP.641 - 642.

الرّسالة في الخصال السّبعين المحمودة وأضدادها وفي درج المؤمن ودرك الكافر؛ كتاب الفصول من الأسرار العالية؛ كتاب ما افترض الله على الجوارح من الإيمان في الإسلام؛ كتاب يوم وليلة؛ كتاب في بدء الخلق والحثّ على الاعتبار؛ كتاب علل الشّرائع.

ب ـ الكتب المطبوعة المنسوبة إلى المفضّل.

* كتاب توحيد المفضّل، ضمن كتاب بحار الأنوار للمجلسي، طهران، 1376هـ/ 1957م ج3 ص ص 57 ـ 151. ثمّ نشر مفرداً بعناية كاظم باقر المظفّر، ط2 النّجف، 1374هـ/ 1955م، ثمّ نشره محمد الخليلي بشرح مستفيض وتعليق تحت عنوان: «من أمالي الصّادق (وهو شرح ما أملاه الإمام (ع) على تلميذه المفضّل بن عمر الجعفي)، النّجف، 1383هـ/ 1963م، في أربعة أجزاء، هو نفس الكتاب الذي عناه النّجاشي في رجاله بقوله: «كتاب فكّر» على الأرجح[61].
* كتاب الإهليلجة، من إملاء الصّادق، ضمن بحار الأنوار للمجلسي، الجزء الثالث ص ص 152 ـ 198.
* وصيّة المفضّل، وقد أثبتنا موضعها من البحار سابقاً.
* كتاب الهفت الشريف، وقد أشرنا إلى طبعاته وترجمته إلى الألمانية في الهامش الأوّل.

* * *

(61) ذكر H. Halm كتاب فكر/ فكّر (K. Fikr/fikar?) عن رجال النّجاشي (عدد 19) والأرجح أنّه كتاب فكّر (fakkir)، كما ذهب إلى ذلك محمّد الخليلي في مقدّمة، من أمالي الإمام الصادق، ص 2.

3
تحليل الكتاب

يحتوي الكتاب على تقديم لمسألة الصّراط وعشرة أبواب في «معرفة العقاب ومنازلها»، و«الاختيار»، ومعرفة قوله: «يدخل في الأمر ابن ثمانين ويخرج منه ابن ثمانين»، و«التّجلي»، و«الظهورات والدعوة والإنكار» و«القمصان»، و«معرفة الهياكل»، و«معرفة السماء»، و«إرادة المولى وأبدانه»، والمظنون أنّ في كلّ هذه الأبواب تفصيلاً دقيقاً وطريفاً لما جاء مجملاً في الفقرات الأربع والعشرين الأولى في مسألة الصّراط.

* * *

جاء في بحار الأنوار للمجلسي (ت. 1110هـ/ 1698م):

ـ روي عن ابن عباس في هذه الآية (الفجر: 79/ 14) قال: «إنَّ على جسر جهنّم سبع محابيس يُسأل العبد عند أوّلها عن شهادة أن لا إله إلاّ الله، فإن جاء بها تامة، جاز إلى الثاني، فيسأل عن الصَّلاة، فإن جاء بها تامّة جاز إلى الثالث، فيسأل عن الزَّكاة، فإن جاء بها تامَّة جاز إلى الرَّابع فيسأل عن الصوم، فإن جاء به تاماً جاز إلى الخامس، فيسأل عن الحجّ، فإن جاء به تاماً جاز إلى السادس، فيسأل عن العمرة، فإن جاء بها تامة، جاز إلى السابع، فيسأل عن المظالم، فإن خرج منها وإلا يقال: أنظروا، فإن كان له تطوّع أكمل به أعماله فإذا فرغ، انطلق به إلى الجنَّة»[62].

ـ ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن محمّد البرقيّ، عن القاسم بن محمّد الجوهريّ، عن عليّ بن أبي حمزة: عن أبي بصير، عن

---

(62) المجلسي، بحار الأنوار، ج8 ص 64.

أبي عبد الله الصّادق عليه السّلام قال: «الناس يمرّون على الصراط طبقات، والصّراط أدقّ من الشعر و[أحدّ] من حد السيف، فمنهم من يمرّ مثل البرق، ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ حبوا، ومنهم من يمرّ مشياً، ومنهم من يمرّ متعلّقاً قد تأخذ النّار منه شيئاً وتترك شيئاً»[63].

- «واعتقادنا في الصراط أنّه حقّ وأنّه جسر جهنّم، وأنَّ عليه ممر جميع الخلق، قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم: 19/ 71) والصّراط في وجه آخر اسم حجج الله، فمن عرفهم في الدنيا وأطاعهم أعطاه الله جوازاً على الصّراط الذي هو جسر جهنّم يوم القيامة»[64].

وجاء في «الفقه الأكبر» المنسوب إلى محمّد بن إدريس الشافعي (ت. 204هـ/ 819م)[65] «واعلموا أنّ الميزان والصّراط والحوض حقّ (. . .) وأمّا الصّراط فقنطرة ممدودة على جهنّم، وروي في الخبر المشهور: إنّها أدقّ من الشعر وأحدّ من السّيف، فمن كان من أهل السعادة عبر عليها كعبور الريح، ويعبر كلّ واحد من المؤمنين على حسب مراتبه، والكافر لا يمكن من العبور عليها»[66]. وفي الإبانة للأشعري: **«ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض وأنّ الميزان حقّ، والصّراط حقّ، والبعث بعد الموت حقّ»**[67].

تتّصل مقالة الصّراط كما رواها المفضّل بن عمر الجعفي عن جعفر

---

(63) المصدر نفسه، ج8 ص 65.

(64) المصدر نفسه ص 70.

(65) ليس الكتاب للشافعي.

(66) الفقه الأكبر، تحقيق، محمد محمود محمد فرغلي، مجلة الأزهر، عدد جمادي الأولى 1406 (طبعة مستقلة) ص 65 ـ 66.

(67) الأشعري، كتاب الإبانة عن أصول الديانة ط1. حيدر آباد الدكن 1321هـ/ ص 10.

الصّادق بكلّ ما سبق، وتشهد كما تشهد الأقوال السابقة وغيرها على: (أ) أنَّ مسألة الصّراط مقالة اعتقادية، من أصول الدين؛ و(ب) إنها مسألة مشتركة بين سائر الإسلاميين دون أن تخصّ فرقة بعينها؛ ثم (ج) إنها مجملة لطرف من عناصر المعاد، وأجزاء من سيرة المؤمن أو الكافر، كلّ فيما يخصّه.

ويستوقف ممّا روى المجلسي جانبان نجد لهما مقالاً في كتاب الصّراط: صفة الصّراط من ناحية؛ وحمل الصّراط على أنه معرفة حجج الله من ناحية أخرى، ولئن ظفرنا بالجانب الأول في ما نسب إلى ابن عباس، وما سيكون واسماً لأقوال أهل السنّة؛ فإن الجانب الثاني يخصّ الأطروحة الشيعيّة دون غيرها؛ ويزيد المجلسي قولاً على الجانب الأول، لا سبيل إلى إنكار أثره في مرويات كتاب الصّراط: «أقول: **لا اضطرار في تأويل كونه أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف، وتأويل الظواهر الكثيرة بلا ضرورة غير جائز**»[68].

في ذلك الإطار الإسلامي العامّ؛ وفي هذا الإطار الشيعي الخاصّ تتنزّل هذه المرويات المنسوبة إلى الصادق في الصّراط؛ لتظهر فيما يخصّ الإطار الأول عقيدة إسلاميّة ولتبدو في ما يعني الإطار الثاني: معرفة الحجج وتلقّيها عنهم.

يمكن الاهتمام في المقدمة (ف1 ـ 24) بمشغلين: أوّلهما: حال أهل الرّواية عن الإمام الصادق (الفقرة 1) والثاني: جواب الإمام على سؤال المفضّل في الصّراط وتأويله (الفقرات 2 ـ 24).

أمّا السند فقد اهتمّ به هـ. هالم (H. Halm) بما يغني[69] وأمّا جواب

(68) المجلسي، بحار الأنوار، ج8 ص 71. قارنه بما جاء في الفقرات 37 ـ 44 خاصة.

(69) راجع Der Islam n58 (1). 1981 PP 80 - 81

الإمام فلافت لأنّه ذو قسمين. يبدو أوّلهما غريباً عن مقام الحديث أو بذلك يوهم على الأقلّ، في حين يثبت الثاني مفيداً، وإن ورد عاماً مجملاً في الأغلب.

القسم الأوّل: (الفقرات 2 ـ 17)

يتضمّن هذا المقال ستة محاور تشترك ـ رغم اختلافها ـ في باب الإلهيّات وهي على التوالي:

- ظهور الله لخلقه بالنورانيّة وأخذ الإقرار منهم.
- ظهور الله لخلقه بالبشريّة وحيرة الخلق فيه وإنكارهم له.
- اختيار الله لخلقه بالمقامات والظهورات وتجرؤ الخلق على تسفيههم ورميهم بالسحر والكهانة.
- تشريع الله للأمر والنهي بعد اختبار الخلق.
- إقامة الأمر والنهي على الميزان والقسط وحفظهما بالكتاب.
- في أنّ الكتاب هو الصّراط.

تقصد هذه المرويّات كلّها إلى باب التّوحيد من خلال مسألة خاصّة للغاية هي ظهور المولى وتجلّيه للخلق في العالمين النورانيّ والبشريّ. ولمّا كانت هذه المقالة على غاية من الأهمية، نهضت ببيانها سائر أبواب الكتاب وخاصة منها: باب التّجلي، وباب إرادة المولى وإبدائه. وتتجلّى أهميّة المقالة في أنّها أصل يرتّب عليه القول في اختبار الخلق، وبيان العلم المُنْجِي، وعلّة الهلاك، وبروز المصير في المسوخيّات عند الكافر والنورانيّات عند المؤمن المقرّ. وبهذا تتوسّط مقالة الظهورات الإلهيّة سائر المقالات في الإنسان وحاله في العالم، إن في البشريّة أو بعدها.

وتحيل هذه المقالات في الظهورات، كما سنحلّلها لاحقاً بمناسبة تحليل مشاغل أبواب الكتاب، على تصوّر أهل هذه المرويّات لمسألة

الخلق، ونظام العالم، وسيرة المؤمن والكافر، ومصيرهما، والشؤون الأخروية إن في الحكم أو في التّصوير والرّمز... ومعناه أن هذه المقالة في الظهورات مقالة جامعة لمسائل التّوحيد ومنزلة الإنسان في العالم؛ فيما نظنّ.

وييسّر لنا هذا الفهم تعليق مقالة الإمام الصادق هذه بسؤال المفضّل في الصّراط؛ ولا نرى في مقالة الظهورات نبُواً عن مسألة الصّراط، حين يكون الصّراط السبب إلى النجاة بمعرفة الله في تجلياته وظهوراته ومقاماته، ويصبح العلم بالله والإقرار به، علماً وإقراراً على وجه أبانته المرويّات في الظهورات: أي قدرة الله على الحلول في البشريّة، والمقامات الكثيرة اختباراً وامتحاناً. ومن هنا يتجلّى جانبان اعتقاديان: أوّلهما: الاعتقاد في الخالق الكائن على مثال؛ وثانيهما: في وجه الاعتقاد وتلقي المعرفة كيف يكون.

وقد يبدو سبب ثان يسمح بفهم الابتداء بالظّهورات والسؤال في الصّراط، وهو سؤال أخصّ: ذلك السبب الممكن هو تأسيس مسألة الصّراط على أصل التّوحيد. ولمّا كانت الظهورات أوكد الأبواب في التّوحيد ورأس مسائله، تقدّمت في الكتاب للاعتقاد مع السامع عليها، والإبانة عن تأويل الصّراط بها. في هذا الإطار نفهم تعليل الإمام الصّادق لابتدائه الجواب بالظهورات رغم أنّ السؤال في الصّراط عيْناً.

«وإنّما قدّمت لك من الجواب ما سلف من الخطاب ليتّضح لك الحقّ وينشرح لك معنى الصّدق، ولتعلم بذلك أنّ المساءل أعلم من السائل (...) فإنّي أشرح لك من باطن مسألتك وما بيّنت لك به من التوحيد...»[70].

---

(70) الصّراط، الفقرة 17.

القسم الثاني (الفقرات 17 ـ 24).

يدور الحديث في هذه الفقرات على محورين بارزين:

- في نعت الصّراط وصفته.
- في عقاب الصّراط.

وتفصيل المحور الأوّل أنّ الصّراط، ذو حدّة أحدّ من السّيف وذو دقَّة أدقّ من الشعرة... (ف 17). وفي هذا الوصف مناسبة جليّة لما جاء في نعت الصّراط في الأخبار المتقدّمة التي ذكرناها عن المجلسيّ والشّافعي معاً. ويخوّل هذا أن نعتبر نعت الصّراط بهذه الصورة من المشتركات في أدبيات المسلمين؛ ويدفع هذا من ناحية أخرى إلى الوقوف ملياً عند تأويل النصيرية للحدّة والدّقة في الصّراط بعد أن أنكر ذلك المجلسيّ.

أمّا المحور الثاني فيرتّب عقاب الصّراط على سبع درجات هي على التوالي درجات: الممتحن؛ فالمخلص؛ فالمختصّ؛ فالنجيب؛ فالنقيب؛ فاليتيم؛ فالباب؛ وفيها يتلقّى الطالب شتّى وجوه الاختبار ويتلقّى عن أصحاب هذه المراتب شتّى وجوه العلم الإلهي فإذا ثبت على العلم بالتّسليم والإقرار والقبول في جميعها، خلص عند السابعة ووجب الاستعداد بالعبادة للسّماع عن المولى.

يُناسب هذا التصّور رواية ابن عباس السابقة في عدد الدرجات. إلاّ أن ابن عبّاس يحدّث عن جسر على جهنّم، وعن أسئلة هي في الأغلب عن دعائم الإسلام إذا استثنينا العمرة والمظالم. والخبر في كتاب الصّراط عن عقاب في البشريّة أي في الدّنيا؛ ومعناه أنّ الصّراط في رواية المفضّل هذه نهج يحدّ سيرة المؤمن نحو التّدرج في تلقي العلم عن أصحابه المكلفين بتبليغه؛ وهي بذلك سيرة معرفية ـ دينية في الظّرف والجيل... أي سيرة في التاريخ.

أمّا الصّراط في خبر ابن عبّاس فهو مُحاسبةٌ آخرويّة أو هو نظام محاسبة يوم البعث.

ويفترض التّصوّر في رواية المفضّل للصّراط:

- الاعتراف بعقاب الصّراط وخاصّة منها الدرجة الأولى التي ستسلمه إلى سائر ما وراءها.
- الامتناع عن الشكّ في كلّ الظهورات التي قد لا تناسب ما يوصف به الله عادة من شتّى أوصاف القدرة والكمال.
- إلغاء الانتساب أو/ والأخذ عن أيّة جهة أخرى غير أهل المراتب السّبع، ومعناه أنّ النجاة في الدّنيا وبعد البشرية تكون بمعرفة الحُجج، والثبات على علم الله منهم. وذلك هو الصّراط في النّهاية: معرفة حجج الله الذين هم سبيله بما يودعون من علمه في سائر خلقه.

وعلى هذا الأصل الجامع تدور سائر أبواب الكتاب، ونُفصّل في بيانه المشاغل التالية:

1 ـ التّوحيد والظّهورات الإلهيّة.

2 ـ هيئة الكون ونظامه.

3 ـ حجج الله ومقاماته.

4 ـ سيرة المؤمن والكافر، في البشرية وبعدها.

وإلى هذه المشاغل نقصد في تحليلنا لأبواب الكتاب.

* * *

1 ـ التّوحيد والظهورات الإلهيّة.

يبدو لنا في كتاب الصّراط معقّد للمعبود، وهو الله، بصريح العبارة في الأخبار، ويمكن أن نستجلي هذا التصوّر من خلال أشهر الصّفات

الإلهية من ناحية، ومسألة الظهورات والتّجلّي من ناحية أخرى.

فالله واحدٌ، وليس في مرويات الكتاب كلّها خبر واحدٌ يدحض عقيدة التّوحيد، بل فيها إلحاح على التّعبّد لإله واحد؛ وفيها تنصيص على الأمر بذلك والنهي عن الإشراك (راجع خاصة الفقرات 2؛ 3؛ 12؛ 39؛ 106؛ 107). ولئن كان الإقرار بوحدانية الله، في هذا المقال، جامعاً بين أهل الإسلام كلّهم، فإنّ تصوّر النصيريّة للظهورات والتّجلي ـ كما سنرى ـ سينحو بالتّوحيد، إلى منحى عليه اختلاف شديد.

والله قادرٌ، وقدرته مشهورة في ثلاثيّة هامّة في الفكر النصيري: قادر على تكوين الخلق، وقادر على الظهور والتّجلي، وقادر على اختبار خلقه وتحقيق العدل. ولئن قبل سائر الإسلاميين الأصلين الأوّل والثالث، فإن اختلافهم في الثاني بيّن، وذلك مناسب لما قلنا في التّوحيد (راجع في القدرة خاصّة: الفقرات 129؛ 153؛ 154؛ 155؛ 156؛ 158؛ 207؛ 208؛ 210).

وعلى قدر إطلاق حدود القدرة، تجانب المرويّات استغراق القدرة الإلّهية لحمل الناس جميعاً على الإقرار، ومعناه أنها تجانب تدقيق الصلة بين القدرة والمشيئة، مذهبها في ذلك مذهب أهل الأخبار والحديث دون المتكلّمين من الإسلاميين.

والله خالق، ومكوّن، هو خالق الخلق كلّهم في العالم النوراني، وأخذ عليهم الميثاق، وقد عرّفهم نفسه، وهو مكوّن الكون بتمامه (الفقرة 146) وليس في هذا الأصل ما تنفرد به هذه المرويات عن سائر المقالات الإسلامية على العموم، دون الدخول في الخلاف الكلامي. إلاّ أن هذه المرويات في هذا الكتاب تسم «الخلق» بتصوّر خاص. لا نظنّه عاماً بين سائر الإسلاميين وهو مسألة الميثاق بالنورانيّة. جاء في الفقرة 2: «وذلك أن الله تعالى ظهر لخلقه بالنورانيّة. وأظهرهم بها، وأوجدهم نفسه،

ودلّهم على ذاته، فناجاهم خطاباً واضحاً، ونطقاً بيّناً عياناً وإيجاداً ووجوداً وعرّفهم أنّه الخالق لهم، فقال: وقوله الحق ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ (الأعراف: 7/ 172) قالوا: بلى. وكان ذلك السّؤال اعترافاً، أخبرهم به: هل يعرفونه»؛ وكذلك قوله في الفقرة 111، مع اختلاف ضئيل؛ وكذلك في الفقرة 123 وأطراف كثيرة ممّا يلمع إلى هذا الغرض تتخلّل المرويّات.

وتبدو سمة ثانية تميّز هذه المرويات في تصوّر قضيّة الخلق، وهي العنصر الذي خلق الله منه الأئمة والأنبياء ثمّ المؤمن فالكافر. ولئن لم يتّضح القول في هذا الغرض صراحة في هذه المرويات مثل بدوّها في كتاب «الهفت والأظلّة»، وهو جماع مرويات تنسب كذلك إلى المفضّل ابن عمر عن الإمام الصّادق، فإنّ ترديد الكافر أو المنكر في المسوخيّات الكثيرة يسمح بافتراض إنشاء أهل الجحود من الكدر، وأهل الإقرار من الصّفاء، وهو ما يدعمه كتاب الهفت.

والله رؤوف رحيم بخلقه، ولئن بدت المرويات تكرّر بهذه العبارات أشدّ المعاني اطراداً في القرآن، لا تخالف في ذلك سائر الإسلاميين، فإنها تخصّص صفة الرؤوف والرحيم بقيد ليس عليه إجماع أهل العلم من أتباع الملّة. ويمكن استخلاص ذلك القيد من الفقرة 195؛ وغيرها:

«واعلم أنّ مولاك أقام لهم نفسه مقام الدّاعي الرؤوف الناصح المشفق العطوف، وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ (البقرة: 2/ 40)؛ وقال: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: 2/ 231)؛ وقال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ﴾ (إبراهيم: 14/ 47). . .».

فالرأفة بالخلق والرّحمة بالعباد أنْ تجلّى لهم وأظهر نفسه بالبشريّة (ف 160) وأقام المقامات الدّالة عليه، لامتناع إدراكه بالنورانيّة، والرأفة بالخلق من ناحية أخرى أن سنّ التشريع أمراً ونهياً، وأبان بالخطاب بما لا غموض فيه، فكان كلّه هدى، يدرأ التّيه ويمنع الضلالة. إنّ ما تنفرد به

هذه المرويات في تخصيص الرحمة والرأفة هو التّجلي والظهور، أمّا إقامة الأنبياء وإرسال الرّسل، والتّشريع على التّكليف، فعليه إجماع أهل الإسلام؛ وإن اختصّت الشيعة باعتبار الإمام رحمة.

والله متكلّم، والقرآن كلامه، وتنكر المرويّات أن يكون الكتاب مستوعباً لكلام الله كلّه؛ وتطلق كلام الله إلى ما لا حدّ له تأويلاً للآية: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ (الكهف: 18/ 109). وتقرّر الرواية في الفقرة السادسة أن الكتاب المشهود بين الناس هو جزء من ستين، ثمّ إنّ الستين جزء من ستمائة جزء... إلى اعتبار الكلّ مهما تناهى العدد جزءاً من عدد لا يحصى. وهذا القول في القرآن أنّه جزء من كثير، قريب من حديث الصحيفة عند الإماميّة الاثني عشريّة دون أن يكون الغرض واحداً. فالغاية من حديث الصّحيفة الطعن صراحة في ما بأيدي غير الشيعة من قرآن[71]؛ والمقصد من الخبر في كلام الله الإحالة على أنّ الله أزل أبد لا تحدّه بداية، ولا تعرّفه نهاية، يتعالى عن الحيّز، والزمان، وكأنّ الكلام حمل في هذه الإطلاق على العلم فلمّا كان علم الله مطلقاً، كان كلامه كذلك.

والله مريدٌ فعّال لما يريد؛ وتستغرق الإرادة كلّ ما سبق: أراد الخلق والتّكوين فأنشأ الخلق، وأحدث العالم، وأراد اختبار الخلق بالظهورات والمقامات فتمّ الأمر، وأراد ترديد أهل الإنكار في شتّى المسوخيّات فكان الترديد والتكرار؛ ... والإرادة هنا تلامس العلم من طرف والمشيئة من آخر. لأنّ ما أراده الله معلوم لديه، وكذا ما لم يرده، أمّا مسألة المشيئة فمحمولة على فعل الإرادة نفسه: وشاء وأراد بمعنى. وفي هذا مجانبة دقيقة لما روي عن الإمام أبي عبد الله، في باب المشيئة والإرادة «من

---

(71) جاء في أصول كافي للكليني: «... قلت: وما مصحف فاطمة (ع)؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات. والله ما فيه من قرآنكم حرفٌ واحد»، ط. طهران / د.ت/ ج1 ص 326.

أصول الكافي للكليني»[72]. وإذا كانت الإرادة على ما وصفنا من التّعلّق بالعلم والمشيئة، أصابت أصل العدل من باب الجبر والقدر.

والله عادلٌ. لأنه خلق الخلق بإرادة واحدة، وساوى بينهم فلم يفضّل أحداً ولم يؤخّر نفراً (ف 111)، وأقام المقامات تدعو إلى الحقّ بالآيات الباهرات. فكانت المجازاة على الإقرار والإنكار، فصفا أهل الإقرار، وكدر أهل الإنكار.. وإذا سيرة المؤمن والكافر بإرادة الله من ناحية وبعدله من ناحية أخرى، ولا ضير. وتكاد تكون كلّ المرويّات التي تضمّنها الكتاب في عدل الله، بما يصيب الكافر من التّردد في الظلمات والكدر، وما يصيب الخلق كلّه من الامتحان والاختبار. ولا غلوّ إذا اعتبرنا سائر الخبر في كتاب الصّراط متمحّضاً للإبانة عن عدل الله.

تساعد هذه الصّفات القليلة ممّا اشتهر في مرويّات المفضّل، على التّعريف بالذّات الإلهيّة على التقريب دون التّدقيق الكلامي المعمّق، وظاهر أنّ هذه المرويّات تقيم في تصوّرها فرعاً على الأصل، أمّا الأصل فهو المفاهيم الأساسية التي تضمّنها القرآن إخباراً عن الله، مثل الواحد والقادر والخالق والرحمان... وأمّا الفرع فهي صياغة أخصّ للمفهوم كصياغة المرويّات لمفهوم القدرة، والخلق، والوحدانيّة، ولعلّ مسألة ظهورات الله وتجلّياته تشهد بدورها على تصوّر النصيرية ـ حسب هذا الكتاب ـ للذات الإلهيَّة.

تحمل الكثير من مرويّات «الصّراط» أنّ الله أظهر نفسه في المقامات الكثيرة، منذ آدم إلى ظهور محمّد النّبي، في الأنبياء والرسل من شيث إلى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى.. (ف 5). وهذه الظهورات كلّها هي من ناحية تجديد للحال الأوّل (ف 163 ـ 165).

(72) راجع ج1، ص 207 ـ 210.

وهي من ناحية ثانية لطفٌ بالعباد وتأنّسٌ، (ف 160)، وهي من ناحية ثالثة اختبار للخلق بما يظهر الله من العجز والتوالد، والقصور. . . وكلّ العوارض البشريّة (ف38، 39، 83، 117، 160)، والحال أنّ الشخص الظاهر بالمعنى هو ربُّ الكون (ف 123) وهو أحدٌ سرمدٌ، لا يتغيّر عن مكانه (ف 125)، يظهر كيف يشاء وفيما يشاء، وأنّ إظهار العجز هو نفس المعجز (ف 127 ـ 131)، وإذا ظهرت معجزات على يد بعض المقدّمين من خُلّص المؤمنين مثل سلمان الفارسي كإحياء الموتى، فهو مجريها على أيديهم، بقدرة منه لا قدرة منهم، وفي ذلك تجلّيه (ف 158) وهو أيضاً مُجْرِي القدرة على يد الجاحد امتحاناً للعالم (ف 155 ـ 156). والمقصود بتجديد الحال الأوّل أنّ كلّ الظهورات في البشريّة هي تجديد للظهور الأوّل الذي أخذ الله فيه الميثاق على خلقه في النورانيّة.

وإذا أقدر الله خلقه على معاينته بالنورانيّة، فإنّ رؤيتهم له فيما عدا الحالة الأولى تكون على قدر المنزلة في الإيمان (ف 126) فالله أحد سرمدٌ لا يتغيّر، وإنما تتغيّر أبصار الناظرين إليه (ف 125).

وكما أظهر الله التّجلي فإنه أظهر الغَيْبَة حتى شكّ فيه أهل الإنكار وعدّوه من الهالكين (ف 114)؛ وهو حيّ، موجود، ولئن استَتَرَ عن العالم السفليّ فإنه يتجلّى للعالم النوراني (ف 113).

وإذا كانت هذه المقالات وثيقة الصلة بمسائل الحلول، والتّجسّد فإنّها تطرح في الواقع إلى جانب «الإلهيات» مسألة الإمامة من حيث إنها تُبَيّنُ القدرة الإلهيّة، وظاهرة التجلّي والغيْبة.

والحاصل أنّ قول المرويّات في صفات الله التي أبَنّا، وظهوراته التي ألْمَعنا إليها، تحيل في الأصل على تصوّر أصحاب هذه المرويّات لنظام الكون من ناحية ولسيرة الإنسان فيه من ناحية ثانية.

2 ـ نِظَامُ الكَوْنِ

ليس في كتاب الصّراط روايات مفصّلة في خلق العالم على نظام دقيق، مثلما نجد ذلك في قصّة الخلق في الكتب المقدّسة؛ ولا نظفر هنا بما حمله الخبر في كتاب «الهفت والأظلّة»، وتظهر على العكس من ذلك نتف أو شذرات يتوسّل بها الباحث إلى استقصاء هيئة العالم.

تبدو ثلاثة عناصر دالّة على تلك الهيئة، ولئن سعينا إلى الفصل بينها للإبانة عن مسائلها ودلالتها، فإنّها منتظمة داخل نسق مضبوط، لا يستغني أحدها عن الآخر، تلك العناصر هي: السماء، الأرض، الليل والنّهار، وهي تجمع ـ كما لا يخفى ـ بين المكان والزّمان؛ مثلما تجمع بين الحياة الدنيوية، والوجود الأخروي. وهذا التمازج عنصر من أسباب تعقد النّظرة إلى الكون.

أما **السماء** فتشير إليها ثلاثة سياقات، أوّلها: مقام الحديث عن ظهور الله لخلقه بالنورانية عند بدء تكوينهم (ف 2) أو عند إظهار الآيات الباهرة في علم السماوات (ف. 8): وثانيها، مقام الحديث عن تفصيل السماوات السبع في تراتبها، وصفتها في الظاهر، وهي على التّدريج: سماء من دخانٍ، فسماءٌ من ضباب؛ فسماءٌ من فضّة؛ فسماءٌ من ذهب؛ فسماءٌ من ياقوت؛ فسماء من زمرد؛ فسماء من نور؛ وهي السابعة والأخيرة (ف 77) أمّا السياق الثالث، فمقام الحديث عن معنى السّماء في الباطن، وهو الباب (ف 78، 169، 170). ويحافظ أهل المرويات بهذا التَّصور على مبدأ التقسيم الثنائي للعالم، الأرض والسماء، مثلما يحافظون على صفة علويَّة السَّماء، وعدد السَّماوات كما اشتهر في الرّؤية الإسلاميّة إجمالاً. ولكنّ العنصر الذي تنفرد به النصيرية هو تصنيف السماوات السّبع بحيث يضحي التّدرج بين طبقاتها استزادة في الصّفاء بين المؤمنين، يوازي هذا النظام ما عليه الأمر في الأرض تماماً. وبهذا تضحي السّماء حيّزاً/

مكاناً متماهياً مع منزلة المؤمن وحاله من مسيرة اصطفاء النفس. أما تأويل السَّماء بأنّها سلْسل أو الباب. ففيه فرادة تتميّز بها النصيرية. وإلى جانب هذا الإجمال يمكن الالتفات إلى مقالتين هامّتينْ في نظرنا.

المقالة الأولى: ما ورد في الفقرة 78 من تعريف السماء بأنّها سلْسلٌ وهو الباب في الباطن. ويُصرّح الخبر أنّ الباب واحدٌ وإن تعدّدت ظهوراته كأن يظهر باسم جبريل أو يائيل أو حام أو دان أو عبد الله أو روزبه أو سلمان؛ وهو في الحقيقة سلمان، وهو نورانيّ. وفي هذه الإشارة، خروج بالسّماء من مفهوم المآل الثابت، إلى إدماجها في شيء من «**التاريخ الإيماني الأخروي**» إن صحت العبارة، وتضحي السماء خاضعة أو تنهض بالأكوار والأدوار نحو الصّفاء التامّ. في هذا الإطار نفهم العبارة التالية: «فتبديل السَّماوات يؤول إلى كون آخر. وتبديل العالم يكون بحسب ما تبدّل به الأخرى» (ف 78).

المقالة الثانية: ما ورد في الفقرة 169 من أنّ بداء السَّماء كان بمكوّنه وهو الباب المقيم. وهو محمّد حجاب المولى: والمولى كوَّنه من ذاته وكوّن من كونه الأرض، وهو المقداد اليتيم؛ ويزيد الخبر تفصيلاً في الفقرة 170. بأنّ الثابت حجَّة على أهل المراتب والدّرج لأنَّهم من جوهريته أظهروا (. . .) وكذلك كلّ رتبة هي حجَّة على من دونهم.

يتجلّى في هذه المقالة استغراق الحديث عن السَّماء طرفاً من قصّة الخلق والتكوين؛ والسماء هي من ناحية أخرى الحجة على الأرض، ومعناه أن أهل البشرية مؤتمرون بأمر أهل الصفاء بالنورانية أي أهل السماوات. وأنّ السعيد من أهل البشرية من كانت حاله في الإيمان والسيرة مناسبة لهيئة أهل السماء، فالسَّماء هي القيمة/ المرجع، على قدر منافرة أهل الأرض لها تظهر ضلالتهم والعكس بالعكس تماماً؛ ثمّ إنّ السّماء هي الباب إلى الله أي إلى كلمته والنجاة بها، إلى هذا الحد

حوّرت النصيريّة متصوّر السماء كما ظهر في النص القرآني خصوصاً وفي أدبيات الإسلاميين عموماً.

أمّا **الأرض**، فلا حديث في هذه المرويات عن طبقاتها أو رتبها أو درجاتها، وإن توهّم متوهّم ذلك من حديث الصّراط والعقاب والقمصان والأكوار، لأنّ الصّراط ومنازله أسباب إلى اصطصفاء الذات وتحقيق النجاة بالرجوع إلى العالم العلوي، أما القُمصان والكرّات معاً فهي الحيوات الكثيرة التي يتردّد بينها المؤمن والكافر حتّى يتخلص من الكدر كما سنرى في مسيرة المؤمن والكافر. وأمّا المسخ والفسخ والرسخ والوسخ فهي منازل حيواتٍ أيضاً وقمصان نقلة يتدرّج بينها الكافر والجاحد، ولا صلة لها بنظام الأرض.

وبقي مع ذلك ثلاثة مبادىء واضحة حافظت عليها النصيرية من خلال المرويّات:

أوّلها: سفليّة الأرض، وفي هذا تحديد لمسألة الاتّجاه في نظام العالم؛ وحُملَ على السفليّة كل ما يوحي بالوضاعة، والقلّة مثل الظلمانيّة والكدر. ولا يفهم هذا كلّه إلاّ بالنّظر إلى علويّة السّماء ونورانيّتها وسموّ مراتبها. ويُفسّر هذا الاعتبار أن خلقت السّماء قبل الأرض لتقدّمها عليها في الفضل ثمّ أن كانت السّماء حجّة على الأرض (ف 170) وتستشري هذه الرّؤية لتبلغ قضية خلق المؤمن والكافر أصلاً.

المبدأ الثاني: خلق الكافر من الأرض، ويستند هذا التّصوّر إلى الآية 55 من سورة طه (20)؛ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً﴾؛ ويعلّق الخبر عن الصادق، فيما يزعم المفضّل «**فهو نصّ على أهل الجُحود والإنكار لأنّهم من الأرض خلقوا، وفيها يعودون، وفي المسوخيّة، ومنها يخرجون إلى الرّسوخيّة بدوام الحال. . .**» (ف 76).

المبدأ الثالث: ويخصّ نظام الأرض على وجه دقيق للغاية. وجملته أن جميع ما في الأرض وعليها ينتظم داخل الكينونة في المثل إنفاذاً لعدل الله، ويستوجب هذا التّصوّر إدراج الأرض في نظام الحيوات المتعاقبة على أساس مبدأ المجازاة. جاء في الفقرة 71 والمقالة تستغرق أربع فقرات بعدها (حتى الفقرة 75):

«... **إنّ ذلك [عدل الله] جارٍ منّي في جميع الأشياء، المخلوقات المكوّنات من السّماوات والأرض والبرّ والبحر والسّهل والجبل والأُجاج والعذب والعمارة والقفار، والأمن والخوف، ويكون كلّ منها بكونٍ، ثمّ يصير ما كان عالياً هابطاً، وما كان هابطاً عالياً، وما كان محبوباً مهجوراً، وما كان مهجوراً محبوباً...**».

وبهذا تصبح الأرض كغيرها من الكائنات حاملة بدورها لنظام التناسخ خاضعة له. وتقوم بذلك شاهداً على عدل الله الناجز، وعلى منزلة الإنسان في آنٍ واحدٍ، وهذا التداخل الدقيق بين الأرض أو ما عليها ومنزلة الإنسان يبلغ ذروة التماهي حين نقرأ في مرويات المفضّل أن هياكل المؤمنين، تضحي بذرة طيبة، بعد أن تودع الثرى، وتستقيم نبتة طيّبة، أمّا هياكل أهل الجحود فتكون بذرة خبيثة لنبات منفّر، بل ينقل الكفار إلى سموم قاتلة (ف 139 ـ 141): «**فيكون من هياكل أهل المراتب ومن قاربهم ممّن صفا، البخورات من الشجر، والطيّب من المسك والعنبر ثمّ الأنجوجات (؟) والعبير والرياحين (...) وكذلك يكون من هياكل الأضداد الملاعين المخالفين الرجسين، السّموم القاتلة، والأنواع المكروهة من الدفلى والعلقم والصّبر والمرّ والحنظل...**» (ف 140 ـ 141).

أما **الليل والنهار**، فيحملان البُعد الزّمني في تصوّر نظام الكون ويمكن استجلاء ذلك خاصة من الفقرات 106، 110، 115، 116، 118، 122، 124.

يعتبر الليل والنهار آلة مؤبّدة تحصى بهما الدّهور والأزمان (ف 118) ويفصل الخبر بين الليل والنهار بأن للنهار اسماً، وهو اسم اليوم، وليس للّيْل. وما عليه التواضع أن تنسب الليلة إلى النّهار (ف 119). ويعود هذا، فيما تؤول المرويّات، إلى أن النهار هو إظهار الظهور (ف 110)، وفيه معاش الخلق وسعيهم، وكلّ أعمالهم. أمّا اللّيل فهو الغيْبة (ف 116) ويمكن أن نخلص إلى قولين، ممّا سبق، وغيره مما يماثله في العبارة والرأي:

ـ إن الله قد جعل النهار معاشاً، والنهار هو اليوم، والضوء الذي تبرز بفضله أعمال الناس، وآيات إقرارهم أو جحودهم، وبذلك تكون المجازاة (ف 110).

ـ إن النهار / الضوء/ اليوم والليل/ الظلمة هما عبارة عن ظهور المعنى وغيبته، ولمّا كان ظهوره وغيبته على قدر المراتب وتحقيق العدل بين أهل الإقرار والإنكار كان «اقتصاص» الليل من النهار و«اقتصاص» النهار من الليل في أوقات معلومة من السنة، لأنَّ بين «الغيبة والظهور رتباً لا بدّ من حلولها» (ف 122).

وتُضيف رواية المفضّل في أمر القمر والنجوم طرفاً يدعم ما سبق ويحيل على تصوّر نظام الكون. فالقمر هو «**مقام ظهور الغاية للبدء والكون والحدوث**» (ف 115) وظهور المعنى في هذا المقام خاصّ بالخُلّصِ من المؤمنين، وأوّلهم «**أهل المراتب السبع، وأهل الدّرجات من العالم العلويّ** (. . .) **ثم يكون معهم الذين أجابوا وأقرّوا وأسلموا**» (ف 115) وجميعهم يُحدق بالقمر، ينال منه نصيباً نورانياً على قدر علمه، ودرجته (ف 115)، في حين لا يسمع من العالم السفليّ، وأهل الجحود حركةً (ف 115).

إلاّ أن القمر، على جلال نوره وعظمة مقامه، يظهر الكمال

والتناقض، وهذا إشارة «**إلى العالم [من] أنّ مولاك المعنى عزّ عزّه أظهر في البشرية الصّغر والطفولة والزيادة إلى الكمال والقوّة والنقصان إلى الكبر والضعف، وهذا كلّه امتحان للعالم جميعاً في سائر الأوقات..**» (ف 117).

تضحي الليلة والنهار والقمر والنجوم دالةً من أصل الكون والعالم على مسألة الغيبة والظهور، ودرجة المؤمن والجاحد، وهي بدورها خاضعة لتعاقب الحيوات والأزمنة بما ينصّ عليه مفهوم الدور والكور. وبهذا نخرج بدقّة من مفهوم الزّمن التاريخي إلى مفهوم إيماني أو مفهوم الزَّمن المقدّس وهو من ثمّ زمن متعالٍ رغم محايثته في الظاهر.

وفي هذا العالم المعقّد العناصر، سيعمل الأنبياء والرسل والأئمة وسيسير الخلق ونكتفي هنا بالاستفسار عن أثر هذه الرؤية التي نشرنا في التَّوحيد والعالم، في تصوّر مهمّة المقامات والحجج، وفهْم مسيرة الخلق.

3 ـ حجج الله ومقاماته

يختزل مصطلح الحجّة مقالة الشيعة في الإمامة، وهذه المقالة هي عند الفرقة على غاية من الأهمية بحيث يكاد لا يخلو كتاب في الأصول من باب مطوّل هو كتاب الحجّة[73]. ويعنون بالحجَّة الإمام باعتباره المبين للديانة بما أوتي من علم الباطن، والمشرع للأحكام، ولولاه لأرسل الخلق سدى، ولانتفى عدل الله من التّكليف.

والمقامات مصطلح يكاد ينفرد به أهل الغلوّ، وإن لامس أطراف ما يعنيه عند أهل التصوّف، وهو ما جرت عليه عبارة الجرجاني في ما يظهر لنا:

(73) راجع مثلاً، الكليني، أصول كافي، كتاب الحجّة.

«المقام في اصطلاح أهل الحقيقة عبارة عمّا يُوصل إليه بنوع تصرُّف يُتحقّق به بضرب تطلّب ومقامات تكلّف، فمقام كلّ واحدٍ موضع إقامته عند ذلك». (التّعريفات، تحقيق فلوجل، بيروت 1990، ص344)؛ وقد يعبّر عنه في كتاب الصّراط بـ «الظهورات»، لأنَّ المقام، حسب أهل هذه المرويات، هو الشّخص الذي يظهر به المولى، ويجري على يده ما يجري من القدرة والمعجزات أو العجز. . . استئناساً من ناحية واختباراً من ناحية أخرى. ويمكن أن نظفر بشذرات من الأخبار في كتاب الصّراط تمكّن من التّوقف قليلاً عند ثلاث مسائل: خلق بعض المقامات، وخاصة منهم محمّد: ووظيفة المقامات؛ ودلالة المقامات.

ففي **خلق محمد**: يذكر الخبر أنّ الله كوّنه من ذاته، أو هو اسمه كُوّن من نور ذات المعنى (ف 169 ـ 170). ثمّ إنّ الله تعالى كوّن من جوهريّة الاسم الأرض وهي المقداد. ويحيل هذا التّصوّر على مقالة في خلق الأئمة من ناحية، وفي عنصر خلق المؤمنين من ناحية أخرى، فلئن ورد في غير كتاب الصّراط أن المؤمنين قد خلقوا من عنصر النور، وأنّ الكفّار قد خلقوا من أرذل العناصر الطينيّة[74]. فإن خلق الأئمة والمقامات، إنما هو خلق على الترتيب، في أصل عنصرهم، وذلك حسب منزلتهم، وعلوّ درجتهم. وواضح في التّصور النصيري: 1 ـ أن علياً هو الله؛ و2 ـ أنّ محمداً هو اسمه وحجابه، وأقرب الخلق إليه؛ 3 ـ ومن دونه، فبعده في المنزلة مثل سلمان والمقداد. . . فكأنّ خلق محمد المقام الأوّل، هو فلق من نور المعنى؛ أمّا المقامات من بعده، فكونها من كون بعض على التّرتيب وهذا التسلسل الخلقي هو الذي سيعزّز تراتب أهل الدرجات حتّى يكون أهل الدّرجة **حجّة** على أهل الدرجة دونها وهكذا. . . وتصبح النجاة محدودة بالترقي من خلال تلك السلسلة من

(74) راجع كتاب «الهفت والأظلّة» المنسوب إلى المفضّل الجعفي، فصل معرفة خلق الكافر.

الدّرجات؛ وبهذا **يظهر** نظام الخلق «**داعماً**» لنظام **الترقّي في تلقّي** العلم، وهو ما يعبّر عنه **بنظام النجاة** وقد يوهم ما سبق أن الحجة والمقام والظّهور بمعنى واحدٍ؛ وليس الأمر كذا، وبعض الأخبار الدقيقة تدلّ على أنّه:

1 ـ قد يُطلق مصطلح الحجّة على المقام الذي يظهر فيه الله بالقدرة، سواء كان نبياً أو مرسلاً أو إماماً ولكن يعني مصطلح الحجّة أحياناً خاصَّة أهل الدّرجات السّبع التي تمثّل عقاب الصّراط وهؤلاء هم المبيّنون في الفقرات 20 ـ 24. وهؤلاء هم أهل العلم الهادون طلاّب الإيمان إلى أرقى المراتب، والنجاة بذلك. والممتحن أو المخلص أو النجيب. . . ليس أيّ واحد منهم إماماً ولا مرسلاً ولا نبياً، ولا مقاماً يتجلّى فيه الله.

2 ـ تطلق المقامات على الأشخاص التي أقامها الله عنه لتبيّن للناس أمره تعالى ونهيه: وإنما الذي دعا إلى المقامات، إنكار الخلق لله وقد تراءى لهم بالنورانيَّة دون واسطة (ف 2 ـ 3). ثم إنّ الله بعث الأنبياء والرسل، فكذبهم أهل الجحود (ف 8 ـ 9)، فأقام الله **مقامات الإمامة**، يبلّغون دين الله عنه تعالى إلى الخلق فالمقامات، على وجه أخصّ، هي الأشخاص التي أقامها الله تعالى بعد أن كذب الأنبياء والرسل، هي أشخاص الأئمة؛ ومعناه، من خلال المرويّات، أنّ المقامات تطلق أحياناً على جميع الأشخاص من أنبياء ورسل وأئمة أجرى الله على أيديهم قدرته وبلغ بهم دينه (ف 4)؛ وتطلق المقامات، من ناحية أخرى، على أشخاص الأئمة خاصة (ف 9).

أمّا **وظيفة الحُجج** والمقامات فالشهادة على آيات الله والدّلالة على قدرته، والإبانة عما أمر به ونهى، بما لا يبقى للناس حجة يمتنعون بها عن الجزاء. فالحجج والمقامات هي الباب إلى الله، وهي «صراط لكل طالب مريد» (ف 47)، بما يبثّون أهل الإيمان من علم الباطن وعلم

الحقيقة (ف 46)؛ وإذا غاب المقام واستتر، أصبح ما قيّد من علم الحقيقة صراطاً للناس بعده، وهنا تطرح قضية المرجعيّة العلميّة بعد المقام القائم، فبعد مرجع العين يكون مرجع الأثر.

وتحيل مسألة المقامات أخيراً على **بنية التاريخ**، وذلك من خلال أخبار مفيدة منها مثلاً ما ورد في الفقرتين 4 و5. ثم ما جاء في الفقرة 214 خاصة. والجملة من كل الأخبار أن بنية التاريخ دائرية دورية، هي أولاً دوريةٌ، لأن أفعال الإنسان بين مؤمن وكافر لا تسير/ولا تصير إلى نهاية، بدايتها نهاية العالم، وخاتمتها الخلود في الجنة أو النار، وإنما هي موصولة بالدّور، مثل دور آدم، أو شيث أو نوح أو إبراهيم أو موسى. . . وهي عبارة عن حقب، الركيزة الواسمة فيها شخص مصطفى هو مقام قائم بالنّبوّة أو الرسالة.

ثمّ إن بنية التاريخ دورية مطلقة أبداً، وقد يبدو في هذا تناقض لأن ما كان دورياً لا يكون مفتوحاً ولا مُطلقاً. ويتبدّد هذا التناقض حين نقرأ في الفقرة 214 أنه لا نهاية لدورية التاريخ، بفعل تكرّر سيرة الإنسان الدّائرية، وتوالدها إلى ما لا نهاية له، جاء في الفقرة المذكورة:

«يا مفضّل، إنّ ظهوره في مقام نوح ألف سنة أو أقلّ أو أكثر وفي ظهور إبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد إقامة الظاهر، ألف سنة أو أقلّ أو أكثر، ثم في مقامات الإمامية إلى حيث أنت به تعاينه، ثم من بعد ذلك حتى تكون غيبته البلاغ، ويقيم الظاهر للكشف، ويكون ذلك ما كان جارياً في ملك مولاك لا نفاذ له ولا نقصان ولا زوال».

وهو تماماً في ما ورد في الفقرة 16: **«ولا يغرّنك من هلك، فإنّه يعود، ولا من يعود، فإنه [لا] يهلك إلاّ كمن كُوّن، وما من كُوّن [إلاّ] كمن هلك، ولا فرق بينهما، لا تباين إلاّ ما أدار بهما الدّهور، فأعاد الكرّات»**.

وهذه الرؤية تخالف التّصوّر السّني والشيعي على حدّ سواء لأنّ ظهور القائم، ورجعة الإمام المنتظر عند الإماميّة حدث قاطع غايته البلاغ إلى دار الخلود، أما التصوّر السُّني فيوجه سيرة المؤمن والكافر نحو البعث دون التّنصيص على الإمام المنتظر. وبهذا ينعدم في التّصوّر النصيري ـ حسب هذه المرويات ـ أمر البعث والجزاء في الآخرة، لذا احتاجت الفرقة إلى وضع رؤية أخرى لمفهوم العدل الإلهي فهو موضوع المشغل الأخير في الكتاب.

4 ـ سيرة المؤمن والكافر في البشرية وبعدها

تمثل قضية العدل الإلهي أبرز المشاغل في النّص الإسلامي كغيره من النصوص الدينية. ويهمّنا هنا أن نجلّي فهم النصيرية لهذه المسألة من خلال الجزاء والعقاب اللذين يختمان سيرة المؤمن والكافر. وتستند هذه الرؤية إلى أربعة مبادىء:

1 ـ في معاني البعث والقيامة والجنة والنار.

2 ـ في الحيوات المتعاقبة، والتّشكل في المثل تحقيقاً للعدْل.

3 ـ في معنى الموت.

4 ـ في أصل الإيمان والكفر.

فمعنى البعث والقيامة هو الكشف والظهور ورجوع كلّ شخص من بشريّ ونورانيّ وظلميّ إلى حاله الأول (ف 88)، ومعنى الجنة هو المعرفة، ومن بلغ هذه الدرجة فعليه أن يسأل مولاه أن يعرّفه كل المؤمنين ليزورهم في البشريّة والنورانيّة (ف 35)؛ والنار هي المسوخيّة... (ف 123)؛ وبهذا التّأويل تضع النصيريّة تصوّراً مختلفاً عن السُنيّ السّائد والشيعي المشهور، وتُعاد صياغة المسألة الأخرويّة بإحداث **نظام الحيوات**.

إن **مبدأ الحيوات** (ج حياة) **المتعاقبة**، تكون فيها حال الخلق في الحاضر من جنس السالف، وفي القابل من جنس الحاضر، يمكن من الاستعاضة عن الخلود الأخروي الثابت، بتعاقب الأكوار في الدنيا والتاريخ تعاقباً أبدياً، وإن كان هذا التأييد لا يوافق ما جاء في كتاب «الهفت والأظلّة» من تحوّل الكفار في الخاتمة إلى مجتمع نساء، والمؤمنين إلى مجتمع رجال[75] ومعناه أن **للموت** دلالة خاصة، هي النقلة من قميص إلى قميص أو من رتبة إلى أخرى في الهياكل الكثيرة، ولكلّ من المؤمن والكافر هياكل وقمصان، تستغرق أكواراً وأدواراً، وبهذا يكون الموت تغيّراً لحال وجود، ولهيئة كينونة.

تروي بعض الأخبار من ناحية أخرى أن الموت هو القتل بالمعرفة، وهو من ثم الحياة الأبدية (ف 42)، والمقصود بالمعرفة الإقرار والتّوحيد، كذا يكون الموت، من أسماء الربّ (ف 42).

إن الموت من هذا الطرف يلتقي **بالحياة** الحقيقية، بمعنى الحياة الأبدية، ولهذا الالتقاء يحقّقه مفهوم **الإيمان والكفر**، باعتبار الأوّل تصديقاً للمقامات، وإقراراً للخبر عنهم والاستدلال بأدلّتهم على معرفة الله... وباعتبار الكفر تكذيباً للأئمة وجرأة من ذلك على الله.

بهذه المبادىء الأربعة تتحدّد سيرة المؤمن والكافر، والجزاء عليها بما يجلّي عدل الله، دون الإخبار عن معاد أخروي ولا عن جنة أو نار.. يتّضح هذا من خلال تحليل وجيز للغاية لسيرة المؤمن من ناحية، ولسيرة الكافر من ناحية أخرى.

---

(75) الهفت الشريف. تحقيق مصطفى غالب، ص 167 ـ 168.

*** سيرة المؤمن**

تصف معظم فقرات الكتاب سيرة المؤمن والكافر وخاصّة منها ما يتّصل ببيان الصّراط ومنازل عقابه. ويمكن اختزال حال المؤمنين في:

ـ اصطصفاء الذّات بالاستزادة من تلقي المعرفة عن أهل المراتب وهم السبعة المذكورون سابقاً. وجملة القول في تلك المعرفة أنّها علم التّوحيد على ما أبانت المرويّات من علم الباطن والحقيقة في ما ترى الفرقة، ومعناه أنه **إيمان على وجه**، وغاية الأمر في النهاية أنه تصوّر للذّات الإلهيّة، ونظام العالم ولمنزلة الخلق فيه على ما أبانت المرويّات (راجع القسم الأوّل في التَّوحيد والثاني في نظام الكون من هذا التّقديم)؛ وقد يستغرق الاختبار، وتلقي المعرفة أكواراً وأدواراً على قدر الوُسع، والاستعداد، ويقتضي هذا أن يتردّد المؤمن في الهياكل البشريّة مُدَدَ الثبات على الإقرار بعد شكّ في ما تلقّى، وبهذا تصبح سيرة المؤمن وعاء لاستصلاح النفس بمعرفة الله على التدريج، حتى يتحقق اجتياز العقاب السبع.

ـ وليس المؤمن مع هذا بغافل عن حياته المدنية في المجتمع الذي يؤويه، بل يصبح الإيمان موصولاً في طرف منه بمعاملة الإخوان معاملة حسنة، وتلحّ المرويّات على واجب العالم المؤمن نحو أخيه (ف 93 ـ 98)، وتؤكّد أنّ التّعبد للمؤمن من التّعبّد لله (ف 91)، وتثني على المؤمن إذا كان سبباً لخلق كثير في الطاعة والإقرار (91).

وفي هذا أثر واضح للاجتماع في المقالة الدينية، وتحريره أنّ القلّة محتاجة إلى وثيق الأواصر لتتوطّد سلطتها وتسود كلمتها وتعلو يدها، ويعزّ جانبها، فكان التعاضد من أهمّ ما يقيم ذلك، وكان التعاضد من الإيمان المنجي.

ـ ولئن أفزع الموت عموماً، فإن في هذه المرويّات ما يجنح بالمرء إلى الطمع في الخلود، والاستمرار على حال من الحُسن، ما يسرّ النفس. فالهياكل التي توارى الثرى لا تندثر، وإنما هياكل المؤمنين بذرة طيّبة لنبات طيّب، يعبق أريجه، ويكون منه الرياحين والمسك؛ وينهض هذا الرأي بتصوّر اتّحادي يؤلّف بين شتى العناصر في الكون من الإنسان إلى البذور إلى النبت إلى الريح إلى الثمار. . . وليس هذا الاتحاد إعلاناً عن وحدة العالم فقط، وإنّما هو كذلك إعلان عن صياغة مفهوم الإيمان في خلق مختلفة أشكاله.

ـ ولا يغفل هذا التصوّر بعض الغرائز البشريّة في الإنسان، ومنها غريزة حبّ التّملك، والسيطرة والسيادة. . . ويوهم اتحاد كائنات الخلق في العالم بانتظام شديد يبرز لكل عنصر وظيفة، ولكن الخبر في المرويات يسوّد المؤمن مطلقاً، ويعبّر عن هذه السيادة بصورة رامزة إلى كلّ أشكال السلطة والنفوذ؛ تلك هي ملكية المؤمن للكافر (ف 181 ـ 183). يركبه، ويذبحه وينتفع به. . .

* سيرة الكافر

يكفر المرء بالإنكار والجحود، والجرأة على المقامات بالتّكذيب ونعتهم بالكهانة والسحر (ف 2 ـ 10)، وذلك بعد أن أخذ الله الميثاق على الخلق، وأقروا له بالوحدانية. ومن سائر أصناف التّكذيب والجرأة، يخصّ الخبر في المرويّات صنفاً يهمُّ من اتّبع أبا بكر وعمر وعثمان، واغتصبوا علياً حقّا، وأغفلوا دعوته، وأضلّهم الثلاثة الأوائل (ف 199 ـ 202) فرأس الباطل والكفر هو عمر، ثم أبو بكر ثم عثمان، ويكون كفر الناس باتّباعهم.

ـ والكفر درجات ومنازل تماماً كالإيمان. وحسب الدرجة والمنزلة

يكون الهيكل أو القميص الذي يتردّد فيه الكافر، وهذه المراتب المسوخيّة هي على التوالي: المسخ والفسخ والوسخ والرسخ، وهي هيئة كينونة تتدنّى في الوضاعة والحقارة إلى حدّ أن تبلغ أرذل العناصر؛ وتكون القمصان في الحيوات المتعاقبة والأكوار والأدوار متوازنة، متكافئة بحيث يقوم الحاضر على أصل السالف، والقابل على أصل الحاضر، ولا خلاف، وفيه تمام العدل، وكأن لا شكّ في اعتبار كلّ الكائنات المخلوقة المنفرة والمرذولة، هي أوعية الكافر، وهذا التناسخ يؤكّده اعتبار الكافر بذرة خبيثة.

ـ تذكر الأخبار في الصّراط أن هياكل الكفّار لا تفنى وإنما تنبتُ منها السموم القاتلة، والنبات ذو الرائحة النتنة، وشتّى الخبائث المنفرة (ف 139 ـ 140) ومثل هذا التّصوير يفزع المؤمن ويحمل على الطاعة ويترجم بالفعل تصوّر الفرقة القليلة لنفسها من خلال تصوّرها لعدوّها ومُخالفه.

يسع في الختام أن نستنتج ما يلي:

1 ـ لئن كان «الصّراط» في مقالات الإسلاميين مشغلاً أخروياً، فإنه في هذا الكتاب مسألة جامعة فيها من الإخبار عن قصة الخلق، والتحرير في هيئة العالم، والإلماع إلى الحجج والمقامات، والإسهاب في سيرة المؤمن والكافر في البشرية وبعدها، ما يسمح بالحديث عن **رؤية متكاملة** هي في النهاية اعتقاد التّوحيد على ما بيّنته المرويّات.

2 ـ لقد استتبع الحديث في العدل الإلهي **تصوّراً** لنظام حيوات متعاقبة، وتناسخ أبدي، وتعاقب الكرّات والأدوار، ووجودها متوازنة في العالمين البشري والنوراني في آنٍ، ومثل هذا التّصوّر يقتضي فهماً للحيّز والظرف، وفهماً **أشمل للتاريخ**، بحيث يظهر الإنسان فاعلاً بموجب حاله الأصلي، وهو أيضاً مجتهد في استصفاء النفس، ترتيباً لحياة قادمة أرقى، فبقي الإنسان في هذه الرؤية ترديداً ما للمبدأ،

وانفعالاً بالطارىء من الأحداث انفعالاً يدفع نحو التّرقي.

3 ـ لقد ظهر في مسألة التناسخ، ومقال القمصان والهياكل، جانبان واضحان: أوّلهما: انفعال الخبر بالمشغل السّياسي ـ الاجتماعي، كأن تسمو القلة بنفسها؛ وتقلّل من شأن مخالفيها، فتردّهم إلى أرذل العناصر. وأما الجانب الثاني، فيهمّ علاقة القول بوحدة الكائنات بالتصوّف، والرأي أنّ ذلك القول يشارف أطراف التّصوّف دون أن يكون منه بالتّمام.

4 ـ يمكن اعتبار جلّ هذه المقالات: من ظهور المولى، وتجلّي المقامات، وإجراء القدرة والعجز، والتناسخ، والإخبار عن نظام الكون... من المقالات الغالية. ونراها تتّصل اتّصالاً وثيقاً بما جاء في كتاب **«الهفت الشريف»**، إلى حدّ أنّ مقارنة مدرسيّة بين الكتابين تدلّ بصراحة على تماثل دقيق باستثناء بعض الأقوال التفصيليّة مثل: ما جاء في كتاب الهفت الشريف من تحوّل مجتمع الكفّار إلى مجتمع نساء والمؤمنين إلى مجتمع رجال؛ أو تفصيل القول في خلق الأئمة؛ والجنة والنار... وهو ما يدفع إلى اقتراح فرضيّة بحث هي: اعتبار كتاب الصّراط أصلاً لكتاب الهفت الشريف الذي زاد عليه بالتفصيل والإبانة بزيادة واضحة... ولهذا ترانا نميل إلى نسبة هذه المرويّات إلى من رجحت نسبة الهفت الشريف إليه.

4
وصف المخطوطة

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب النسخة الوحيدة المحفوظة بالمكتبة الوطنيّة بباريس، وعددها: عربي 1449. وتجدر الإشارة إلى أن كتاب الصّراط قد ورد ضمن مجموع من التآليف المنسوبة إلى فرقة النصيرية نذكرها:

1 ـ كتاب الأسوس المنسوب إلى العالم برواية المفضّل بن عمر الجُعفي من ورقة 1/أ إلى ورقة 79/ب.

2 ـ منظومة للكاتب يوسف، من ورقة 80/أ إلى 81/ب.

3 ـ قصيدة لعلي ابن صارم، من ورقة 82/ب إلى ورقة 83/أ.

4 ـ كتاب الصّراط المنسوب إلى المفضّل بن عمر الجُعفي من ورقة 86/أ إلى ورقة 182/أ.

والخطّ في المخطوطة نسخ واضح في الغالب، تغلب الأخطاء النحويَّة وأخطاء الرسم واللّغة، وكتبت عناوين الأبواب بالخطّ الغليظ، وصدر العنوان بعبارة: «باب» أحياناً؛ وأغفل ذلك أحياناً أخرى والصفحة من القطع المتوسّط، تضمّ الواحدة في الغالب أربعة عشر سطراً، وأحياناً اثني عشر فقط، ودون ذلك أحياناً أخرى ويضمّ السطر عادة إحدى عشرة كلمة. ويطرأ على المخطوط من فساد الكتابة بسبب كثرة المحو، واهتراء الأوراق، ولربّما فساد الحبر أيضاً ما يجعل الأسطر متداخلة، ويعسّر القراءة كما في الصفحات التالية 139/ب؛ 140/ب؛ 141؛ 142؛ 143؛ 162؛ 163؛ 164 مكرّر.

والناسخ هو يوسف بن الشيخ غريب بن الشيخ جابر... وتمّ النسخ بقرية القليعة من نواحي صافيتا، بسوريا وذلك سنة 1206هـ.

وكتب في الركن الأيمن من أعلى الصفحة الأولى من هذا المجموع «هذا كتاب الطائفة النصيرية عليهم لعنة ربّ البريّة»؛ وكتب بالغليظ في وسطها: «ربّ يسّر ولا تعسّر ربّ يسّر بالحبر». ويبدو أن العبارة الأولى من أعداء الفرقة.

وورد في الصفحة السابقة لكتاب الصّراط (ورقة 85/ ب): «تأمّل في هذه (هكذا) الكتاب المبارك أقلّ المؤمنين عرفاناً وأدناهم مقاماً، الفقير الحقير المستجير الرّاجي عفو مولاه العلي الكبير، المقرّ بالذنب والتّقصير علي ابن الشيخ سلامي مقرّ في الرجعة البيضاء، والكرّة الزهراء يوم كشف الغطاء في يوم تشخص أبصار الورى».

وجاء في الصفحة الأولى من المخطوطة (86/ أ).

«بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب الصّراط تأليف المفضّل ابن عُمر عمّر الله قلوبنا به. وحسبي الله ونعم الوكيل. ربّ أنعمت فزد يا كريم»؛ وتحتوي الصفحة الأولى على 10 أسطر.

وفي المخطوطة سقوط بادٍ للصفحتين 110/ب و111/أ، ولم يسع تلافيه كما يظهر تكرار أشرنا إليه في مواضعه.

* * *

منهج التحقيق

حرصنا في التحقيق على ما يلي:

1 ـ إصلاح كل الأخطاء، اللّغويّة، ولم نشر إلى ذلك لعمومها؛ ولكن كلّما رجّحنا وجهاً على غيره أشرنا إلى ما جاء في أصل المخطوط تماماً؛ ومتى رأينا وجهاً آخر ممكناً، ضبطناه في الهامش أيضاً وجعلنا النّص فقرات تيسيراً.

2 ـ الإشارة إلى عدد الصفحة في المخطوط، علْماً بأنّ كلّ عدد وضع على هامش الصفحة يعني وجه الورقة (أ) أو قفاها (ب) مثلما يعني نهاية الصفحة في المخطوطة لا بدايتها.

3 ـ توثيق الآيات توثيقاً علمياً بضبط السورة وعددها وعدد الآية. وفرّقنا بين الآية الواردة بالنصّ والآية الواردة بالمعنى، ونصصنا على الحالة الثانية في الهامش بعبارة: «استشهاد بالمعنى»؛ ولم نضبط الاستشهاد بالمعنى في فهرس الآيات القرآنية.

4 ـ عرّفنا بالأعلام تعريفاً موجزاً، وذيلناه بطرف في المصادر التي فضّلنا أن تراجع في الترجمة للأعلام.

5 ـ أشرنا بـ [ ] إلى الزّيادة التي رجحت عندنا بالنّظر إلى مقتضى السّياق.

6 ـ لما كانت المخطوطة نسخة وحيدة، استثمرنا ما جاء في النص مكرّراً أو مضطرباً نتيجة سهو الناسخ في النقل من نسخ كثيرة. وأشرنا في الهامش إلى ما هو من أصل النّص، وإلى ما هو من المكرّر، (راجع مثلاً ف 122، 126).

7 ـ أثبتنا قائمة في أهم المصادر التي أفدنا منها، ورتّبناها حسب المؤلفين دون اعتبار لـ: «ابن» أو «أبو».

8 ـ وضعنا فهارس للآيات والأعلام والأقوام والملل، والحيوان والنبات والأماكن والمصطلحات.

* * *

النص المحقق

كتابُ الصّراط

المنسوب إلى

المفضّل بن عمر الجعفي

(ت. 180هـ؟/ 796م؟)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

1 ـ رواهُ أبو الحسن محمّد الهُذْري، قال: رويتُ عن الشيخ الفاضل الثّقة أبي الحسيْن بن حمدان الخُصيْبي، شرّف الله العليُّ مقامه. قال: حدّثني محمّد بن منصور البغدادي، قال: حدّثنا أبو الحُسين/عليّ بن سليمان. قال: حدّثني أحمد بن إسحق البزّاز. قال: حدّثني الحسيْن بن محمّد القُمّي عنْ ماهان الأبُلي[1] عن يونس بن ظبيان عن المفضّل بن عمر عليه السلام، قال: سألتُ مولايَ جعفر الصّادق الوعد عليه السلام، وقد حضر عندهُ جماعة من أهل التّوحيد والإقرار يسألونه عن معرفة الصّراط وشرح باطنه وبيان نعته.

2 ـ فقال موْلايَ: «يا مفضّل، عمِيَ[2] الخلقُ عن معرفة الباري، فكيف لا يعمون عن الأوصاف والنّعُوت؟! وذلك أنّ الإنسان يحبُّ أن يكون بالمعنى أشدّ بصيرةً وأشدّ تفرّساً، وأوجد اختباراً منه بظنّ نفسه. وذلك أنّ الله تعالى ظهر لخلقه بالنورانية وأظهرهم بها، وأوجدهم نفسه،

---

(1) راجع الهامش عدد 68.

(2) في الأصل «عمت» ثمّ كتب فوقها، «عمو» تصحيحاً.

ودلّهم على ذاته، فناجاهم خطاباً واضحاً، ونُطقاً بَيّناً عياناً وإيجاداً ووُجوداً وعرّفهم أنه الخالق لهم، فقال/ وقوله الحقّ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[3]. [86/ب] وكان ذلك السّؤال اعترافاً واختباراً، اختبرهم به: هل يعرفونه؟

3 - وإنّما قال: «ألستُ بربّكم»[4] كما قد صحّ ذلك لكم، «فقالُوا بلَى»، أجابوهُ بالمعرفة والإقرار له قبل السؤال. وذلك أنّ الله تباركَ وتعالى لم يكُن يسأل من لم يعرفه ولا عاينهُ، ولا أقرّ به، فيقولُ: «ألستُ بربّكم». وإنّما كان ذلك عن معرفة متقدّمة، وكانوا عند ذلك من العماية به والشكّ فيه مع الإجابة والإقرار وهم [أشدُّ] دَرءاً في النّور[5] وأشدّ تيهاً وحيرة منهم فيه عند ظهُوره بالبشرية لمّا أظهر لهم[6] الأفعال وأوجدهم أنّه كَهُمْ، وأنّه مولاهم: ودعاهم إلى الإقرار به كما أقرّوا به في ذلك الوقت، وقد ظهر [في] اللاّهوتيّة العُظمى والنورانيّة الباهرة. فلمّا اشتكل عليهم [في] الحالين صدّوا عنه العالم، ونسبوا الأفعال إلى السّحر والكهانة لأنّهم عرفُوا السّحر والكهانة، وما هُما وما باطنُهما وما نعْتُهما، وأيّ حجّة تلزم العالم في معرفة السّحر والكهانة؛ ومن أين أُصّلَتْ وعلام فُرّعت، وإلام تأوّلتْ،

4 - واعْلمْ يا مُفضّل: ما أقام الله مقاماً منذُ أظهر/آدم إلى ظهور [87/أ] السيّد محمد عليه السلام، إلاّ قد خاطبه هذا العالم أنّه ساحرٌ. وكان من ذلك قول الملائكة حين قالت بزعمهم، والملائكة لم تقُلْ ذلك لأنّ هذا تنزيلٌ في الكتاب. وهو قوله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[7]. والفساد، أرادوا به السّحر والكهانة وكذلك، كان من قابيل

(3) الأعراف: 7/ 172.
(4) راجع المصدر السابق.
(5) في الأصل: «في النور منهم. . .».
(6) في الأصل: «ظهر لهم».
(7) البقرة: 2/ 30.

مع هابيل حين قرّبا القرابين، وتقبّل من هابيل، ولم يُتقبّل من قابيل. قال: «إنّك لساحرٌ، سحرت النّار حتّى أحرقت قُربانك وسحرْتها حتّى لا تمُرّ بقُرباني». فحسدُه ونسبُه إلى السّحر فقتلهُ.

5 ـ وكذلك كان في شيث، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وكلّ ما بينهم من الظّهورات الّتي ظهرت بينهم بالنبوّة والرّسالة، ما رَموْهُم فيها بغير السّحر والكهانة. وأخبر الله عزّ وجلّ بذلك عنهم وبيّنهُ في كتابه. فمن ذلك قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾[8]: وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾[9].

وقوله[10]: «/ قالوا/ ساحرٌ [أو] مجنونٌ: «وقوله: «فلما جاءتهم آياتنا بينات قالوا: إن هذا إلا خبر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين»[11] وقوله: «إن هذا إلا سحر افتراه وأعانه عليه قوم آخرون»[12]. وقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ﴾[13]. فهذا يا مفضل من صحّة عزمهم وثباتهم على الجُحُود والكُفر بكلّ ما أظهر لهم بالبشريّة من الظّهورات والمقامات، لأنّهم قد أصروا على جُحُودهم وكفرهم بها، ولا يرجعون عن اعتقادهم وكفرهم وجُحُودهم ذلك.

6 ـ وآيّ في الكتاب كثيرٌ في السّحر يطول شرحه عليكم، ما هو،

---

(8) الأعراف: 7/ 109.

(9) طه: 20/ 63.

(10) في الأصل: «وقالوا» ولا وجوه للواو في الآيتين 39 و52 من سورة الذاريّات (51).

(11) راجع النمل: 27/ 13؛ القصص: 28/ 36. استشهاد بالمعنى.

(12) راجع الأنبياء: 21/ 5؛ الفرقان: 25/ 4. استشهاد بالمعنى.

(13) القصص: 28/ 48، جاء في الأصل: «لا قالوا ساحران تظاهران، وقالوا: إن بكلّ كافرين، أمّا المسقط من الآية فهو: «أو لم يكفروا بما أوتي موسى».

وما وصفه[14]، وإن كان يسيره[15] في أيديكم من الكتاب؛ لأن الذي في أيديكم من الكتاب هو[16] جزءٌ من ستين جزءاً. ثم إنَّ السّتين جزءاً هي ستمائة جزءٍ هي جزءٌ من ستَّة آلاف جزء، وإنّ السّتة آلاف جُزءٍ هي جزءٌ من ستّين ألف جزء. ثمّ إنّ السّتين ألف جُزءٍ هي جزءٌ من ستّمائة ألف جزءٍ، ثمّ إنَّ الستمائة ألف جزءٍ هي جزء من أجزاءٍ لا تُحْصى. ولا نهاية لها/ ولا لعددها؛ ولا آخر لها، كما قال تبارك اسمه: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾[17]. [88/أ] فإذا كان هذا وصفه، فما يكون آخرون؟ومن أين تكون نهايته؟ هل يُدرك كنْهه؟

وذلك أنّ الكلام بدؤه من المُتكلّم؛ فإن وجدْت للمبتدىء ابتداءَ أوّل؛ وإن وجدْت للمُبتدىء آخراً، وجدت للكلام آخراً ونهاية. فاعقل هذا، يا مفضّل، وليعقله من سمعه من أهل التّوحيد والمعرفة لله تعالى، فإنّه ليس فيه أوّل ولا فانٍ من قوْل ولا كيف[18] وما هلك [إلاّ] من أهْلك[19] الضالّون وأتاهُ[20] الشاكّون.

7 ـ واعْلمْ يا مفضّل أنه ما أقام الله مقاماً في البشرية بين هذا الخلق في سائر الدّهور والأكوار والأدوار والأحقاب والأعصار إلاّ وقد وصف العالم فعالهم بالسّحر والكهانة وجاهدوه[21] بها إلى ظهور السيّد الأكبر

---

(14) في الأصل: «وصفها».
(15) في الأصل: «ليسيره».
(16) في الأصل: «وهو».
(17) الكهف: 18/ 109؛ وجاء في الأصل «. . . مداً».
(18) في الأصل: «فإنه ليس فيه ولا كيف ولا فإن من قول ولا كيف. وما هلك من هلك، ويبدو أنّ «كيف» الأولى مشطوبة.
(19) في الأصل: «هلك».
(20) في الأصل: «تاه».
(21) في الأصل: «جاهدوهم».

محمّد منه السّلام؛ بهر بالأفعال الباهرات والآيات البيّنات والدّلائل الواضحات. وأوجدهم إيّاها سماويّة وأرضيّة، فأوجدها عياناً من معادنها، فأحيى الموتى، وأمات الأحياء، وكان ذلك مما وصف/به نفسه، فقال [88/ب] تعالى ذكره: بل الله يحيي ويميت[22].

8 ـ وأراهُمْ في السّماوات آيات وفي الأرض آيات، فبهرهم بها بعد رمْيهم له بالسّحر. [ثمّ] إنّه أوجدهم [إيّاها] في أشخاص أقامها مقام الإمامة [و] عدل بها عن النّبوّة؛ وكان العالم ينسبون[23] مقاماتهم إلى السّحر إذا أظهروا الدّعوة والشّريعة، فكانوا يقولون: «إنّ هؤلاء يدعوننا إلى القبول[24] والتّصديق[25] بسحرهم»، فلما ظهر مثل ذلك في مقامات الإمامة بغير شريعة ولا دعوةٍ رموْا من قبل ذلك وسلّم إليهم بالكُفر وقالوا فيهم: «إنهم يقولون: إنّ الإمام الذي أتى بهذه الدّلائل الواضحات والمعجزات الباهرات ربٌّ؛ فزادت رُتْبة النبيّ الذي رموْه بالسّحر والكهانة، ورموْا من أجابه [بأنه] قد قبِلَ سحره، ومن صدّق به. ورموْا الإمام [بـ] أنّه ادّعى الربّوبيّة؛ وأنّ من أجابه فقد عبدهُ وكفر بالله. فانْظُرْ يا مفضّل إلى هاتين المنزلتين في العالم.

9 ـ وذلك أن / الله/ لم يُظْهر فيهم ذلك و[لمْ] يُقم مقامات الإمامة إلاّ بعد الأعذار والأنذار والرُّسل في مقامات[26] النبوّة وإثبات الحُجَّة عليهم. فلمّا قرُب كشفُ الغطاء/وظهوره لهم بالمخاطبة الأولى والمشاهدة [89/أ] القائمة، أظهر لهم مقام الإمامة بعد النبوة.

---

(22) راجع آل عمران: 3/ 156؛ الأعراف: 7/ 158؛ التوبة: 9/ 116؛ يونس: 10/ 56 استشهاد بالمعنى.

(23) في الأصل: «ينسبون مقاماتهم».

(24) في الأصل: «إلى القبول فيهم».

(25) في الأصل: «والتصديق لهم».

(26) في الأصل: «تكرار لمقامات».

وكذلك جرتْ قُدرته في الأكوار والأدوار والأحقاب والأعصار في سنّة واحدة، لا يزيد زمان على زمان، ولا أوان على أوانٍ. وإنّ ذلك هي الحكمة القائمة، إذْ لا نهاية لها ولا غاية لبلوغها، وذلك وجودُ الموجود من حيثُ وجود العالم. وذلك لمّا بطن في ظهوره. وظهر في بُطونه، واحتجب في كشف ذاته، فكانت القُدرة منه جاريةً وخفيّة، باديةً عند إعادته لها.

10 ـ وكان الخلق المنكوس عند ذلك على منهاج واحد، سواء على جُحودهمْ وُجودَهُ مع عدمه في بطونه، لا يُسلّمُون ولا يعرفون شريعة ولا حداً ولا حقاً؛ فاختبرهم بذلك مدّة إرادته فيهم؛ ثُمّ شرّع شرائع، وأخبر أنّ لكلّ شريعة منهاجاً ومقصداً جزاءً وعطاءً. ثُمّ إنّه أبان فضل الشّرائع وأوضح لهم تلك المناهج؛ ودلّهم على تلك المقاصد، وشرح الجزاء وأوضح العطاء. وجعلها على حالين في العالم تجري دائماً، لا غيرهما؛ وهما الأمر والنّهيُ. وهما اللّذان تجري بهما كلّ طاعة ومعصيةٍ/ وإيمانٍ [89/ب] وكُفرٍ وعدلٍ وجوْرٍ، وأمن وخوف، وهمّ وفرح، وعُسْرٍ ويُسْرٍ، وبؤسٍ ورخاءٍ، وبعدٍ وقربٍ، وسلْمٍ وحربٍ، وحمْدٍ وذمّ، وشُكرٍ وجحدٍ، ورضوان وغفرانٍ، وانتقام وعذابٍ، وسعادةٍ وشقاءٍ، وحياةٍ وموتٍ، وخير وشرّ؛ وكلّ شيء يقع مواقع ما نعَتّه لك، فهو يجْري [مجراه] ويكون بكونه بقبول هذين الوصفين، وهُما الأمر والنّهي. فما كان من أمْرٍ أمَرَ الله به واسْتسنَه العالم. وصاروا عنده، وائتمروا به كان[27] لهم عليه العطاء، وكانت لهم المنازل المحمودة في هذا النّعوت. وما كان من نهْيٍ نهى الله عنه [و] أتوْهُ عناداً، ولم يقْبلوهُ، فقد كان لهم [عليه] جزاءٌ.

11 ـ وقد جعل لها حدوداً وشروطاً. ونهى أنْ يتّخذ هؤلاء الّذين

(27) في الأصل: «واتمروا له».

بهذين الحالين بعضهم لبعض أولياء؛ فقال عزّ وجلّ: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[28]؛ [و] قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[29] وأهل الإقرار هم الّذين قد تمسّكوا بالنّهي وخالفوا الأمر/ [1/90] قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[30]. وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[31]؛ وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[32]؛ وقال: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا * * وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[33]. وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[34]. وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[35] وقوله: ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾[36]. فهذا يا مفضل دليل على كل أمر من الله في خطابه على ما قدّمْتُهُ إليك في الشّرح والنّطق والكلام، لأنه لا آخر له ولا نهاية: وبذلك عرفت الطاعة والمعصية لأنّ أمْرهُ حقٌّ مقصودٌ.

12 ـ وأما ما كان من نهي نهى الله عنه [فـ]مثل قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾[37]؛ وقوله: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[38]، وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[39]

(28) آل عمران: 3/ 28، جاء في الأصل: «لا يتخذ المؤمنين».
(29) راجع التوبة: 9/ 71؛ إسقاط المؤمنات في الأصل.
(30) يونس: 10/ 59؛ وجاء في الأصل: «قل الله بهذا أم على الله تفترون».
(31) النحل: 16/ 90.
(32) النساء: 4/ 58، وجاء في الأصل: «... الأمانة...».
(33) النمل: 27/ 91. وجاء في الأصل قل إني أمرت...
(34) طه: 20/ 132.
(35) الشورى: 42/ 52.
(36) هود: 11/ 40.
(37) الأعراف: 7/ 22، جاء في الأصل: «ألم أنهاكم عن أكلكما هذه الشجرة».
(38) النحل: 16/ 90.
(39) الحشر: 59/ 7.

وما يقعُ مواقع النّهي [فمثل] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[40]؛ وقوله: ﴿لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[41]: وقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[42]. وقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[43]؛ وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾[44]؛ وقوله: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[45]؛ وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[46]/ [90/ب] ؛ وقوله: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾[47]؛ وقوله: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾[48] وقوله: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾[49]؛ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[50]؛ وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾[51]. وكلّ هذا[52] في كتاب الله فهو نهيٌ. فالأمرُ والنهيُ يجمعان الطاعة والمعصية؛ فتركُ الأمر واتّباع النهي هو الكُفر؛ واجتنابُ النّهي واتّباع الأمر هو الإيمان.

13 ـ فأمّا النّعوت التي نَعتُّ لك والأوصاف التي وصفتُ لهذين الحالين وهُما الأمر والنهيُ، فلهما مصادرُ ومواردُ منها الميزان، وهو قوله

(40) النساء: 4/ 171.
(41) يس: 36/ 60.
(42) النحل: 16/ 51؛ جاء في الأصل: «لا تقولوا الهين اثنين هو إله واحد».
(43) النساء: 4/ 171؛ جاء في الأصل: «... إنهما هو الله إله واحد».
(44) هود: 11/ 2. فصّلت: 41/ 14؛ الأحقاف: 46/ 21.
(45) البقرة: 2/ 60؛ الأعراف: 7/ 74؛ هود: 11/ 85.
(46) البقرة: 2/ 168؛ 208؛ الأنعام: 6/ 142؛ النور: 24/ 21. الشعراء: 26/ 183: العنكبوت: 29/ 36.
(47) النازعات: 79/ 40.
(48) آل عمران: 3/ 196 ـ 197، في الأصل: «ولا يغرنّك».
(49) المائدة: 5/ 77 في الأصل؛ «ولا تغلوا في دينكم إلا الحقّ».
(50) الإسراء: 17/ 32، في الأصل: «كان فاحشة ومقتاً...».
(51) الإسراء: 17/ 34.
(52) في الأصل: «كل هؤلاء».

تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾[53]؛ وقوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾[54]؛ وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[55]؛ وهو قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[56] وفي الموازين آياتٌ كثيرةٌ يطُولُ شرحُها.

14 ـ ثُمَّ إنه جعل لها حفّاظاً يحفظونها، فقال تبارك اسمهُ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ/ [1/91] إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[57]؛ وقوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[58]؛ وقوله: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[59]؛ وهما هذا[60] االمتلقيان، وشرحُ الحفّاظ طويلٌ.

15 ـ ثُمَّ وصف الكتاب فقال: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ * وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا * ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[61]؛ وقوله: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾[62]؛ وقوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[63]؛ وقوله: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[64]. وهو اللفظ [أي] كتاب مبين؛ وقوله يُخبرُ عنهم باعترافهم بالكتاب:

---

(53) الأنبياء: 21/ 47؛ في الأصل: «وتضع الموازين بالقسط».

(54) القارعة: 101/ 6 ـ 9.

(55) الزلزلة: 99/ 7 ـ 8.

(56) الأنبياء: 21/ 47؛ في الأصل: «وإن يك».

(57) ق: 50/ 17 ـ 18.

(58) ق: 50/ 19..

(59) ق: 50/ 21.

(60) في الأصل: «هؤلاء».

(61) الاسراء: 17/ 13 ـ 14، وفي الأصل: وكفى...

(62) الحاقة: 69/ 25.

(63) الجاثية: 45/ 29.

(64) يس: 36/ 12.

﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[65].

16 ـ وقد قال إماراً[66]، وقال استئنافاً بعد هذا، وقوله[67] ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[68]، فالأجل الكورُ والدّور[69]؛ كما يُقال[70]: إن أجل الشيء مدّته وكونه؛ فأجلُهُ وكونه له كتاب ونعوتٌ وأوصافٌ فيما كان قبلها ويكون بعدها. وهي كذلك بدوام المُلك المكوّن لها لا نفاذ ولا انقطاع. ولا يغرّنك من هلك، فإنّه يعُودُ، ولا من يعودُ فإنه [لا] يهلكُ إلا كمن كُوّن وما من كُوّن[71]/ [إلاّ] كمن هلك ولا فرق بينهما[72]، ولا تباين إلا ما أدار بهما الدّهور فأعاد الكرّات. [91/ب]

17 ـ ثم إنه قال: يا مفضّل، جعل الله الغاية من تناهي ذلك، ثم بيّن الكيْل والميزان والقسط فقال: ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾[73]؛ وقال في التّوراة والإنجيل: «بالدّين الذي تدين تدان، وبالكيل الذي تكيل تُكالُ»[74]. ثمّ بيّن الكتاب، وجعله اعتباراً، ثم قال بعد ذلك، صراط ممدودٌ. ووصف الصّراط، وذكره في القرآن كثيراً[75] وذكر أن له سبع عقاب، وأنه ذو حدّة أحدّ من السيف وذو دقّة أدقّ من الشعرة، وأن فيه

---

(65) الكهف: 18/ 49.
(66) في الأصل: «امراراً». والمقصود أمراً.
(67) في الأصل: فقوله: «ورجحنا الواو لمناسبة التركيب».
(68) الرعد: 13/ 38.
(69) أضيفت كلمة: الدّور. بالخط الرقيق بين السّطرين وأشير إلى موضعها.
(70) في الأصل: «قال».
(71) في الأصل: «ولا كمن كوّن كمن هلك».
(72) في الأصل: «بينهم».
(73) راجع الأنعام: 6/ 152؛ الأعراف: 7/ 85. استشهاد بالمعنى.
(74) راجع إنجيل متّى: الإصحاح السابع: 1 ـ 2. الاستشهاد بالمعنى.
(75) مثلاً: هود: 11/ 56؛ إبراهيم: 14/ 1؛ الحجر: 15/ 41.

صعوداً وهبوطاً، ونعته بنعوتٍ أذْهلت العقول وأوجلت القلوب[76]، وتحيّرت الألباب[77]، وهذا بدء مسألتك، يا مُفضّل، وإنّما قدّمتُ لك من الجواب ما سلف من الخطاب ليتّضح لك الحقّ وينشرح لك معنى الصّدق ولتعلم بذلك أنّ المُساءل أعلم من السّائل والمفهم أعلم من المستفهم، وأنّ المُسمع أبلغ من المستمع، فكن لجوابك واعياً وعليه مُواظباً، وحثّ عليه واقصد إليه[78]، فإنّي أشرح لك من باطن مسألتك/ وما يثبُتُ لك به [1/92] من التوحيد، ويتّضح لك الحقّ ويبطل عنك الشكّ ويدحضُهُ، ويستبينُ لك هُداك، وتعرف عند ذلك ربّك وما لك[79] فما لكلّ أجيرٍ غير أجره ولا على المقترف غير وِزْرِهِ.

18 ـ فاعلم يا مُفضّل أن الله جعل الأبواب مفاتيح للخيْر، وجعلك أحدها[80]، إذْ خصّك بالسّؤال عن الحكمة باستنباطك لتناهي العظمة. وقد قال السيّد الأكبر محمّد منه السّلام: «إنَّ الله خلق خلقاً جعلهم مفاتيح للخير ومغاليق للشرّ»[81]. والخير هو الباطن، والشرّ هو الظّاهر. وأنت أحدُ ذلك الخلق. وعليك بيان ما أُلْقيه إليك واكشفهُ لتكشفهُ وتُلقيه إلى أهل الصّراط الذين[82] لا يرتقي المُرتقي إليهم إلاّ بمقدار علمه وعمله واجتهاده؛ فإنه إن كان له علم وعمل يجاوز به عقبةً جازها، وإن زاد علمه وعمله بمقدار ما يُلحقه بعقبةٍ[83] ثانية لحق بها. إنْ رقّاهُ علمه وعمله

(76) في الأصل: «وأجلت لها القلوب»، ويمكن قراءتها: «ووجلت منها القلوب».
(77) حول الصراط راجع مثلاً، المجلسي، بحار الأنوار ج68 ص 78.
(78) في الأصل: «وواظب إليه»، ثمّ صححت أسفلها بالهامش كما أثبتنا.
(79) في الأصل: «وممّالك».
(80) في الأصل: «أحدهما». ولعله سقطت عبارة هي: «ومغاليق للشرّ وجعلك. . .».
(81) لم يسعنا تحقيق هذا الحديث. وأعلمنا الباحث الشيعي د. حسين المدرّسي أنه من وضع النصيرية.
(82) في الأصل: «الذي».
(83) في الأصل: «يلحق به عقبة».

إلى ثالثة رقى إليها[84] وإن سما[85] به إلى رابعة سما إليها، وهي عقبة
[92/ب] النّجيب، فيكون عند ذلك قد جاوز ثلاث عقابٍ، وإن زاد إلى / الخامسة ارتفع إليها. وإن رقّته إلى سادسة رقى إليها، فهو كذلك إلى تناهي السّبع عقآب.

19 ـ وأنا أشرح لك معنى[86] ما ابتدأتُك به، فتثقْ بمولاك و[تُـ]سلم لأمره[87] وإذا شرحتُ لك فاحْفظ. وإذا أخبرْتُك به فاحفظْ. وكُنْ للمستمع ناصحاً كنُصح[88] موْلاك لك ومشفقاً كإشفاق موْلاك عليك»: فإنك سبب هذه العقاب ومقصدها؛ وإليك تناهى بلوغها. فبلّغ إلى العالم مسلك سبيل الصّراط. وتجاوز العقاب وزُلَفها[89] وما دام الخلق يعجزون عن البلوغ إلى نهاية العقاب السّبع فإنهم في تعبٍ ونصبٍ وشقاءٍ.

20 ـ واعْلم يا مفضّل أن أوّل عقبة يُسلكها العارفُ الطّالب فهي عقبة المُمتحن؛ وأنّه إذا سمع الطّالب المُريدُ من المُمتحن علماً باطناً وأقرّ به وسلّم إليه وواظب عليه، وطلب الزّيادة منه. فقد استوجب أن يبلّغه مولاه ويزلفه إلى العقبة الثانية، وهي عقبة المخلص، فإنّه إذا بلغ إلى سماع علم
[93/أ] المخلص فقد جاز[90] **العقبة الأولى/** ووصل إلى العقبة الثانية، فهو عندها واقف، وإن هو كبر عليه ما ألقى إليه الممتحن وما سمعه منه ولم يحمله. وشكّ فيه أوقف دون تلك العقبة، ولا يزال موقفاً عندها وعليها حتى يزول عنه ذلك الشكّ والضّعف المعارض له، فيمُرُّ به ما يمُرُّ من الشدّة

(84) في الأصل: «كتب فوق رقى» سما تصحيحاً دون شطب الأصل.
(85) في الأصل: «سمت».
(86) في الأصل زيدت كلمة معنى بين السطرين وأشير إلى موضعها.
(87) يمكن قراءة هذه الجملة على وجه آخر: «فثق بمولاك، وسلّم لأمره».
(88) في الأصل كنصحك.
(89) في الأصل: «أزلافها».
(90) في الأصل: «جاز عن».

على ما يصف أهل الظاهر من هول العقاب والسّقوط عنها والتثبيت بها. وذلك أن السّقوط عنها هو الشكّ فيما يردُ عليه من علم العقاب، وصاحب العقبة والرُّجوع عنه، والتّثبيت هو الوُقوفُ والقبولُ من صاحب العقبة؛ فإنه إذا شكّ بما يُقال له من العلم سقط؛ وإن عاودهُ[(91)] وألْوى به[(92)] وقبِلهُ وتمسّك به، واجتهد بنفسه في مُعاناته في طلب الزّيادة من صاحب العقبة، ثبتتْ به.

21 ـ ولا شيء أشدّ من هذا العلم وحمله والجزاء على إنكاره ومعاناته والشكّ فيه والتّقصير بمعرفته. فإذا حمل علْم المخلص وقبِلهُ ولم يشُكّ فيه، فقد أسعده مؤْلاهُ، وبلّغه مُناهُ، إلى أن يسمع من المختصّ العلم ويكون قد جاز عقبتين من مسلك/ الصّراط، وعلا إلى الثالثة منها، [93/ب] وفي كلّ عقبة من هذه العقاب السّبع، إذا علا إليها، وَرَدَ عليه علمٌ، هو أعلى وأرفعُ[(93)] ممّا سمعهُ من العقبة التي دونها. وكلّما حمل من تلك العقبة العلم، استوجب أن يسمع ما هو أعلى وأرفع وأنفع من ذلك، وكلّما قصر عن[(94)] علم عقبة كان جزاؤه على عجزه في الدّرجة العالية العظيمة أعظم من جزائه في العقبة التي كان عليها ورقى منها.

22 ـ وإذا حمل عِلْمَ المختصّ وما يلقيه إليه ويُظهرهُ عليه، استوجب أن يرفعه مولاه إلى العقبة الرّابعة، وهي عقبة النّجيب. ويكون عند ذلك قد جاز ثلاث عقابٍ من مسلك الصراط، ووصل إلى الرابعة منها. وإذا سمع علمَ النّجيب وحمله وصبِرَ عليه، ولم يجْحدهُ، ولم يشُكَّ فيه، استوجب أن يجُوز تلك العقبة إلى ما فوقها من العقاب ويصير من أهْل

(91) في الأصل: «عاود إليه».
(92) في الأصل: «ألوى إليه».
(93) في الأصل: «هو أعلى وارتفع».
(94) في الأصل: «من».

الصّفاء والتخلّص. ويعلو إلى سماع علم النّقيب، ويُشاهد دلائله، وبراهينه ويكون عند ذلك قد جاز أربع عقاب من/ مسلك الصّراط. وعلا إلى [94/أ] الخامسة منها، وصار في منزلة من يحلُّ في الملكوتِ.

23 ـ وإذا حمل علمَ النّقيب ولم يُشكَ في جميع ما يورد عليه ويظهر له، وكان مُسلماً، ويعلمُ أنه لا يدعوه إلى الباطل ولا يوردُهُ إلى الضّلال، استوجب أن يعلو درجة إلى سماع علم اليتيم؛ ويكون قد جاز خمس عقاب من مسلك الصّراط، وعلا إلى السّادسة منها، وصار بمنزلة الشاهدين والطائعين. فإذا سمع علم اليتيم، وقبله، وسارع إليه، علم أنَّ الذي سمعه من قبل أصغر[95] ممّا سمعهُ علْم اليتيم، وأنّ مولاه يزيده معرفة وتقيّة ويقيناً وخبرة لأنه يختبر فيه الاختبار العظيم. ويَظْهَرُ له من اليتيم الاختبارُ العظيمُ لأنه يظهر له من اليتيم اختبارٌ كثيرٌ يبْلُوهُ به، فإذا ثبت عنده ذلك ولم يَزِلَ، ولم يشُكّ، استوجب أن يبلغ بفضل مولاه عليه وإحسانه إليه أن يسمع من الباب علم مولاه صراحاً وكشْفاً وعياناً فيكونُ بعد المشاهدة مُعاينهُ بالنّظر ويجمع له الأمُور والأصول التي سلفتْ له في جميع العقاب، فيكون إن شاء غائباً، وإن شاء حاضراً وشاهداً[96] وثابتاً، [94/ب] وغائباً، ومُعايناً ومستمعاً، لا يغرب عليه شيء من طِلْبته وإرادته وبُغْيته، ويكون عند ذلك سبباً من أسباب الله وحُجَّةً على أوليائه، ونِقْمةً على أعدائه، وسِرَاجاً يُستضاءُ به، ومكاناً يُشار إليه مقْصداً أوْ مطْلباً.

24 ـ وقد يكون جاز من مسالك الصّراط ستّ عقابِ، وبلغ السابعة فعليه عند بُلوغها الاجتهاد والطّلبُ والمُواظبة وجمع العزيمة والزّيادة في التّعبّد، فإنه إذا تكاملت به السّبع عقابِ، فإنّما وراءها ظهور مولاهُ وعيانه

(95) في الأصل: «صغيراً».

(96) جاء في الصفحة 95/أ قول الناسخ: «أيها الواقف فوق هذه الصفحة لا تقرأها سهوه وغلطه (كذا)... ثم شطبت كل الصفحة.

إيّاهُ، وسماعه لخطابه، وبلوغه إرادتهُ وهي العقبة التي نعتها الله ووصفها وذكرها الله تعالى في كتابه فقال: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾(97) فإنه إذا صار إلى تلك العقبة السابعة وحصل فيها، فقد خرج عن التعبُّد، وصار حُراً مُحرّراً، عَلِمَ ما علمَ فاستغْنى عن التّعليم؛ وبصُر فاستبْصر فغَنِي عن مُبصَر، وسمع من مُسمع فغني عن الاستماع، ووجد ما طلب فغنِي عن البحث. واعْلمْ يا مُفضّل أنّي مُبيّن لك من باطنه باطناً [95/ب] ثابتاً وشرْحاً/ واضحاً.

* * *

(97) البلد: 90/ 11 ـ 13.

[باب]

معرفة العِقاب ومنازلها

25 ـ يا مفضّل، إنّ عقبة الممتحن التي يصيرُ إليها الطالبُ ويسمعُ منها هي[98] الممتحن لذلك الطّالب. وليس يظهر لكلّ طالبٍ، وإنّما يظهر لطالب محقّق صادق في مستوجب ظهوره له، فإذا ظهر له الممتحن وسمع منه، وحمل عنه، وأقبل عليه، فليس[99] يظهر له غيرهُ من أهل المراتب والدّرج العلويّة، أهل العقاب، حتّى يستوجِب بظهوره له وقبوله من الممتحن صاحب العقبة الثانية، [و]عند[100] ظهور الممتحن لهذا الطالب يكون محله في السماء الأولى، لا يجاوزها إلى الثانية؛ فإذا وصل إلى العقبة[101] الثانية، وهي عقبة المخلص، فليس يظهر له سواه ولا يُشاهد غيره، وغير الممتحن. ويرقى إلى السماء الثانية، ويكون له فيها محله كما كان له في السماء الأولى. [و]لا يجاوزُ هاتين السّماوين إلى الثالثة حتى يستوجب بقبوله[102] من المُخلص العلُوّ إلى الثالثة، فعند ذلك يظهر له المُخْتص ويرقى بظهوره له وسماعه منه وإقباله عليه، فيصير له محلٌ في السماء الثالثة كمحله في هاتين السماوين ومنزلة مثل منزلته فيهما. فيحلّها.

---

(98) في الأصل: «فهي».

(99) في الأصل: «وليس».

(100) في الأصل: «له عند».

(101) في الأصل: «زيدت القبة فوق الثانية استدراكاً».

(102) في الأصل: «في قبوله».

26 ـ وكذلك عند كمال قبوله من المُختصّ، يظهر له النجيب، فيُعاينُهُ ويُشاهده/ ويعلم منه ما يطلعه عليه ويلقيه إليه، فيكون عند ذلك [96/أ] مشاهداً للممتحن والمخلص والمختصّ والنّجيب؛ ويكون محله في السماء الرابعة محله في ما قبلها، السماوات، ويرقى إليها ويهبط ويحلُّ في أيّها شاء؛ وإن شاء الأرض فهي له، لأنه قد ملك كلّ ما أراد منها أن تؤتيه إيّاه، وذلك أنه لا يرقى إلى المحلّ العالي حتى تزول عنه المراتب الأرضية البشرية. وإذا تكامل ذلك كله فيه، وهي سبع عقاب، وثبت في جميعها رقى إلى المحلّ العالي العلوي، وصار، عالمه، وهي رتبة العالم النوراني.

27 ـ وإذا استوجب بقبوله وإجابته للنجيب، ظهر له النقيب، ويكون في ذلك ظهور مشاهد لمن[103] ظهر له، لا يجد أحداً ممن لم يظهر له، فإذا استوجب بقبوله وصفاته ظهور الأثر ممّن (لم) يظهر له، وإذا[104] استوجب ظهوره له، ظهر له الذي فوقه [و] علتْ منزلته، وصار له مع ظهوره محلّ في السماء التي هي أعلى من التي هي دونها؛ وكذلك بقبوله من النّقيب وطاعته له وتسليمه إليه، فيستوجب أن يظهر له اليتيم. ويكون [بـ]ذلك قد جاز خمس عقابِ مسلك الصّراط، وصار إلى السّماء السّادسة/ فيحلّها ويصير له ارتفاعٌ. ويعرف جميع من يحل[105] السّت [96/ب] سماوات من أهل المراتب والدّرج، ويصير له فيها اسم مثل أسمائهم ومحلٌ كمحلهم، ونعْتٌ كنعوتهم، ويصير له في الأرض ذلك الاسم البشريّ عند العالم، وينزلونه منازل النّفع والضرّ والسّعد والنَّحْس.

28 ـ فإذا ثبت على علم اليتيم وأقرّ به ولم يُنكرهُ ولم يشُكّ فيه ولم

---

(103) في الأصل: «لما».

(104) في الأصل: «فإذا».

(105) في الأصل: «تحل».

يكْبُر عليه ما يوردُ، علم أنّ الذي سمعه[106] قبل ذلك أصغر ممّا يسمعه من علم اليتيم [و]استوجب بقبوله من اليتيم وطاعته له وتسليمه إليه والرّضى به أن يُعْليه موْلاهُ فيظهر له الباب ويزلفه إلى العقبة السّابعة، فيحلّ فيها، فيظهر له الباب، ويسمع من علم مولاه وتوحيده صراحاً وكشفاً، ويرقى إلى السّماء السابعة فيحلّ فيها، فعند ذلك يكون قد تناهى إلى المنزلة العالية، ويحلُّ المحلّ الأعلى من السماوات كلّها، ويملك في سائر السماوات جميع إرادته[107] من السّماوات السّبع والأرضين السّبع في العالمين، لا يغرب عليه علمُ شيءٍ ولا يفوته شيء[108]، ولا يبعد عنه شيءٌ من طلبته وإرادته، ويصيرُ محكَماً مخيّراً في نفسه لأنّه قد تخلّص / [1/97] وصفا، فليس عليه خوفٌ إذا بلغ إلى هذه المنزلة العالية في السّماء السّابعة، وأمّا الخوف عليه [فـ]من الزّلل، ما دام في درج التّعب والطّلب في هذه العقاب السّت، حتّى يجوزها ويُنهيها في تلك المنزلة العالية.

29 ـ فإذا صار إلى العقبة السّابعة، وحصل فيها ودخل المحلّ الأعلى الذي قد ذكرتُه لك، وصفا وتخلّص وعاد إلى جوهره، فعند ذلك يظهر له الاسم وهو الحجاب، فيُعاينه ويُشاهده، ويشهد أفعاله ويُطلعه على علم تكوينه وبدنه، ويُعرّفه بتقلّبه من حالٍ إلى حالٍ وما عاناه من امتحان مولاه على تقصيره في ما افترض عليه[109] وأمره به، فعند ذلك يتخلّص من جميع ما كان عليه ويكون له، إن شاء [أنْ] يغيب وإن شاء [أنْ] يحضر، وإنّ شاء [أنْ] يحلّ شرقاً أو غرباً أو سماءً أو أرضاً؛ ويعلم حيث يحلّ مولاه وحجابه وبابه، فإذا أراد حضُوراً حضر، وإن أحبّ إقامةً

(106) في الأصل: «علم أن الذي سمعه قبل ذلك صغير فيما يسمعه».

(107) في الأصل: «وجميع».

(108) وردت العبارة في الهامش وأشير إلى مكانه.

(109) في الأصل: من امتحان مولاه في تقصيره ما افترض عليه».

بمكان من الأماكن أقام، وإن أنِسَ إلى البشريّة باشرهم فيؤنسهم[110] بنفسه، ويُعرّفُهم ويشهد/ لهم، ولا يعرفونه، حتى يكون له أنه يجلس بين [97/ب] أقوام فيحادثهم ويُكلّمهم بلسانٍ من الألسن الجارية فيما بينهم، وينصرف عنهم، فلا يرونه ولا يعلمون به كيف مضى، ويشهدون على أنفسهم أنه قد كان يُكلّمهم.

30 ـ وهذا، يا مفضّل، القول الذي يقوله هذا العالم، إذا جرى لهم خطاب مع بشرٍ مثلهم، فخصمهم[111] وظهر عليهم بالحجّة وأتى بما لا تحمله قلوبهم وما لم يسمعوا بمثله قط[112]. وذلك أنَّ المتكلّم عندهم دون تلك المنزلة وخالٍ [من] الذّكاء وقليل الفهم[113] والدّراية، ولا يعهدون له في الخطاب قولاً صواباً ولا حجّة موثوقة[114]، فإذا أتى ذلك الذي هو عاجزٌ عندهم واختصر في مقالته لديهم بذلك القول الذي لا تحمله[115] قلوبهم، قالوا[116] له تعجّباً: مِنْ أيْن لك هذا القولُ؟ ما هذا، كلامك، ولا جئت قطّ بمثله! فمن أين لك هذا ومن علّمك إيّاهُ؟

31 ـ ويقولون أيضاً، إذا جرى لهم مثل ما شرحت لك يا مفضّل، قولاً ثانياً من تعجّبهم: «أمّا الكلام فهو ما نسمع، وأما الإنسان فمن لا نرى»[117]. وهم صادقون في ذلك، لأنّ الإنسان هو المتكلّم على ذلك اللسان الناطق وليس/ يرونه. ثم يقولون ـ يا مفضّل ـ كلاماً آخر إذا جرى [98/أ]

(110) في الأصل: «ويؤنسهم». والأنسب ما أثبتنا.
(111) شطب الفعل وصحح في الهامش «فخصهم» والأصل الذي أثبتنا أرجح.
(112) في الأصل: «لا يسمعون».
(113) في الأصل: «وقلّة الفهم» ولا معنى له، لأنّ العكس هو المقصود.
(114) في الأصل: «واثقة».
(115) في الأصل: «تحملهم».
(116) في الأصل: «يقولون».
(117) في الأصل: أمّا الكلام فهو إذا نسمع، وإمّا إنسان فما نرى.

لهم مثل ما شرحت لك؛ وذلك أنهم يحلفون ويقولون: «والله إنّنا لنحلفُ أنَّ هذا الكلام الذي تكلّمْت به ليس منك ولا من كلامك، ولا هو من كلام غيرك»، وهم صادقون في ذلك. وهذا يا مفضّل. منزلةُ من جاز عقاب الصّراط وغيرها[118] كما ذكروا في ظاهرهم، إنّه إذا جاز العبد الصّراط دخل الجنّة. والجنّة هي معرفة الحقيقة بغاية المعرفة، والمُنْتَهِي في الشيء إلى غايته يصيرُ.

32 ـ ثمَّ إنّه، يا مفضّل على من كان دونه ممّن قد أنعم الله عليه بمعرفته فأقرّ بحقيقته، حتّى يكون في صفائه، يحبّ لكل[119] طالب أن يصل إلى ما وصل إليه مولاه [إذْ]لا يكون مؤمناً حتّى يرضى لأخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه. وإنما أعْنِي بذلك أهل هذه المنزلة الذين عبروا عقاب الصّراط، وبلغوا إلى ما شرحته لك من تفضّل الله عليهم. ومنهم من يكون بأوّل درجة من الإيمان والدين وفي أوّل درجة من البشريّة[120] [فـ]يكونون بهذا الوصْف يرْضون لإخوانهم ومن دونهم في المنزلة ما يرضونه لأنفسهم[121] من حال دين ودنيا لأنهم/يكرهون لهم ما يكرهون لأنفسهم من [حال]دين ودنيا. كلّما رقوْا إلى منزلة وأنعم الله عليهم بنعمة أحبّوا أن يكون منْ دونهم معهم فيما ممّن كان على منزلتهم ومن مثلهم، ودونهم، فإذا رأيت المسْلم الدّاخل في هذا الأمر المقرّ بالمعرفة وبهذه الصفة وعلى هذه المواظبة، فأشهد له وعليه بسرعة الصّفاء وسرعة التخلّص من البشريّة، وأنّه إذا كان على[122] غيره يُوجب لنفسه، وينظر

[98/ب]

(118) في الأصل: «غيره».

(119) في الأصل: «يحبّ لك».

(120) في الأصل: «من البشر».

(121) في الأصل: «إخوانهم».

(122) في الأصل: «كان لغيره يوجب».

إليها ولا ينظر إلى أخيه [ولا يرى له]مثل ما يرى لنفسه، و[لا] يختار له ما يختارُ لنفسه، و[لا] يكره له ما يكره لنفسه من حال دينِ ودُنيا (. . .)[123]، فيسْتوجبُ المُساوي لنفسه بأخيه المؤمن في جميع أحواله ألا[124] يردّ في البشريّة غير قميص واحد. فكم بين من يردّ مرة واحدة[125] وَمَنْ يردّ مائة مرّة [من فضل]؟ هذا يا مُفضّل، لم يزد صاحب المائة كرّة في كراتٍ، وينقص صاحب الكرّة الواحدة ويرفع إلى الصّفاء.

33 ـ قال المفضّل: «قُلت يا مولاي، إنّ المُقرّ المسلم الدّاخل في هذا الأمر ليصفو في كرّة واحدة [تلك]التي يخرج [فيها] عن البشرية ويصيرُ نورانياً، ويرقى في هذه المنازل بغير هذه العقاب؟» فقال: «نعم يا مُفضّل/إنّ مولاك ليوجب [أنْ يكون] العبد المقرُّ المؤمن بهذا[126] في قالب واحدٍ، وذلك إذا خرج منهُ، وليس عليه مطالبة لأحد من المؤمنين في حقّ يستوجبه منه عليه، ولا قصّر عن أمر موْلاه وقام به حقّ القيام، فإنّه يستوجب [ذلك] ولا يكر[127] في قميص آخر غيره مرّةً واحدة، فقُل لهُمْ يا مُفضّل يجهدون أنفسهم في أن يكونوا كما ذكرتُ لك وشرحْتُ، ويسألونَنِي التّوفيق. [1/99]

34 ـ قال المفضّل: «يا مولاي» ما كنتُ أقول، ولا أعلم بأنَّ أحداً يبلغُ رِضاك بهذه الحالة وهذه السُّرعة، فقال: يا مُفضّل، أما سمعت السيّد

(123) في الأصل: يبدو سقوط الجواب ويفهم من السياق اللاحق: «فإنّه يردّ في البشريّة مائة مرة» ونقترح إتمام التركيب بها.

(124) في الأصل: «لا».

(125) في الأصل: «بين».

(126) في الأصل: «من هذا».

(127) ويمكن قراءتها: «لا يكرّر»، وهو مصطلح مطرد في المصنّف.

محمّد الأكبر قال مسْمعاً من حضر: «إنَّ الكفر أخفى من دبيب النّمل، والإيمان أخفى وأخفى»[128]. وقال مثله، فتفكّر يا مُفضّل في هذا، فمتى تجد من يكون سالمًا من كلّ ذلك فطوبى[129] لمن وُفّق أن يكون فيه، واتّق[130] من دلائل الإيمان بعض ما وصفته لك.

35 ـ قال المفضّل: «فقُلتُ: يا مولاي، أعُوذ بك من الزّلل والزّيغ، فلا طاقة لي بحمل ما تُحمّلني». فقال/ «يا مُفضّل، إذا غاص هذا العبد العارفُ العابد لعقب الصّراط، ووصل إلى تلك الجنَّة، فعليه هنالك حقوق وواجباتٌ وأمُورٌ لازماتٌ، لا يسعُ التّخلّف عنها» قال المُفضّل: «فقُلتُ: وأيُّ شيء هي يا مولاي؟» فقال: «إنّه إذا بلغ تلك المنزلة وعرف ما صار منه إليها، وما تفضّل الله عليه، ومنّ به من إنعامه عليه يسألُ مولاه أنْ يعرّفه جميع من في شرق الأرض وغربها، ومن في سمائها وأرضها ممّن قد أقرّ للمعنى ولحجابه بالاسميّة ولوليّه بالبابيّة، فيُعرّفه قُوّة ذلك، فإذا عرفهم[131] وهم أهل الإخلاص [سأل مولاه] أن يزور أهل النورانيَّة بالمشاهدة، وأهْل البشريّة بالمحاسبة فيزورهم، ويسأل موْلاه لكلّ واحدٍ على قدر منْزلته في المعرفة بالتّوفيق والقبول لهم».

36 ـ قال المُفضّل: «فقلتُ: عنك يا موْلاي. إنه نوْرانيّ فيزور أهل النّوْرانيّة بجوهره الذي هو من جوهرهم، فكيف تكون زيارته لأهل

(128) تختلف صيغة الخبر وإسناده حسب المصدر. ففي المصادر النصيريّة يحافظ على صيغته، ولكنّه يسند إلى جعفر الصادق (راجع سؤال وجواب في عقائد النصيريّة، مخطوط باريس رقم 5188، ورقة 86/أ) وفي المصادر الاثني عشريّة نجد: «إنّ الشرك أخفى من دبيب النّمل على صفوانة سوداء في ليلة ظلماء». كذلك ورد في البحار ج18؛ 158؛ ج72: 96؛ ويحسن مقارنته بالصيغة الواردة في كتاب الغيبة للطوسي ص 24.

(129) في الأصل: «وطوبى».

(130) في الأصل: «وتق».

(131) في الأصل: «عرفه».

البشريّة؟» فقال: «يا مُفضّل، يكون كذلك البشريّ أخاً وصديقاً؛ إنّه محبٌّ يُحبُّ قرْبهُ منه ويأنس إليه، فيأتي ذلك الشّخص النّوْراني إليه في/ صورة [100/أ] ذلك الأخ والصّديق حتّى يجْلس مع ذلك البشريّ، فيحادثه ويُؤانسه، وربّما يأكل[132] معه ويشربُ وينصرف إلى غيره حتّى لا يدع في كل يومٍ أن يأتي إلى بعض من عرّفه موْلاه وأطلعه عليه فإذا رآه أحدهم وخرج من عنده، قال[133] ذلك البشريّ: «ما رأيت أسرّ من يوْمي هذا. لقد سُررت بهذا الصّديق ما لم أُسرّ بمثله معه قطّ» فيقول له القائلُ: «بالله [سألتك] ألاّ تعيد هذا وتذكرهُ لئلا يُصيبوهُ بالعين»[134]. فيُمسك عن ذلك، ويتناساه، فلا يزال ذلك الشّخص النّوْرانيُّ كذلك، يزور جميع من عرّفه موْلاهُ».

37 ـ فقُلتُ: «يا موْلاي، ويُطعم الطّعام؟» فقال: «نعم، إنْ هو أحبّ[135] ذلك [و] أراده، وإن لم يحبّ فإنه يرى أنه يأكل و[هو] لا يأكل ولا يشرب» ثمّ قال موْلاي منه السّلام: «يا مُفضّل، ودقّة الصّراط، هل علمت ما هي؟» قلتُ: «لا يا مولاي، إلاّ بفضلك»/ . [100/ب]

38 ـ فقال: «إنّ دقّته عظيمةٌ، وصعوبته أعظم، وأصعبُ دقّةً معرفته؛ وذلك أنّه إذا وصف لك موْلاك[136] شخصاً بشريًّاً، وقال لك: بلْ مَلاكٌ نوْراني، هل يدقّ عليك معرفةُ ذلك ويعظم عندك ويصعب عليك؟» قُلتُ: «وهو كذلك، يا موْلاي» قال: «فإذا قيل لك: «إنّ شخْصاً بشريّاً ربٌّ خالقٌ» أيّهما[137] يكون أدقّ معرفة وأعظم وأصعب على حامله [أ] هو أم الأول؟» فقلت: هذا يا موْلاي، أصعب وأعظم وأدقّ» فقال:

---

(132) في الأصل: «أكل».

(133) في الأصل: «يقفل».

(134) في الأصل: «بالله إن عدت هذا».

(135) في الأصل: «أهو أحبّ ذلك».

(136) في الأصل: «شطبت مولاك، ولكن يقتضيها السياق».

(137) في الأصل: «أيما».

«وإنّ قيل لك: «إنّ رباً خالقاً رازقاً مخْيياً مميتاً له القدرة والمنّة والمشيئة والتّكوين، إنه شخص بشريّ عاجز مقهورٌ مضطهد مقتولٌ مخْمولٌ»، أين تكون هذه المنزلة من المنزلتين؟ فقلت: «يا مولاي، هذا يكون أعظم وأصعب وأدقَ على حامله».

39 ـ فقال: ومن دقّته إظهاره فيهم الأزواج والأولاد، وينفي ذلك على نفسه في كتابه ونُطْقه، وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾[138] وقال: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[139] [و]قال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[140]؛ وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[141]. وقال في سورة التوحيد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾[142]. وقد أوجد الأولاد والوالدة والإخوة والأزواج؛ وقد أوجد وأرى أن له والداً وإخوة وأزواجاً، والذريّة والنّسل والمعاندين[143] والشّركة في المُلك. فأيّهما[144] أدقُّ من الوجْهين[145] [أ] هذا الإظهار أم الذي تقدم؟! وكلّ هذا ليصحّ لأهل التوحيد لأن هذا كله اخْتبار لكم ليحقّ الحقّ وليبطل الباطل ويميّز به ما بين الخبيث والطّيب[146]، وأن يثْبت الحجّة من جميع وجوه الحقّ بالأعذار والأنذار». [/أ]

---

(138) المؤمنون: 23/ 91.

(139) الجنّ: 72/ 3؛ وقد جاء في الأصل: «ولم يتّخذ».

(140) المائدة: 5/ 18.

(141) التوبة: 9/ 30.

(142) التوحيد: 112/ 1 ـ 3.

(143) بمعنى الملازمين والمصاحبين.

(144) في الأصل: «قائماً».

(145) في الأصل: «من الوجوه».

(146) رسم فوق «والطيب» «من» وكأن التركيب المقصود هو «ليميز الخبيث من الطيّب» مع إسقاط «ما بين» المثبتة أصلاً.

40 ـ فقلتُ: «ما أدقّ هذا الصّراط و[ما] أصعبه و[ما] أعظمه» فقال: «يا مُفضّل، وقيل: إنه أحدّ من السيف وأدقّ من الشّعرة» (. . .)[147]، فقال: «أمّا شرْحُ دقّته فقد عرفته: فأخبرني أنت بحدّته إذ قد [101/ب] عرفت دقَّته» فقلت: «يا مولاي، أين لعبدك سبيل إلى/ الكلام و[قدرة] على هذا الوصف، وأنت غاية كل غاية ومعدن كل فضيلة وإحسان؟!» فقال مولاي منه السّلام: «يا مفضّل، حدّته إطلاق اللّفظ به، فإنَّه ما دام مكتوماً مخْفياً عن التّصريح فليس على مُخفيه خوف من مالكه، فإنه عند مالكه ذو دقَّة وكتمان وصيانة وحفظ وحذر وخوف عليه من أن يقع إلى غير مستحقيه فيأخذه شبه الزّنا والخداع، ويرى مشفقٌ عليه. وإن اضطهد وطولب بإقامة الواجب فيه هتف به إلى العالم وشنّع على أهله وأضلّهم، وأضاف إليهم ما ليس فيهم، وسعى بهم إلى طُغاة الوقت فيؤول [أمرهم] إلى حال التّلف، ويكون بذلك المُلقي للّفظ إلى من تصير هذه حالته قد بذّد وأعطى وكشف[148] ما أُمر سَتْرَهُ وصِيَانَتَهُ، فيستوجب بذلك من مولاه أليم العذاب وشديد العقاب. . الذلّ والفقر والجهد؛ وينحطّ عن درجته [102/أ] [التي] كان قرب فيها [من] التّخلّص، فالحدّة /إطلاق اللّفظ إلى المُلقى إليه للمعرفة، فإنّه إذا أطلقه بلسانه يمكنه ردّه إلى مَعْدنه الذي خرج منه».

41 ـ واعلم يا مفضّل، أنّ أوصافكم للرّجُل إذا كان ذرباً بارعاً محجاجاً جدِلاً فيقولون: «لفُلان لسان أحدُّ من السّيف» «ويُخرج فلان من لسانه كلاماً أشدّ من الصخرة والصّاعقة»: وإذا تناهى العالم إلى[149] وصف السّيوف ونعوتها وحدّتها وشدّة ضرابتها يقولون:[150] «سيفٌ

(147) يبدو هنا سقوط، والأرجح له جواب المفضّل تعليقاً على قول الإمام.

(148) في الأصل: «اكشف».

(149) في الأصل: «بوصف».

(150) في الأصل: «فيقولون والابين» قالوا.

صاعقة، وذلك فعله، وقال الله تبارك اسمه: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾[151] ويقال أيضاً: «كلام أشدّ من الصخرة، وكلّما نُعت بشدة[152] فهو من نوع الحديد، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[153]. ويقولون القاتل إذا أخرج السيف من غِمده ليضرب به (. . .)[154]، فإذا وصلت الضّربة فربّما[155] انقلبت وربّما أثرت أثراً خفياً/ [ب/] وربما أثّر السيف ونبا ولم يفعل شيئاً.

42 ـ وكذلك إذا ألقى الرجل إلى رجل كلمة الإخلاص، فقتله بالمعرفة لها. وقد قال عزّ وجلّ: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[156]. إن قتل المؤمن بالمعرفة لبارئه هو الحياة الأبدية. وقد قال السيد الرسول محمد منه السلام: «الموت راحة ورب[157] ميّتٍ استراح»[158]. والموت من أسماء الربّ لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[159]. وكانت هذه يا مفضّل إشارة إلى مولاك أمير المؤمنين جلّ جلاله، لأن كلّ منظور معاين مشاهدٌ، بهذه الصّفة، أما موتُ الفاني[160] بعد أن يخرج روحه منه [فـ]لا يرى شيئاً ولا يعقل شيئاً[161]، وإنما يبقى جيفة ملقاة. والله أجلّ من أن يخاطب جيفة «لا

(151) الرعد: 13/13 وجاء في الأصل: «فهو الذي يرسل».
(152) في الأصل: «نعت إلى الشدّة».
(153) الحديد: 57/ 25.
(154) يبدو هنا سقوط.
(155) في الأصل: «وربّما».
(156) البقرة: 2/ 54، وجاء في الأصل: «وتوبوا إلى الله مولاكم فاقتلوا. . .
(157) في الأصل: «وربّما».
(158) لم نستطع تحقيق هذا الحديث.
(159) آل عمران: 3/ 143؛ في الأصل: «تتمنّون» مع إسقاط «أن تلقوه».
(160) في الأصل: «الفنا» ثم لحقت عبارة أخرى يبدو أنها تكرار من الناسخ. «والموت الفاني».
(161) في الأصل: «لا يعقل على شيء».

تعقل ولا تنطق ولا تسمع ولا تبصر ولا تحسُ. وإنما الذي يُوضّح بضرب السّيف/ فربّما أطلق إلى الرجل كلمة الإخلاص فيقدح له من معان يحتاج إليها، ويتّضح له فيها صحة ما أُلْقِيَ إليه. [103/أ]

43 ـ وأمّا الذي يكون عنده ضرب السّيف يؤثّر أثراً خفياً، فإنه إذا ألقى إلى الرّجل معرفة الحق [و] لم يكن له في قلبه إلاّ شيء يسير فإن زهق من حال جزع إلى حال (. . .) عن الكلمة لأنها غير متمكّنة منه. وأما الذي يكون له من السّيف الذي ينبو، فإنه إذا أطلق اللفظ إلى رجل لا يكون له فيه غرض، ولا يتحقّقه ولا يعبأ به، فيمُر النّطق على أذنه صفحاً كما يمرّ السّيف من الضّارب صفحاً، ولا حدّة أشدّ ممّا شرحت لك. فكم من طالب قعد عن إيضاح المنهج له وقصّر عمّا قصد إليه، ورغب عن مسألته ورجع عن رشده. وكم من عاقل فطنٍ عرف ما ألقى إليه رُشْدُهُ، واستنبط به سرائر دينه، وقصد نحوه وأصغى إليه، وعدل عن جميع همّه، وجدّ في طلبه أو جعله معوّلاً لا يعوّل عليه ويقصد/ نحوه فذلك بحث ما شرحت لك من استحقاقه. [103/ب]

44 ـ وإنّما مثل العالم في ذلك مثل بزْر بزرته يدٌ، وتناهى به زمان واحد، فلمّا كان وقت نوعه سبق بعضٌ، فعذُب وطاب. وتخلّف بَعْضٌ فخبث وكدر. وكذلك العالم، يا مفضّل، كون واحد لوقت واحد بِقُدْرَةٍ واحدة. فلمّا ظهر المكوّن لهم ودعاهم إلى ذاته أجاب بعض وتخلّف بعض. فمن أجاب عذب[162] وطاب؛ ونتُن وخبث من تخلّف، فكانوا المنكرين الجاحدين.

وكان ذلك النّطق أوّل الحدّة حدث للصّراط. ثمّ كان من ذلك النطق الأول على أيّ لسان كان من العالم، وهو حدّة الصّراط، لأنه إلى

(162) في الأصل: «فعذب».

تلك الدّعوة يشير، وبها يلوّح ويصرّح. فاعرف هذا يا مفضّل ولا أحد أشدّ وأعلى وأعظم مقاماً عند ظهور/ شخصك فيهم، وخزنك ذلك العلم فيهم[163] عند إيجادك لهم ما تدعوهم إليه وتُمسكهم به إلى أن يأذن لك مولاك بالظهور لهم، فإنّه [يكون] إذا كان بدء دعوة مولاك وإظهار القادر القديم قدرته، وظهور الغاية. [1/]

45 ـ قال المفضّل: «فقلت يا مولاي، لقد أنعمت عليّ وعلى أوليائك المؤمنين بمعرفة الصّراط وشرحه، فإذا كان أوان [و]غيّبْتَ بابك بإرادتك ما يكون لهذا العالم [و]لأهل المعرفة والاجتهاد من الصّراط فيهم؟» فقال منه السّلام: «يا مفضّل يكون ما قد سمعته أنت منّي، يخرجه إليهم، فيتلقّونه منك وعنك، ويستودعونه صحفهم[164] وصدورهم، فهو صراطهم، ويكون لذلك خزان قد جعلهم الله سبباً لنجاة بعضهم البعض[165] حتى يظهر لهم الدعوة في الرجعة البيضاء.

46 ـ واعلم يا مفضّل، أن كلّ علم باطن من عالم الحقيقة ويُظهر لهم بعد ذلك الغيبة، فهو صراط الطّالب، يسلكه، ويطلب قصده ربّك، وقد أبان عن[166] ذلك فقال: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[167]؛ وذلك أنها أساطير المقامات والمراتب وما جرى فيها من الدّلائل، فهي في وقت ظهور المقام اكتُتِبتْ واحْتُفِظ بها؛ فلمّا أن كان من المقام الغيبة، قام ذلك مقام المشاهد، لأنّ الاختبار يوجد العيان، فصار ذلك عند أهل الحقيقة، فصارت لهم صراطاً، ومنهجاً ومقصداً [ب]

(163) في الأصل: «إليهم».
(164) في الأصل: «في صحفهم».
(165) في الأصل: «لبعض».
(166) في الأصل: «عند».
(167) الفرقان: 25/ 5، في الأصل يكتتبها.

ومسْلكاً، ومطلباً يسلّمون إليه، ويُقيمون عنده إلى وقت ظهور مولاك، فيكون ذلك بموضع المشاهد للمُملي العالي بما كتب عنه [و]ألقى إليهم، فصاروا بذلك منهجاً لغيرهم، ومقصداً، فقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾(168). ما حفظوه ونقلوه وألقي إلى الطّالبين المقرّبين العارفين، فقصده إلى الهداية به، فأولئك هم الذين يقولون: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾(169) أي الذي قد ألقي إلينا من أهل المراتب والمقامات.

47 ـ ألا ترى إلى استثنائهم هم في ذلك بقولهم: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾(170). والذين أنعم عليهم، يا مفضّل، هم أنت ومن/ [1/105] أشهدهم موْلاك ما أشهدك، فأولئك هم، الذين أنعم مولاك عليهم(171). ومثل قوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾(172) فالطّيب، القول. علم التوحيد بشرح الباطن صراحاً وكشفاً. وصراط الحميد هو غاية الحمد لمن دونه من أصحاب المراتب والدّرج، لأن الحمْد هو الاسم الذي هو محمد منه السّلام، والغاية صراطُهُ وهو صراطُ من هو دُونه، وهو الباب. والبابُ هو صراط العالم جميعاً في كلّ زمان وآن ودهر وحين، ومعرفة ذلك، وذلك الباب صراط لكلّ طالب مُريدٍ.

48 ـ وكلّ هدي في نُطق الكتاب مثل قوله: «اهْدِنا» فهي إشارة إلى الصْراط؛ وكذلك كلّ سبيل، فهو صراط، مثل قوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ

---

(168) الفاتحة: 1/ 6.

(169) نفسه.

(170) الفاتحة: 1/ 7.

(171) في الأصل: أنعم الله عليهم مولاك، وهو سهو من الناسخ.

(172) الحج: 22/ 24. في الأصل: «وهدوا إلى صراط الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد».

ﱡأَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖﱠ[173]؛ وقوله: ﱡعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِﱠ[174] فأما قوله: ﱡوَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖﱠ[175]. فهذا خطاب إبليس/لمن أجاب دعوته بلا دليل ولا حجّة: فأحال المجيبون له في الكشف عليه أنه هو الداعي لهم إلى ذلك الضّلال بقولهم: ﱡرَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ﱠ[176]. وقال حين حالوا عليه بذلك: ﱡوَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖﱠ[177]؛ إذا أجبتم من دعاكم إلى ما دعوتكم إليه من الجحود والإنكار والكفر ومخالفة الحق بلا دليل ولا سبيل؛ وذلك أني لو دعوتكم إلى معرفة الحق لقلتم: إننا لا نجيب إلى ذلك إلا بدليل وسبيل وصراط وبرهان وإقامة الحجة وإيضاح المنهج بظهور المعجز وبوجود معاين مشاهد.

49 ـ ومثله، فقد دعاهم أن يعبدوهُ ويعتقدوهُ ويتّخذوهُ ربّاً حين قال: ﱡأَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰﱠ[178] فأجابوه إلى ذلك بلا دليل ولا سبيل بل دعاهم فاستجابوا له. وقد دعاهم/أيضاً حين قال إبراهيم، وهو المقامُ: ﱡرَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُﱠ[179]. قال النمرودُ: ﱡأَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُۖﱠ[180]، فأجابوه بلا دليل ولا سبيل، وله مثل ذلك دعوات كثيرة منها قوله: ﱡٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي

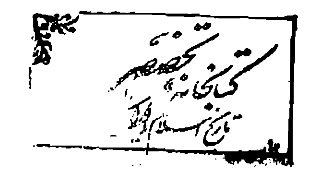
---

(173) يوسف: 12/ 108، في الأصل: وهذا سبيلي ادع إلى الله. . . .
(174) القصص: 28/ 22.
(175) إبراهيم: 14/ 22، في الأصل وكان لي عليكم من سبيل سوى أني دعوتكم.
(176) الأحزاب: 33/ 67.
(177) إبراهيم: 14/ 22.
(178) النازعات: 79/ 24.
(179) البقرة: 2/ 258.
(180) البقرة: 2/ 258.

لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾[181]، فأجابوه إلى ذلك بلا دليل ولا سبيل، فعبدُوا الأصنام ظاهراً وباطناً وألزمهم الحجّة بقوله إني دعوتكم إلى جميع هذه الدّعوات كلها بلا دليل ولا سبيل كان لي. وهذا يا مفضّل، بيان واحتجاج إبليس عليهم، على الخلق المنكوس يوم الكشف. وقد احتجّ بهذا عليهم مراراً كثيرة وعقلوا خطابه[182]، لأنه كشف لهم أولاً عن نفسه، ثم ظهر لهم المولى بالنورانية، وخاطبهم بنطقه، وأبان سبله بدلائله، ثمّ كشف لهم بعد ذلك عن إبليس فعاينوه، وأشاروا إليه هو الذي أضلّهم بقولهم عند معاينتهم له: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[183]. وقول إبليس: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم/ مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾[184]، وهو سبيلٌ، فالجميع معترفون أن الهداية لا تكون إلا من سبيل؛ وكذلك الضَّلالة. [ف]لو طلبوا عليها سبيلا لبطلت، ولم يتّضح لها منهج. وقد دعاهم بعد هذا الخطاب إلى ما دعاهم إليه أوّلاً، كرّات كثيرة؛ وكانوا إلى الإجابة والقبول منه أسرع من جرْي النَّفَس في الجنين».

[106/ب]

50 ـ فقلت: «يا مولاي، دعوة إبليس مستقرّة عند أهل الضّلال والجحود؟» فقال: «نعمْ! مستقرّة في النّفس المذمومة التي قال الله تعالى [فيها]: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[185]؛ وقوله: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾[186]؛ وقوله: ﴿سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[187]، وما أشبه هذا من الخطاب فهو مذمومٌ.



(181) غافر: 40/ 36 ـ 37.

(182) في الأصل: «لخطابه».

(183) الأحزاب: 33/ 67.

(184) إبراهيم: 14/ 22.

(185) يوسف: 12/ 53.

(186) المائدة: 5/ 30؛ جاء في الأصل: «وسوّلت لكم أنفسكم، ثم شطبت «لكم أنفسكم» وأبقي على «سوّلت» فاختلطت الآية التي أثبتناها أعلاه بالآية 18 من سورة يوسف.

(187) يوسف: 12/ 18.

51 ـ فأمّا نفس المؤمن فإنّ لها زاجراً وواعظاً يأمرها وينهاها، وهو الذي يعارض النّفس ويكشف لها قبح معاني الأشياء القبيحة وحسن / [107/أ] معاني الأشياء الصّادقة الصّحيحة، ويبيّن لها تأويل العاقبة في ذلك [و]يعارضها، فذلك العارض من جوهر السّبيل، وهو حال النّفس المؤمنة، زجرها وعارضها ذلك الجوهر وألقى إليها فهمه وكشف قبحه، فارتدعت النّفس وقبلت وبعدت عنها دعوة الضرّ، ولا يجعل له في تلك النّفس مستقراً.

وإن خالفت النّفس الجوهر[188] وعاندته، ولم تصغ إليه، وإلى ما أوضحه لها ذلك الجوهر، علت دعوة الضدّ [و]زال ذلك الجوهر عن المعدن؛ وصارت تلك النّفس مستقراً للدّعوة الضدّية، فأيُّ شيء أوردته، فقبلته [من]الدعوة وأجابت إليه.. سائر وجوه الباطل، فيكون خلاف الجوهر الذي هو السّبيل.

52 ـ واعلم يا مفضّل، أنّ لكلّ جارحة مُعبّراً، وأنّ للجوارح المعبّرات معبّراً واحداً لولاه ما عرف فعل تلك الجوارح المعبّرات، ولا تعبيرها ولا تعبير معرفة الجوارح المعبّرات. فأوّلها: العينان، وهما جارحتان وتعبيرهما/ النّظر؛ والأذنان، وهما جارحتان وتعبيرهما السّمع؛ [10/ب] والأنف وهو جارحة واحدة وتعبيره الشمّ؛ والفم [وهو]جارحة واحدة، وتعبيره الذّوق؛ واليدان [و]هما جارحتان وتعبيرهما البطش واللّمس؛ والرّجلان [و]هما جارحتان، وتعبيرهما السّعي، ودليل هذا كله من الجوارح وسبيله وصراطه العقل، وهو الجوهر المدبّر لجميع هذه الجوارح. وبه ومنه تقع معرفة هذا الصّراط، وله دليل وواسطة مترجمة عن الجميع، معبّرة عنها وهو اللّسان؛ وهو يشرح ويُبيّن وينعت ويصف

---

(188) في الأصل: «على الجوهر».

ويترجم عن العقل بما يلقيه إليه. فإذا عرف الخلق حقيقة ذلك وصحّته وصدقه، فالفعل الذي يعرّفهم ذلك فهو بمعنى النّاطق، واللّسان بمعنى الظّاهر الذي يُبدي كلّ شيء ويُظهر عن[189] ذلك الجوهر، ويعرّف معانيه. فإذا ألقى هذا الجوهر إلى اللسان شيئاً. وألقاه إليه وأمره بإظهاره أظهره/ وشرحه ببيانه؛ فإذا نطق اللّسان بما قد وعاه العقل رقى حقاً وباطلاً، وهو جميع ما عرّفه العقل، وأمره أن يُبديه، ولولا مادّة العقل إلى اللّسان لما عرف اللّسان أن يأتي به، فعند نُطق اللّسان يُتبيّن تصريف الأشياء، وكذا إذا شمّ أو[190] طعم أو سمع أو عزم أو أراد، فذلك العزم والإرادة والسّماع والشّم والنطق هو لذلك العقل، واللّسان معبّر ومترجمٌ عن ذلك الجوهر ومقامه. [108/أ]

53 ـ ومثله مثل الرسول أرسله مرْسل بأمر أمره بتبليغه، فبلّغ ما أمره به. فهو يؤدّي عن حقيقة العقل، فاللسان كالرّسول، والعقل [ك]/ المرسل، يأمر الجوارح وينهاها؛ فما خالف من الجوارح فهو بمعنى من خالف دعوة الحقّ؛ ومن أطاع من قبل الجوارح (فهو بمعنى من أجاب وأطاع دعوة الحق)[191]. فهو يقوم عند أهل التّوحيد بمعنى الشّخص الظّاهر، أعني اللّسان؛ وكذلك العقل بمعنى الباطن. وأهل الجحود والإنكار يجحدون ذلك لخلفهم وكفرهم، أفلا يعقلون أنّ مولاهم جعل/ ذلك فيهم دليلاً وحجّة وسبيلاً وصراطاً مستقيماً. [108/ب]

54 ـ وأمّا أهل الإنكار فإنّهم إذا حلّوا [في]العالم المنكوس [في]المسوخيّة، منعوا النّطق وتبقى فيهم جميع الآلات والجوارح بحالها، الشمّ والطعم والسّمع والبصر والسّعي والبطش، وذلك أنّها تفهم ما تأتيه

---

(189) في الأصل: «عند».

(190) في الأصل: «م».

(191) وردت هذه العبارة بين قوسين في الهامش وأشير إلى موضعها من الكلام.

وتقصد ما تطعمه، وتعني ما تسمعه، وتُحقّق ما تعاينه، وتعقل ما تهمّ به وتعزم عليه، فكلّ ذلك بالباطن القائم بها[192] المكوّن بجوهرها، أعني قلوبها، لأنها غير معدومة له؛ فإنّما يقع العدم عندما تعدمه من نُطقها [و]ما داموا في البشريّة، تقع بهم النّقلة بالأمراض والإعلال والقتل وغيره ممّا يجري عليهم[193]. كلّ ذلك بقدر مقدور وأجل معلوم، وهو جار بهذه الصّفات والنّعوت على البشريّة والمُسُوخيّة من الموت والقتل والغرق والحرق وأكل السّبع والهوامّ وموت[194] الإنسان فجأة، وموته شرقاً[195] وغصصاً أو بوكزة أو بلطمة أو برفسة أو بدفعة أو بضربة أو بصيحة/ . [109/أ] وربّما مات بعلّة يوم واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة حتى إلى سنة أو سنتين أو ثلاث أو أقلّ أو أكثر من ذلك[196].

وربّما دامت[197] به العلّة من وقت ظهوره إلى وقت نقلته على حال واحد؛ وهذا جار على العالم في البشرية وفي المُسُوخية أيضاً إذا رجع إليها المنكرون الجاحدون. وهذا أوّل دليل وأبهر برهان على إقامة عدل الله في خلقه كافّة.

55 ـ قال المفضّل: قلت: يا مولاي، [أ]تمُنُّ على عبدك بمعرفة ذلك وبيانه. فقال: «أما ترى السّراج كيف يُضيءُ ويخمدُ؟ إنّه يُضيءُ وإنّه على أشدّ ما يكون من الضّياء حتّى يخمد ويطفأ لوقته، حتّى كأنه لم يكن للنّار فيه أثر» فقلت: «بلى يا مولاي» فقال: «يا مفضّل، أو ليس تكون منها على ما وصفته لك من الضّياء، حتّى يداخله ضعف فلا يزال ضعيفاً

(192) في الأصل: «القائم لها».
(193) في الأصل: «عليه» ثم كتب فوقها «عليها» تصحيحاً.
(194) في الأصل: «مات»؛ ثم كتب فوقها «موت» دون شطب الكلمة الأولى.
(195) في الأصل: «وشرق».
(196) في الأصل: «يوم واحد واثنين وثلاثة وأربعة».
(197) في الأصل: «تداومت».

[109/ب] ذلك الضّياء يخمد ويضيء، ثمّ يخمد ويتزايد ضعفه وخموده ويتطاول/ به ذلك حتى يكون في نهاية الضّعف والخُمود، وإنّه لا يُرى به شيء من شيء بالعين [من]أسود [أو]أبيض، وإنّه لا يُوجد بعد ذلك، أو إنه غير معدوم حتى إنه على نهاية الخمود، ثمّ يكون بعد ذلك لمحةٌ من ضياء».

فقلت: «بلى، يا موْلاي». قال: «أو ليس منها ما تُشير إليه عند إرادتك لتُطفئه[198] فيطفأ؟» فقلتُ: «بلى، يا موْلاي، قال: «أوَ ليس منها ما تهُمّ بإطفائه فيمتنع عن ذلك ويلجُ عليك ولا يطفأ، وتُشير إليه فلا يطفأ حتى يداخلك منه ضجر وإتْعاب؟» فقلت: «بلى يا مولاي» فقال: «وكذلك يا مُفضّل. إذا استحق البشر النَّقلة، فمنهم من يكون له عند مولاك منزلة ومنهم من لا يكون له منزلة؛ فمن ثمّ نقلتهم وموتهم. [ومن] يوجد بك[199] ويُرى بك، لا يكون من المنقول من النّار التي[200] [110/أ] وصفتها لك في السّراج. ومنهم تطول به ومنهم، يهلك/ (. . .)[201].

56 ـ (قال المفضّل): «إنّ ذلك ممّا ذكرته في من خُلفه وإنكاره وجُحوده وإنّي لأرى الطّفل الصّغير يعاني مثل ما عاناه الشيخ الكبير وأعظم». فقال مولاي منه السّلام: «يا مفضّل، وكأنّك تقول: «إنّه لا ينقل إلى المُسوخية إلاّ رجل أو شيخ أو كهل، لأنه متصرّف بذنبه، وأنّه يستوجب به ذلك [و] بجُحوده وكفره وإنكاره وعناده، وأنّه دعي، وذكّر، وألقي إليه فأبى، وعاند، ولم يُصغ إلى التّوحيد، ولا انزجر عن الجحود والإنكار. والكفر الذي هو فيه، فاستحقّ بفعله وجحوده وكفره ذلك

---

(198) ورد في الأصل: «طيفة» وأثبت المصحّح في ما رجّحنا.

(199) في الأصل: «يوجدك».

(200) في الأصل: «لذي».

(201) يبدو هنا سقوط إذ ينتقل الخطاب فجأة إلى المفضّل دون تنصيص ويظهر من ترقيم المخطوط سقوط الصفحتين 110/ب و111/أ.

الجزاء وتلك العقوبة. وإنّ الطّفل لم يفعل[202] شيْئاً من ذلك ولم يُوعظ ولا[203] أتاه زاجرٌ يزْجرُه، ولا كان عنده حقّ وباطل ولا معرفة، فيجب عليه مثل ما وجب على المنكر الجاحد بإنكاره وجحوده فيكونان في الحال سواء». فقلت: «يا مولاي أنت أعلم بما في نفسي. سرّي وإعلاني».

57 ـ فقال: «يا مفضّل، إنّ ذلك الجنين والطّفل والنّاشىء والرّجل والكهل والشيخ لم[204] ينقل أحدهم إلى ما نقل/ إليه إلاّ عند تكامل البلاغ إليهم. [ف]إن ينقل وهو جنين، ويستحق[205][206] الجنين أن ينقل وهو شيخ، ثم غلام، ثم ناشىءٌ، ثم كهل، ثم في ذكرٍ ثمّ في أُنثى ثمّ في أسود، ثمّ في أبيض، فإنما[207] الدّعوة واحدة ما زاد[208] أحدهم[209] على آخر ذرّةً، ولا تقدّمه طرْفة عين. [1/ب]

58 ـ وكذلك، يا مُفضل، يستحقّ من نُقل وهو في نسخ وفسخ في كرّة أخرى، يُنقل إلى غلام ناشىء ثم كهل. ثمّ شيخ مرّة أبيض ومرّة أسود، كذلك يجري عليهم في المسوخيات سواء بسواء وحالاً بحال، لا زيادة ولا نقصان منه حتى يوفّى في المسوخيّة ما استوفاه من البشرية شخصاً بشخص، وحالاً بحال، وأجلاً بأجلٍ، ومدّة بمدّة.

---

(202) في الأصل: «الطفل» ثم شطبت وكتب «الناس» والأوّل أرجح.
(203) في الأصل: «ألاّ».
(204) في الأصل: شطبت «لم» وأبدلت «بان».
(205) يظهر من ترتيب أوراق المخطوط سقوط للورقة 111 وجهاً وقفًا. والظاهر أن المعنى لم يختل رغم ذلك، لذا نرجّح أن يكون الترتيب خاطئاً.
(206) في الأصل: كتب «أن» بعد الفعل «يستحق»، ولا وجه له.
(207) في الأصل: «وإنّما».
(208) في الأصل: «ما أزيد».
(209) في الأصل: «أحدهما».

59 ـ ثم إنّي أزيدك في علمك بذلك، يا مفضّل، علم باطن وشرح غامضٍ، عدلاً من مولاك، وإنصافاً للعالمين، فأعلم به العالم وعلّمهم إيّاه. واعلم، يا مفضّل، أنّه ما من بشر يُنقل إلى المسوخية/ [112/أ] ومات موته وهو بشريّ إلاّ ومات في المسوخية مثلها؛ وما عارضه[210] عرضٌ في البشرية إلا وعارضه بالمسوخية مثلها[211]؛ وما مرّ[212] به حال إلاّ ومرّ به في المسوخية مثله، وما كان[213] بحال من الأحوال إلا وكان له من العزّ والرّفعة والكرامة أو من الشدة والرّخاء والرّهافة والتعب والنّصب [مثله]حتّى يوفّى في المسوخيّة جميع ما جرى له في البشرية فيكون له بتلك الطّوارق الطّلقات في الحالين معتبرٌ ويشمله العدل، وذلك أنه يُعادلُ عليهم في المسوخية جميع ذلك ليعرفوه كما كانوا يعرفونه وهم في البشرية، وهذا هو الصّراط المستقيم الذي ما فيه عوج ولا فيه خلف ولا عنه عدول».

60 ـ قال المفضّل: «فقلت: «النّعمة منك يا مولاي جليلة، والمنّة عظيمة يقصر عنها شكر الشاكرين، ويعجز عقل اللّبيب عنها» فقال: «يا مفضّل، إنّ المسوخيّات أجناس وقبائل وشعوب وأسماء ونعوت وصفات ينعتون بها[214] ويدعون بها في جميع نعوتها/ [112/ب] كما كانوا في البشرية، لهم من الأجناس والأحساب والأنساب والأسماء والصّفات والنّعوت مثل «عاقل»[215] و«حسن»، و«حرك» و«جدل» و«شديد» و«فهم» و«ذي نهم» وما أشبه ذلك مثل أسود وأبيض وعجميّ وعربيّ وروميّ وقبطيّ، وجميع

(210) في الأصل: «ولا عارضه».
(211) في الأصل: «مثلها».
(212) في الأصل: «ولا مرّ».
(213) في الأصل: «عقل».
(214) في الأصل: «بها وإليها».
(215) في الأصل: «عقل».

الأجناس؛ وكذلك في اللّغات؛ مفصحٌ، ومطرب، وصامت، وناطق، وأخرس، وذو مقدرة وخطر، وما يُشبه ذلك حتّى لو إنّ[ـهُ] شا[ء]. يا مفضّل، لقُلت لك: إنه في أوصافه وشعره ولونه وأظفاره وجميع ما احتوى عليه هيكله من نفس وبطن وفرج وجارحة وتحرير وعبوديّة، تجري عليه(216) مثلاً بمثل». فقلتُ: «يا مولاي، يجري على الشخص الواحد هذه الأوصاف في البشرية، وهو بشريّ، ويجري عليه في المسوخية مثل تلك الصّفات في كلّ شخص منها، يكون مملوكاً ومالكاً وحراً وعبداً وعزيزاً وذليلاً؟» فقال: «نعم يا مفضّل، يجري عليه كلّ ذلك في المسوخيّة، فقلت: «يا مولاي، [أ]تَمنّ على عبدك بمعرفة ذلك؟»/ . [1/113]

61 ـ فقال يا مفضّل: «يجري عليه ذلك من الفيل إلى دودة الخزّ(217) وما هو أدقّ منها؛ وذلك أنه يكون في أوّل نقلة فيلاً ويكون حُراً، فإن كان قبل ذلك في البشريّة حُراً. كان حُرّاً؛ وإن كان مملوكاً، ونقل إلى ذلك مُلك ذلك [الفيل]. وكذلك، يا مفضّل، إذا مُسخ في جنس غيره من الدّوابّ والبغال والحمير والبقر والغنم والمعز والوحوش والكلاب والطيور وحيوان البرّ والبحر وجميع ما دبّ ودرج من الأفاعي والحيّات. وذلك أنه من أقام في البشرية حُراً فهو في المسوخية حر؛ وفي البر والبحر و[في] التي تسرّح أنفسها(218) في أمنها في البراري والقفار، وتأوي إلى مساكنها في الغياض والآكام والحفائر والمغاور وما تتّخذه الضّباع والثعالب والأرانب من الحفائر، ثمّ البقاع التي كانت عامرة وخربت، وذلك لإلفها للعمارة.

62 ـ وإنّك لتأتي وتمرّ يا مفضّل، بالعراص الخربة القديمة، فتجد

(216) في الأصل: «عليها».
(217) في الأصل: «الحال».
(218) في الأصل: «لأنفسها».

[113/ب] فيها ما ذكرته لك من هذه/ الأوصاف فكثير قد آوى إليها واتّخذ له فيها موطناً؛ وربّما كان ذلك الموضع الذي قد آوى إليه وأنس به، موضعه الذي كان له وهو بشريّ، وإنّك تجد في جميع هذه المسوخيّات التي هي بينكم مالكاً ومملوكاً بشبهٍ ووصف ونعت [هو] وصفه ونعته(219) في البرّ والبحر والجبل، فمن ذلك أنّك تجد في الجبال بقراً وكباشاً ومعزاً محرّراتٍ. لا يملكها أحد وتُعْقِبُ وتَنْسُلُ وهي [بـ] حالها كما كانت في البشرية. وكذلك تجدها بينكم مملوكة تعقب وتنسل وتهلك كما كان يجري عليها، وهي في البشرية، وكذلك الحمير. تجدها في وحش البريّة محرّرة في البشرية، وبينكم أيضاً، على حالٍ واحدةٍ.

63 ـ وكذلك البغال والدّوابُ، يجري عليها ما ذكرت لك من الحال بها، فإن كانت محرّرة، كانت كذلك في معادها(220). وإن ملكت في البشرية ملكت كذلك، وإنّها تقع في أحوال شتّى والحيلة عليها وصيدها فهماً(221) بإزاء أسرها/ وسبْيِها، وهي في البشرية، فهي كذلك في [114/أ] المُسوخيّة(222) في البرّ والبحر.

64 ـ والطّير يجري عليها مجْرى واحد في جميعها، لأنَّ من الطّير ما يكون حراً، ثم يملك، ويقع عليه اسم العبوديّة؛ وكذلك الجوارح وغيرها من جميع الحيوان والحيتان؛ فالحيّات والأفاعي وغيرها فصَيْدُها بإزاء أسرها في البشرية، وإنّ منها لما يذلّل(223) ويأنس في البشريّة(224)

---

(219) في الأصل: «وصفها ونعتها».

(220) في الأصل: «معادنها».

(221) في الأصل: «فهو».

(222) في الأصل: «في البشرية والمسوخيّة، ولا وجه لإعادة البشريّة».

(223) في الأصل: يدلّل.

(224) في الأصل: «في البشر».

ويكون يخْبتُ[225] في طاعة مالكه، في أمره ونهيه، وهو بحسب ما كان عليه من طاعة مالكه، وهو في رقّ العبودية له. وكلّ جنس منها يُجيب إلى ما تريد وآخذ عليه، يكون فيه طائعاً سامعاً، وكذلك جميع الأجناس والوحوش والطّير وسائر أجناس المسُوخيّات؛ فمن ذلك الجوارح المُضرّة التي تضرّ وتعلم فتقتل جميع من فديت له بحسب الطاعة لمالكها طائعة وهي مُستعبدة في البشريّة، فهو كما كان، وذلك بحسب ما كان عليه [المالك] في البشريّة وهو في رقّ العبودية/ . [١/ب]

65 ـ وإنَّ منها لما يكون آبقاً غير طائع لمالكه بحسب إباق مالكه الذي ملك[226] رقّه، وهو في البشريّة، مثلاً بمثل حذو النعل بالنّعل والقذَّة بالقذَّة، لأن له من الجزاء في المسوخية مثل ما كان له في البشرية، على إنكاره وجحوده وخلفه، بل يزداد عليه العذاب ويتضاعف له العقاب، لأنه في المسوخية أعتى وأشدّ كُفراً وجحوداً وإنكاراً؛ وذلك أنّه كلّما ذاق[227] عذاباً وخرج عنه رُدّ إلى عذابٍ[228] هو أشدّ من الأوّل كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[229] في اختلاف الكرّات. نعم! يا مُفضّل، من غامض الباطن تعارفَا وتزاوجَا وتآلفَا حتى[230] لا يعدل أحدهم عن زوجه، ولا يأنس شيءٌ بغير جنسه[231]. وتأتي الأنثى إلى ذكرها، والذّكر إلى أنثاه، حتى إن كان من جنس من أجناس الوحش والطّير والهوام وغيرها. وإنه لا يعدل

(225) في الأصل: «يتخبت».
(226) في الأصل: «ملكه».
(227) في الأصل: «ذاق».
(228) في الأصل: «ما هو أشدّ».
(229) النساء: 4/ 56.
(230) في الأصل: «حتى».
(231) في الأصل: «لا يأنس شيئاً».

كلّ جنس عن جنسه وشكل عن شكله، ولا يأنسون إلى شيءٍ [من] غير جنسهم. ويأتي الذّكر إلى أنثاه والأنثى إلى ذكرها، ولا يشتكل على أحدهما ذلك حتى لو/ أنَّ من ذلك الجنس مائة ألفٍ في مثلها مكرّراً من سائر الأجناس، وغيرها من المسوخيّة ما بين ألوف يعجز عن إحصائها العدد، لم يأو منها أحد إلاّ إلى وكره وزوجته، ولا يعدل شيءٌ عن شيءٍ ولا يشتبه ذلك عليهم بحسب كونهم في البشرية وترتيب الحال منهم وفيهم [ذاك] الذي خرجوا منه». [1/115]

66 ـ وإنَّ منها لما يكون بمنزلة من سعى إلى طلب غير زوجته وإلفه من الذّكور والإناث وكلّ شيء. فيكون ذلك بحسب ما كان منهم ومن فعلهم، وهم في البشرية، وما كانوا يمدّون أعينهم وهمَّتهم إليه، يكون ذلك مثلاً بمثل، لا زيادة فيه ولا نقصان منه. فذلك كلّه من حكمة الصّانع لهم وعدل مكوّنهم فيهم، خيْراً بخير وشرّاً بشرٍ، يقلبون ويُغيّرون، وكلّ ذلك تدبير الصّانع الحكيم بإرادته، و﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[232]. ولا يعارض في أمره كما قال جل من قائل: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[233].

67 ـ فقلت: «يا مولاي، إنّي لأرى فيهم، وهم في المسوخيّة، أحوالاً شتّى؛ أرى فيهم من يمشي على أربع، وفيهم من يمشي على رجلين، ومنهم [من] يسعى على بطنه، ومنهم من يطير بجناحيه، وألواناً شتّى كثيراً ما أعجب منها، وأعجز عن وصف[234] ألوانها ونعوتها». فقال مولاي منه السّلام: «يا مفضّل، لا يغرب عليك علم، لأنّ لمولاك في [115/ب]

(232) الأنبياء: 21/ 23.

(233) الأنبياء: 21/ 47؛ وفي الأصل: «إن يك» ويبدو أنها خلط بين هذه الآية والآية 16 من سورة لقمان: 31.

(234) في الأصل: «وصفها».

عالمه حكمة وتدبيراً، اتّخذه الخلق من حيث ينكرونه ويحجب خلقه من حيث يعرفونه، يحجب الخلق المنكوس عن معرفته ويُهدِي المقرّ الطائع بإقراره ومعرفته، يا مفضّل، إنهم في البشرية يسعون مرة[235] ومرّة يمشون على أربع، ما داموا في البشريّة، وذلك أن الطفل في أوّل بدنه في السّعي يحبو مدّة رضاعه بمقدار ما حبا طول عمره[236] في البشريّة، في كلّ هيكل ينقل إليه ويكون مشيه في المسوخية على أربع.

68 ـ وإنه في البشرية والمسوخية من[237] يمشي على أربع، [و]ترى من يمشي في البشرية على يديه ورجليه، ويسعى عليها سعياً طويلاً، اطلب ذلك في المسوخيَّة تجده كثيراً. وكذلك أيضاً في البشرية من يسع على بطنه تجدهُ يسعى في المسوخية كذلك، فيحبُو ذلك السَّاعي على بطنه/[238] وهو في البشرية. اطلب[239] ذلك تجده في المسوخية كثيراً. [1/أ] فهم في تراكيب الحيّات؛ وإنّ منهم في البشريّة من يكون يزحف على عجزه، ورجلاه ممدودتان بين يديه، لا يطيق حراكهما ولا يستعين بهما، بل يسعى حيث يشاء بزحفه على عجزه، فذلك في تراكيب العقارب في المسوخيّات، ويؤول إلى الطيران بعد تلك الكرّة. وما تراه من صنوف التراكيب في المسوخيات فهو موجود في البشريّة من صغيرها وكبيرها. وكذلك يجريه مولاك وهو في كون المسوخيّة.

69 ـ واعلم، يا مفضّل، أنّ كل شيء من كون المسوخيّات فهو بحسب ما كان عليه وهو في البشرية من السّباع وافتراسها واحتيالها[240]

(235) في الأصل: أن في البشرية مرّة يسعون فيها.
(236) في الأصل: «في طول».
(237) في الأصل: «أن».
(238) في الأصل: «فيجب ذلك السعي» ثم كتب «على بطنه» في الأسفل.
(239) في الأصل: «اطلبه».
(240) في الأصل: «في بحسب».

بحسب ما كانت عليه من الشدّة والبطش والصّولة والظلم والبأس والقتل، فكلّ ما جنت هنالك وأكلت وقتلت، كذلك ينالها ههنا. فكلّ مقتول قتله الوحش وهو بشريّ يسلّط المقتول على قاتله فيقتله في مثل تلك الحال [116/ب] التي كان بها، عدلاً من الباري / وإنصافاً جارياً. أما ترى في كلّ حين يقتل البشر سباعاً. وكثيراً من البشر تقتلهم السّباع؟! فذاك القتل الذي وقع بالسّبع من البشر هو مثل القتل الذي وقع من ذلك السّبع وهو في البشريّة على قاتله، وهو سبع في المسوخية، فلذلك يقول العالم و[قد] أجروّا[241] مثل ذلك الشيء[242]: «لا يقْتُلُ السّبع إلاّ سبُعُ مثله». وذلك أنّ في [كلّ] كونٍ ودورٍ وحِقبةٍ ورجعةٍ يُنقل ذلك البشري إلى سبع. وينقل ذلك السّبع إلى بشريّ، فيستوفي الفاعلُ من المفعول به، ثمّ يعود المفعول به [يـ]ستوفي من الفاعل، عدلاً من الله في الخلق كافّة. وكذلك يجري حكمه في جميع أصناف البشريّة والمسوخيّة على ما وصفته لك، وزْناً بوزْن من عضّة ولطمة وخدشة ورفسة ودفعة وقتلة. وإنّ منهم من تُعمّر به العلّة والعاهة، فإن كان ملك شيئاً ملكه ذلك[243] الشيء مثلما ملكه، وإن أعتقه أعتقه[244] وإن بلغ به حالاً بلغ [به] حالاً مثله.

[117/أ] 70 ـ قال المفضّل: «قُلتُ/يا مولاي، فقد نبأتني بشرح واحد أغناني عن شرح كثيرٍ لأنّي قد عرفته وفهمته بفضلك على عبدك، فأسألك أن تعرّفني جميع أجناسها ونعوتها في كلّ محلّ نحلّه في البشرية والمُسوخيّة». فقال مولاي منه السّلام: «يا مفضّل، اعلم أنّه ما يكون منها ذا جنس وصفةٍ ونعتٍ نُعت به [و] عاهات[245] في البشريَّة، إلاّ وكان

(241) في الأصل: «أجرى».
(242) في الأصل: «شيء».
(243) في الأصل: «ملك هو ذلك الشيء».
(244) في الأصل: «عتقه».
(245) في الأصل: «عاها».

كذلك في المُسوخية؛ فإن كان أسود كان كذلك؛ وإن كان أصفر كان كذلك؛ وإن كان أبرش كان كذلك؛ وإن كان أبلق كان كذلك وإن كان أبيض كان كذلك؛ وإن كان أصفر كان كذلك في شعره وبشرته؛ وإن كان أبرص فهو أبرص، وإن كان كذلك يكون في جميع أجناس المُسوخيّات من الأنعام والدّواب والبغال والطّير والحيتان، حتّى إذا كان أعور كان كذلك، حتّى في لون شعره وصفته ونعته في جميع ما ينقل إليه في الحالين البشرية والمسوخية: حتّى إن كفّ في البشريّة/ كفّ في المسوخية [1/ب] كذلك؛ وإن حجب في البشرية حجب في المسوخية كذلك، وإن حدث به شيء من العلل والعاهات في البشريّة، حدث به ذلك بعينه في المسوخية، لا زيادة به ولا نقصان(246) منه، حتّى إذا حدثت به حادثة حدثت به في مثل ذلك الوقت وذلك اليوم وتلك الساعة؛ وإن كانت زالت عنه [في البشريّة](247) زالت عنه في المُسوخيّة في مثل ذلك الوقت وذلك اليوم وتلك الساعة وإن تطاولت به [في البشرية] تطاولت(248) به [في المسوخية]؛ وإن هلك بها في البشريّة، هلك بها في المسوخيّة في مثل ذلك الوقت وذلك اليوم وتلك الساعة، حتّى لو شا[ء] يا مُفضّل، لقلت لك: «إنّي في حال نفسه وعددها في البشريّة [والمسوخية] سواء بسواء حِذْوَ النَّعْلِ بالنّعلِ والقذّة بالقذّة(249). و[كذلك] سائر أحوالها ونعوتها في التّعب والنّصب والشّقاء والكدر والنّعمة والرّفاهة والرّاحة».

71 ـ قال المفضّل: «فقلت: «يا مولاي. ما أجلّ عدلك و[ما] أمضى قضاءك!» قال: «نعم، يا مفضّل، وإنّ ذلك جار منّي في جميع

---

(246) في الأصل: «ولا نقص» ثم كتب فوقها «نقصان» تصحيحاً دون شطب.

(247) في الأصل: «في المسوخيّة» ثم شطبت ولم تعوض.

(248) في الأصل: «تطاول».

(249) راجع Freyagat. Arabum Proverbia. Vol1. p345؛ وكذلك الطوسي كتاب الغيبة ص 172 ـ 173.

[118/أ] الأشياء. المخلوقات/المكوّنات من السّماوات والأرض والبرّ والبحر والسّهل والجبل والأجاج والعذب والعمارة والقفار والأمن والخوف، ويكون كلّ منها بكون، ثمّ يصيرُ ما كان عالياً هابطاً، وما كان هابطاً عالياً، وما كان محبوباً مهجوراً وما كان مهجوراً محبوباً وما كان آمناً مُخيفاً وما كان مخيفاً آمناً، وما كان مجدباً منْبتاً وما كان منبتاً مجدباً، وما كان مُقفراً عامراً، وما كان عامراً مقفراً فتبيّن ذلك تجده وتعاينه يا مُفضّل».

72 ـ [و]إنَّك لتأتي إلى أرضٍ واحدة وقد بُذر فيها بذر واحد وغذا بغذاء واحد، فنبت منه [في] موضع. وعدم ذلك البذر [في] مكان آخر، وتأتي إلى موضع واحدٍ من الأرض والبقاع والجبال فتحفر فيه عيناً[250] فيخرج ماؤه مالحاً أُجاجاً، يمنع الورود منه، يكرهه النَّاس؛ وتعدل عنه [118/ب] إلى موضع آخر فيخرج ماؤه عذباً وشراباً سائغاً/ بارداً، وإنّ البُقعتين[251] واحدةٌ، متقاربتان، لا تباعد بينهما. وكذلك في البحار المالحة يخرج ماء[252] عذب سائغ في جزائره وسواحله بالقرب منه وبعيداً[253]؛ وكذلك في الأنهار[254] العذبة الجارية مثل الفرات وغيره من الأنهار والأودية، يحفرُ فيها وعلى سواحلها فيخرج[255] ماء مالح أُجاجٌ، ومثل ذلك في قُنن الجبال وبطون الأودية. إنّه لينبع الماء منها وفيها عذباً أو مالحاً. وإنهما يكونان في معدن واحد، وذلك دليل آخر أوضحه الله عزّ وجلّ لبيان ما أنا أشرحه لك.

---

(250) في الأصل: «عين» ثم كتب فوقها «معين».
(251) في الأصل: «البقعة».
(252) في الأصل: «معين».
(253) في الأصل: «البعد».
(254) في الأصل: «البعد».
(255) في الأصل: «البحار ولا وجه له».

73 ـ إنَّه يكون[256] محتفر العين ماء عذباً شراباً[257] ينزل منها[258] على ممرّ السّنين والأيّام حتّى يحول ذلك العذب فيصير مالحاً يمنع شاربه الورود[259] فيتحامى ماءهُ الناسُ ويصير [ذلك] عجباً؛ ويكثر الناس تعجّباً ممّا[260] رفه منه، وأنّه كان عذباً وشراباً [ثمّ] صار مالحاً أجاجاً. ويصير مثلاً منزلاً فيتغيّر الحال على عارفه في الحالين. وإنه ليكون [ماء] جار ومعين أو بحر يعرف، يجري فيه العرق/بجريان الماء ممتنع عن العبور إلاّ [119/أ] في مركب لعظمه وسعته وبعُد قعره وكثرة أمواجه، فلا يقدر على العبور فيه إلاّ عند سكونه من هوله، فإذا سكنت الرّيح عنه جرت فيه المراكب حتّى يعبر السالك[261]. ويصير بعد ذلك في وقتٍ آخر وعصر آخر يابساً، يزول كلّ ذلك منه حتّى يحولَ إلى غياض وآجامٍ وآكام؛ ثم يحول إلى برّ وقفر وخلوات ومغاور حتّى إنّه ليمُرُّ به المارّ فيقول قائلهم: «إنّه قيل إنّ هذا الموضع قد كان في عهد [ما وفي] بعض الزَّمان تجري فيه المراكب والسفن لعظمه[262] وعظم سعته ووصفه؛ وكان على حال كذا وكذا[263] والآن، فقد صار إلى ما ترون». وربّما قال: «لقد خبرت أنَّ هذا الموضع كان على حالة كذا وكذا. بنعت[264] كذا وكذا وما هو على ما وصفوه اليوم، وربّما كان قفراً موحشاً، لا يأنس إليه أحد فيصير يمنع ساكنه مخافة الظّمأ، فصار بعد ذلك أودية/وأنهاراً وأبحراً حتى لا يسلك إلاّ [119/ب]

(256) في الأصل: «كان».
(257) في الأصل: «شروبا».
(258) في الأصل: «البعد».
(259) في الأصل: «الورود عليه».
(260) في الأصل: «بما».
(261) في الأصل: «السالك فيه».
(262) في الأصل: «والسفر لعظمه».
(263) في الأصل: «من حال كذا وكذا».
(264) في الأصل: «من نعت كذا وكذا».

بالمراكب لعظمه وهوله وهول مائه، فيقول القائل العارف به وهو في الحال الأوّل من البرّ والقفر: «وعهدي لهذا الموضع [على] صفة كذا وكذا، وهو اليوم على خلاف ما قالوا، وما وصفوا».

74 ـ وهذا شيء يتحدّث به العالم دائماً، ويتناقلونه ويعرفونه و[هو] ممّا اختبروه مدّة بعد مدَّة، ونسوهُ، وأبقته الأقدار[265] لأنَّهم يقولون دائماً، ويتمثلون بقولهم: «نهر جار فيه الماء، لا بدّ أن يعود إليه»[266] فيهتال[267] به القائل عقب[268] ذلك الكلام، لأنَّه لا يعود حتى يهلك حيتانه، وجميع ما عليه من النَّبات. وهم في ذلك صادقون؛ لكنَّهم لا يعرفون حقيقة ذلك إلاّ أن يصير ذلك[269]. وقولهم أيضاً: «عود جرى في الماء لا بدّ أن يعود إليه»[270]. وهم صادقون في ذلك. وهذا من أكبر الأدلّة [على] أنه[271] إذا عاد[272] ذلك الماء إلى حاله، وجرى على سُنَّته القديمة أنبت جميع ما كان على النهر والوادي والبحر من الأشجار والخضرة من النَّبات [إن كان] طيّباً فطيّبٌ، [وإن خبيثاً فخبيثٌ] حتَّى / إنَّ [120/أ] الشجرة لتنبت في موضعها الذي كانت فيه بعينه، ويملكها الذي كانت له وهلك عنها، ثم يملكها بعده قرن بعد قرن وجيل بعد جيل حتّى لا يكون شيء نبت وهلك على ذلك الماء إلاّ وكان بكونه الأول، حتى لا يكون سكن في ذلك الماء من الحيتان أو في البرّ على الماء من الوحش

---

(265) في الأصل: «وبقا منهم الأقدر به ولا وجه له».

(266) في الأصل: «يعود فيه».

(267) في الأصل: «فيتهوّل».

(268) في الأصل: «على عقب».

(269) يصير تامة بمعنى يكون.

(270) في الأصل: «يعود فيه».

(271) في الأصل: «وهذا أكبر دليل أنّه».

(272) في الأصل: «عاود».

والدبيب إلاّ وكان بكونه الأوّل [إن] طيّباً فطيّب و[إنْ] خبيثاً فخبيثٌ لا زيادة فيه ولا نقصان منه: ويوجد الذي عهد فيه في الأوّل بالحال الأوّل عدلاً من الباري سبحانه وصراطاً مستقيماً دائماً بدوامه، وهو لا يفنى ولا يزول ولا يحول، بل يتردّد كما قدّره صانعه الحكيم.

75 ـ إنّه، يا مفضّل[273]، يأوي كلّ جنس من الأصناف [في] المسوخيّات حيث[274] كانت، وكذا الطّير، تعرف أوكارها والوحش تعْرفُ مجاثمها حتّى لا يذهب على أحدٍ شيءٌ من الحال الذي عهده في الكرَّة الأولى إلاّ وأتاه وذكره وعرفه فيجدّد عليه ذلك أحزانه. فهذا يا مفضّل [ما] أراد بقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ/ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾[275]. فهذا [ما]أراد بتبديلها في الظاهر. [120/ب]

وأمّا في الباطن، فإنّه إذا أراد تبديل الأرض أفْنَى[276] عالم المزاج الذين هم في الأرض سكّان؛ فإذا تخلّصوا من المزاج الذي هو في الأرض صفواً وتخلّصوا، ورُفعوا إلى العلُوّ، وتزول عنهم رتبة المزاج، فيحلّون غير المحلّ السّفليّ لأنّهم يحلّون في العالم العلويّ النّوراني ويعودون إلى جوهرهم الذي بدؤهم منه، لأنَّ جوهر الشيء هو الشيء.

76 ـ وأمّا قوله سبحانه وتعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[277]؛ فهو نصّ على أهل الجحود والإنكار لأنهم من الأرض خلقوا، وفيها يعودون، وفي المسوخيّة، ومنها يخرجون إلى الرّسوخيّة بدوام الحال الجاري الذي قد لزموا بجحودهم، وإنكارهم

(273) تداركها الناسخ ورسمها بين السطرين.

(274) في الأصل: «بحيث».

(275) إبراهيم: 14/ 48.

(276) في الأصل: «فنا».

(277) طه: 20/ 55.

وخلفهم [و] كفرهم يكرّون في الأرض في البشرية، ثمّ يصيرون إلى المسوخية بما اكتسبوه من أعمالهم: ثم يصيرون إلى الرّسوخيّة بسوء أعمالهم وإصرارهم على ذلك الجحود والكفر والإثم لأنهم كلّما/ ذاقوا عذاباً خرجوا إلى ما هو أشدّ منه، عند ذلك يكونون أشدّ كفراً وعناداً. وإنه لو ورد(278) عليهم مثل تلك الدَّعوة مائة ألف سنة [و]مثلها مكرّراً لما أجابوا ولا صدّقوا(279)، فهم في أليم العذاب، لا يفتر عنهم عدلاً من الباري جارياً فيهم وفي غيرهم، ينتقم منهم في البشرية والفُسُوخيّة والمُسوخيّة والوُسُوخيّة والرّسوخيّة في الكشف بعد الكشف والرّجعة بعد الرّجعة وهم على سُنن ما جرى لهم من الجحود والإنكار بجميع ما يظهر لهم من الحقائق». [121/أ]

77 ـ وأما قوله له. يا مفضّل: «والسّموات»، [ف]قد علمت ما نعتها به السيّد [محمّد] عليه السلام إذ قال عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ * فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾(280). وهـذا نصّ على سماء وأرض، وإجابتهما إلى ذلك، فاعرف ذلك من قول مولاك حتى يرد(281) عليك شرحه عند إشكاله من الشرّاح(282). وقد قال السيّد محمّد منه السّلام: «في ظاهر الأمر إن لله سماءٌ من دخان وسماء/ من ضبابٍ(283)، وثالثة من فضّة ورابعة من ذهب، وخامسة سماء من ياقوت وسادسة سماء من زمرُّدٍ، وسابعة، سماء من نورٍ»(284). [121/ب]

(278) في الأصل: «أراد».

(279) في الأصل: «اصدقوا».

(280) فصلت: 41/ 11.

(281) في الأصل: «يزد».

(282) في الأصل: «لشرح».

(283) كتب في أعلى الصفحة استدراكاً.

(284) تعتبر عقيدة ظهورات الأبواب في الأعلام المذكورين. لطفاً بأهل المزاج واستئناساً، مبدأ ثابتاً عند النصيرية حتى إنّ هذه الأسماء تصبح جزءاً من بعض الأدعية عندهم، =

78 ـ وكلّ سماءٍ في الباطن فهي سلْسلٌ، وهو الباب في الباطن وهو واحد لا يتغيّر إلاّ بالظّهور عند العالم السّفلي كما نظروه بأسماء مختلفة مثل جبرائيل [و]يائيل، وحام، ودان، وعبد الله، وروزبه. وسلمان وهو في الحقيقة سلْمانٌ وهو جبرائيل وهو نورانيٌّ. فتبديل السموات يؤول إلى كون آخر؛ وتبديل العالم [يكون] بحسب ما تبدّل [به] الأخرى؛ فإذا حلّ شخص من أشخاص أصحاب المراتب والدّرج أو من جاوزهم ممّن صفا ورقى، حالاً، مثل قوله: «كنت في منزلة دنيئة [فـ]أجهدْتُ نفسي حتى تخلّصت منها ورُفعت إلى هذه المنزلة، وقد رُدِدتُ إليها». فيداخله من ذلك شكٌّ فيستحقّ من ذلك عقوبته على اعتراضه.

79 ـ وإنْ علم أنّ الرفعة والعلوّ أن يحلّ حيث[285] حلّ مولاه واسمه وبابه ويشكر مولاه على ذلك، ازداد رفعة وعلوّاً. وإن داخله اعتراض/ [1/122] عند تغيير الباب أسماء وصفات[286] عند امتحان المولى العالم بالظّهورات [و] كذلك [عند] ظهور اسمه وبابه أيضاً بين يديه بمثل ذلك. وداخل الشخص شكّ في[287] ظهوره في تلك السّماء، فيستوجب بذلك عقوبة: فمن ذلك كسوف الشّمس[288] والقمر؛ ومنها، [وهو] ما يلحقه بتقصيره في ذلك ما يهبط به إلى الأرض، فيقيم في قميص واثنين وثلاثة، وأقلّ وأكثر وهو مع ذلك يخفي نفسه عن البشر. فإنْ أحبّ أن يُظهر نفسه لأحد ممّن قد عرفه، أظهر نفسه له؛ فيقف إلى جانب الرّجل البشريّ، ويحادثه في أشياء تكون تأديباً لذلك البشريّ، فيكون كلامه على سبيل النّصح،

= راجع مخطوط باريس 5188 ورقة 83، وكذلك الخصيبي الديوان الشامي، القصيدة البائيّة ـ مخطوط مانشستر 452 ورقة 75/ ب.

(285) في الأصل: «بحيث».

(286) في الأصل: «بالأسماء والصفات».

(287) في الأصل: «عمّا في...».

(288) في الأصل: «من ذلك الكسوف للشمس والقمر».

والأمر بالخير والنّهي عن المُنكر والمكروه».

80 ـ فمن ذلك يا مفضّل، أنك لتلقى الرّجل وهو يمشي وحده يتحدّث، فتقول: «إنّ هذا الرّجل ليحدّث نفسه ويأمرها وينهاها» نعم! يا مفضّل، وإنّه ليعلي كلامه فيقول: «لا أفعل» شبه المخاطب[289] [و] وإذ[290] يقول: «أفعل ولأعجّلُ» شبه/ المجيب. [122/ب] وربما كان الرّجل في بلد قفر وحده بلا أنيس، ولا تابع ولا رفيق، وإنّه ليحدّث نفسه، وهو مع ذلك يخفي صوته كأنّ عليه مُستمعاً يتسمّعُ إليه[291] كما يفعل الرّجل بمُخاطبه[292] إذا سارّهُ وأخفى صوته عمّن يخشى استماعه؛ ومثل ذلك كثير. فالمحدّث للرّجل المؤمن في مثل هذه الأشياء التي ظهر له فيها الخطاب [هو] من العالم الذي هو أولئك[293] الأشخاص الذين[294] وصفت لك حالهم [من] أنّهم[295] مهبوطون[296] من العلويّة؛ فإن أحبّ أن يُظهر نفسه لذلك الشخص البشري ظهر له وآنسه؛ وإن لم يختر فهو يُخفي نفسه، ويَجْري أمره مع البشريّ كما أخبرتك[297] في هذا الشّرح لأنّه يوجده معاني الأشياء، ولا يقع طرفه على أحدٍ يراهُ.

81 ـ ومن ذلك أنّك تكون على حال من[298] الوحدة فتُشرف على الهلاك ولا يكون قربك أحد من معين تستعين به. فـ[إذا] أنت على يأس

(289) في الأصل: «المخاطبة».
(290) في الأصل: «إذا».
(291) في الأصل: «عليه».
(292) في الأصل: «بمخاطبته».
(293) في الأصل: «تلك».
(294) في الأصل: «التي».
(295) في الأصل: «أنّها».
(296) في الأصل: «مهبوطة».
(297) في الأصل: «أخبرتك به».
(298) في الأصل: «في».

من أمركَ حتى يشرف عليك من يُخلّصك ويكشف عنك مخافتك، وما أنت فيه/ من الشدّة، ويكون عونك عليها؛ فإذا تخلّصْت، قلت: «بعث الله لي هذا الرّجل رحمة، ونعمة عليَّ، فأنقذني ممّا كنت فيه، فما أدري [أ] من الأرض طلع أم من السّماء نزل»: وربّما اتّبعته لتطلبه، فتعدمه ولا تقدر عليه، ويكون كأنّه ما كان، فتقول: «لستُ أدري [أ] من السماء نزل أم من الأرض طلع». فذلك القول مثل الحقيقة، وأنت لا تعلم [أ] من السَّماء نزل أم[299] من الأرض صعد؛ فتبيّنْ هذا، يا مُفضّل [و]تعرّفه».

[12/أ]

82 ـ «واعلمْ، يا مفضّل، أنّ المولى يحلّ معهم[300] في السّماوات عند حلولهم فيها، وينزل قبل [أنْ] يحلّ معهم في الأرض عند كلّ منزل ينزلونه منها. ليُثبت الحجة عليهم من حيث وجودهم/ على فضل المنزلة التي)[301] في كلّ محلّ يحلّونه؛ فإذا آثروا فضل المنزلة التي كانوا فيها حلولاً، وَجَبَ عليهم ذلك الجزاء الجاري بهم، ويكون ذلك لإيثارهم المكان على المكوّن (فمن آثر المكوّن)[302] على الأمكنة كلّها، وعلم أنّ[ـه] حيث حلّ المكوّن، فذلك هو المكان العالي الرّفيع، فهو على منزلة الثّبات. وليس يجري ذلك على أهل المراتب إلاّ بعد ظهورهم في هذه المنزلة التي هي / المنزلة الأولى: فمن ثمّ، يا مفضّل، يجري على العالم العُلْويّ الاختبار [في] بعض الصّفات، فيكون ذلك على حدّ العذاب لذلك الشخص عند العالم. وهذا يا مُفضّل. أصل الحكمة الأبدية. ودوام الملك السّرمديّ، وإنقاذ القدر، لأنّه لا يبطل، وهو قوام العدل ودعائمه لأنه / من/ مخبرِ خبيرِ.

[/ب]

(299) في الأصل: «أو».

(300) في الأصل: «معكم».

(301) جاءت العبارة في الهامش وقد أشير إلى موضعها.

(302) جاءت العبارة في الهامش وأشير إلى موضعها.

83 ـ واعلم، يا مُفضّل. أنّ الاختبار واقع بالعالم جميعاً[303] وهم في عالم واحد لمّا ظهر لهم [المعنى] وأوجدهم نفسه ودلّهم على ذاته ودعاهم إلى توحيده، وأظهر فيهم ظهوره، لا يفضّل أحداً على أحدٍ؛ ولولا ذلك [لـ]كانوا يقولون: «لو ظهر لنا كما ظهر لغيرنا لصدّقناه وآمنّا وعرفنا الحقيقة»، فكان العدل [واحداً]؛ والقدرة واحدةً: إنه أبداهم وأوجدهم بدءاً واحداً وكوّنهم كوناً واحداً؛ ودعاهم دعوة واحدة؛ وظهر لهم ظهوراً واحداً؛ واختبرهم اختباراً واحداً، فعرف من عرف؛ وأنكر من أنكر، وأجاب من أجاب، وجحد من جحد: فميّزهم بعلمه فيهم. فلهم في كلّ منزلة ما استحقوه من ذلك الاختبار. فالاختبار من العُلوّ أصل وبدء[304] وكيف يُهمله مولاك. وإنما الفرع بالأصل/ . [124/ا]

(303) في الأصل: «جمعا».

(304) يعني: فالاختيار أصله وبدؤه من العلوّ.

[باب]

القول في الاختبار ومعرفة ذلك

84 ـ يا مفضّل، العالم البشريّ العارف[305]، يختبرهم مولاك في المنازل والرّتب والرّفعة والانحطاط في البشريّة لا غيرها. فإن عرفوا مولاك بحقيقة المعرفة، فإنّ [من] عرف مولاه، وهو في أعلى رتبة في الدنيا. فإن ثبت على إقراره بالمعرفة، لم يشبه فيها شكّ، وأيقن أنّ النّور هو الذي ثبت عليه من المعرفة، استوجب بذلك الارتقاء إلى درجة عالية، وسهل له الصّفاء. وإن هو ـ عند كمال دنياه ـ قال: «كنت في حال دين ودنيا، ولا يكون الدّين إلاّ بالدنيا» هلك، واستوجب التّردّد في البشريّة، في القمصان الصّعبة حتى يخرج[306] من ذلك ثمّ يرد[307] عند تناهي ذلك إلى الحالة الأولى التي كان عليها من التّرقي والعلوّ في الدّنيا والعلم والمعرفة. فإن عرف ذلك. وآثر الإقرار والمعرفة على ذلك الأثر من الدنيا، استوجب لذلك أن تعلو درجته إلى العلوّ ويسهل له الصّفا، فمنهم من يرتقي[308]/ في الحالين، في الدين والدّنيا؛ ومنهم من يرتقي في الفقر، فهذا اختبار العالم السّفلي البشريّ وذلك أن مولاك يظهر فيهم ويقيم فيهم مقامات حكمته. [1/ب]

---

(305) في الأصل: «العارف البشريّ».

(306) في الأصل: «يخرجون».

(307) في الأصل: «يردون».

(308) في الأصل: «من يرتقي من الحالين».

85 ـ وأسباب الارتقاء هو الصّراط[309] السّويّ في العالمين، وكذلك يا مفضّل يجري حكم ربّك، ومولاك في عباده: وكذلك يجري أمره في العالم المنكوس، أهل الخلف والجحود والإنكار والكفر؛ يظهر لهم الدعوة وينقلهم إلى منتهى[310] العلوّ في أعلى البشريّة في حال الدّنيا والدّين والفقه وطلب العلم الظّاهر والحديث والنطق والجدال والقراءات على[311] المذاهب لِيُوقع على[312] أفهامهم[313] جميع العلوم، الظّاهر [منها] والباطن؛ ويعرّفهم مقالات المذاهب، ويُسمعهم معانيها حتى إذا لم يبق لهم شيءٌ إلاّ ويعونه ويعرفونه، ويرونه ويتكلمون عليه، ردّهم [إلى] الخمول في الدّنيا ونقصان الفهم والعمى عمّا كانوا يعرفونه عن جميع ما طرق أسماعهم حتى يكونوا كمن لا يعرف ولا يفرّق بين الحقّ والباطل والخطأ والصواب/ [1/125] فيسمعون ما كانوا هم أعرف به، فيجهلونه، يبلوهم في ذلك مدّة اختبارهم، فإذا تناهى بهم ذلك إلى أواخره ردّهم إلى الكُفر والجُحود، وعكسهم بعد ذلك إلى المسوخيّة؛ ثمّ يوجدهم فيها جميع ما كانوا يجحدونه، ويعرفونه في البشريّة، ويتبيّن لهم من أطغاهم، ومن كان سبب تلك الضّلالة، فيودّون أن يُردّوا إلى البشرية ليؤمنوا. والدليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: «ربنا ارجعنا نعمل صالحا غير الذي نعمل»[314]؛ وقوله: «يا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل»[315] وثبّت

---

(309) في الأصل: لفظ «صراط» بالتنكير فوق كلمة الصّراط.

(310) في الأصل: «تناهي».

(311) في الأصل: «في».

(312) في الأصل: «ليقع ذلك على».

(313) في الأصل: «أفهامهما».

(314) استشهاد بالمعنى، راجع السجدة: 32/12.

(315) استشهاد بالمعنى: راجع الأنعام: 6/27، الأعراف: 7/53.

عليهم الحجة بقوله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[316].

86 ـ وهو الذي اختبرهم في البشرية بالردّ والكدّ واتّخاذ كلّ علم ظاهر وباطن. و[اختبرهم] النّذير بالكشف والدّعوة عند ظهوره. ثمّ إنه أخبر عنهم أنهم غير صادقين في قولهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾[317] فلا يزالون في المُسوخيّة إلى ما ينقلون إليه في طبقاتهم على سُنن ما جرى لهم في البشرية [من] الذّلة والانتقال والإهمال، على حال واحدٍ وصراطٍ/ واحدٍ يسلكه العالم المنكوس [/ب] ويجري فيهم القدر ولا ينقطع في حال إلى بدء الإرادة الثانية بعد الأولى يجري ذلك في جميع الملك على دلالةٍ واحدة وصراط واحد، يسْلك[ه] العالم السّفليُّ، ولا يفترقون [عنه] ولا يحولون، ولا يزولون[318]، ولا يفتر عنهم العذاب إلى الرّجعة الأخرى فطُوبَى، يا مُفضّل لمن عرف شرح هذا الباطن، ووقف عنده وعمل به وسلّم إليه وعرف مُراد مولاه فيه، وويل لمن شكّ فيه وجحده وصدّ عنه وندّ وخالف عليه وعاند فيه».

87 ـ فقلت: «يا مولاي لا يثبت على ذلك إلاّ من نبّهه إليه ولا يهتدي إلاّ من هديته». فقال: «يا مُفضّل، أكثرهم يقرّون أنّ مولاك خاطب السيّد محمّد منه السّلام، فقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿30﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿31﴾﴾[319]؛ وقد قال في موضع آخر: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[320] فقد دلّ على أن الحيّ ميّت وذلك

(316) فاطر: 35/ 37.

(317) الأنعام: 6/ 28.

(318) في الأصل: «لا يفترق ولا يحول ولا يزول».

(319) الزمر: 39/ 30 ـ 31. وفي الأصل: «. . . ثمّ إنكم يوم القيامة تبعثون».

(320) الأنعام: 6/ 122.

أنه أبان أنه في البشرية؛ كما يقولون: نحن في الجنة [يوم] القيامة[321].
لأنه قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[322].
[126/أ] وقال أيضاً/ مخبراً عنهم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿30﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ أو ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[323] من دوام هذا الموت وهذه الحياة؛ وذلك أن قولهم: «أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين»[324] فهو أمتنا مرّتين، وكان ما كان. [فـ]أمتّنا[325] كان حتماً جزماً[326]، وهو كون دائمٌ.

88 ـ وأما قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿30﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿31﴾﴾[327]، فإنما أراد اختبارهم؛ فإذا كان السيد الأكبر والاسم الأجلّ والحجاب الأعظم والنّفس المحذّرة قد نُعت بهذا الخطاب، فكيف يخرج عنه أهل المراتب والدّرج وجميع العالم الذين [هم] من بعض حسنات السيّد الأجلّ الأعظم السيّد محمّد منه السّلام [فـ]أراد بالقيامة والبعث الكشفي[328] والظّهور ورجوع كل شخص من [126/ب] بشريّ ونورانيّ/ وظلميّ إلى حاله الأول والدّعوة الأولى بالحجّة القائمة المتقدّمة، فلا يهلك إلاّ من اغترّ بقوله: «إني عارفٌ ومصفّى ومخلصٌ وناجٍ»، فإنّ الاختبار به هنالك أشدّ وقيعة وأعظم وأكبر محنة، وقد قيل: «احذَروا زلّة العالم، فإنها لا تُقال»[329]. ويُقال: «أعوذ بالله من الذلّ بعد

---

(321) لم نستطع تحقيق هذه العبارة من نصوص الأمثال وما شابهها.
(322) الأنعام: 6/ 122.
(323) غافر: 40/ 11.
(324) راجع نفسه.
(325) في الأصل: «متني».
(326) كتب في الأصل خط غليظ تحت جزما لك..
(327) الزمر: 39/ 30 ـ 31.
(328) في الأصل: «والكشف».
(329) لم نستطع تحقيق هذا الحديث في الأصول الاثني عشريّة، ولكن وجدناه في شرح =

العزّ»[330] ويُقال: «أعوذ بالله من الشيطان المغوي والهوى المرْدي»[331] ويقال: إنّ زلّة العالم لا تقال وزلّة الجاهل [تُقال][332]. وفيها باطنٌ. وظاهرٌ؛ وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[333]. كما أنك إذا عتبت على شخصين: أحدهما عالمٌ، والآخر جاهلٌ تقول: «إنّي لا أؤاخذ الجاهل بجهله وإنّما أؤاخذ العالم بعلمه». فإذا كان يا مفضّل، أهل المراتب والدّرج على هذه المنزلة والحالة من الاختبار فكيف[334] يكون بمن هو دونهم ممّن إذا ألقيت إليه المعرفة، وأمر [أن] يعمل ويكشف شيئاً من الباطن العظيم لم يحمله، وقعد عنه، وقنط فيه؛ وربّما داخله فزعٌ ورجع وشكٌّ؟! وإنّما هذا من رُتب المراتب البشريّة ومقامات/ [١] الامتحان والترديد في قُمصان البشريّة، فإ[ذا] فكّر[و] تبصّر في ما يُلقى إليه وقلبه وحافظ عليه. عدل به [ذلك] عن الترديد والنزول في الهياكل الصّعبة.

89 ـ وأما أهل الخُلف والجُحود والإنكار والكُفر، فهم كلّما جحدوا وأنكروا رُدّوا من البشريّة إلى الهياكل الرّجسة في المُسوخيّة على قدر جرمهم. فأمّا أهل المعرفة والإقرار، فإنّ منهم من يكون في منزلة عالية سنّية رفيعة، فيسقُط عنها بشبه يعرضُ له أو شكّ يُداخله أو مُماراةٍ يماري فيها أو كلمة تكون منه أو بظنٍّ في أخيه أو وقيعة تقع له[335] أو سموّ

= الإمام وما يجب عليه. .» مخطوط باريس عدد 1450: 155/إ. وهو منسوب إلى الإمام الصادق قارنه بما جاء في أمثال وحكم، ج2؛ 912.

(330) راجع مخطوط باريس 1450، ورقة 157/ب وقارنه بابن ماجه ـ دعاء 3.

(331) لم نستطع تحقيق هذا الحديث ولكن وجدناه في مخطوط باريس 1450 ورقة 55/أ مع اختلاف طفيف.

(332) راجع الهامش عدد 7 من نفس الصفحة.

(333) الزمر 39/ 9.

(334) في الأصل: «وكيف».

(335) في الأصل: «تقع فيه».

يسمو له به[336] عليه أو يتصوّر[ه] دُونه؛ وإذا كان ذا دين واستأثر عليه بشيء من حطام الدّنيا أو بشيء من الدين، يسأله عنه فيبخل عليه بعلمه، فالشكّ في المعرفة ودخول العوارض والعلل على المقرّ يُرْدي[ه] إلى الانحطاط ومُعاناة البشريّة. وكذلك - أيضاً - التّقصير في حقوق المؤمنين والقيام/ بأمورهم [127/ب] واجتناب مكارههم ومساويهم، والوقيعة والاستئثا[ر] دونهم بدين أو[337] بدنيا من فرح وسرور، يردي إلى الانحطاط ومعاناة البشريّة وهو ذلك في أعظم محنةٍ وأشدّ مطالبة، لأنّ الله سبحانه قد آلى على نفسه أنّه يهب ما بينه وبين عباده المؤمنين، وأن يُمحّص عنهم ذلك ولا يعبأ به؛ وما بين[338] عبدين مؤمنين عارفين [بـ]مطالبه من مظلمة (إلا آخذهما[339] على ذلك البغي)[340]. [فـ]قد آلى على نفسه أنّه لا يدع من شيء إلاّ استوفاه [و]كذلك المعاني فيه، فيجاريه على قد[ر] فعله به، ويأخذ له بحقّه.

90 - وهذه الأفعال تستوجب الجزاء والعطاء والمكافأة. فإذا كان مولاك يوفي هذا الحق من نفسه [فـ]كيف لا يستوفي المؤمن من غيره وهو جعلهم سواءً في الأحوال جميعاً؛ وقال قوله لهم: «كونوا كنفس واحدة»[341] كما نعتهم أنفسهم فقال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[342] فأوجدهم بكون واحد/ بعثهم مشاهديه؛ ومعنى بعثهم [128/أ] عيانهم ومشاهدتهم [له] وقبوله إيّاهم؛ وكذلك بمعنى واحد صاروا مؤمنين حقاً مُخلصين[343] مشاهدين، وعيانهم مشاهدتهم، وقبوله إيّاهم على

(336) في الأصل شطبت «به»، ولكن يحتاج إليها السياق.
(337) في الأصل: «أم».
(338) في الأصل: «بينه».
(339) في الأصل: «أخذه لذلك البغي».
(340) جاءت العبارة بين قوسين في الهامش وأشير إلى موضعها.
(341) استشهاد بالمعنى: راجع: النساء: 4/ 1؛ الأعراف: 7/ 189.
(342) لقمان: 31/ 28.
(343) في الأصل: «خالصين».

الإخلاص والإيمان والصّفاء والتّساوي.

91 ـ فأما من فضّل أخاه المؤمن على نفسه، وتعبّد للمؤمنين، فإنَّما ذلك من تعبُّد الله وطاعَتِه، وممّا يستوجب به من الله الزّيادة والرّفعة في حظّ الإيمان والمعرفة[344]، فيكون بذلك الفعل دليلاً وسبيلاً وسبباً يستوجب من الله أن يجعل له منزلة يخلص بها من عباده. ومن أحبّ الله على قدر اجتهاده في تلك الطّاعة للمؤمنين، فطلب رضا الله مولاه فيهم، فمنهم من يجعله الله بفضله عليهم سبباً لخلق كثير، يؤتيه رفعة وبسطة في العلم والجسم وينشر له بذلك علماً واضحاً نيّراً، ويجعله مقصداً للمؤمنين، ويودعه غوامض علومه وبواطنها فيكون في ذلك حياته ونجاته وحياة من قصده وقبل منه. ومنهم من يكون سبباً لهداية مائة ممّن قد أحبّ الله خلاصهم؛ ومنهم من يكون سبباً لهداية عشرة أو أقلّ أو أكثر إلى واحد من العالم يهديه الله على يديه ويجعله سبباً لخلاصه ونجاته/ فكلّ ذلك يجري عليهم منهم، وفيهم ويختصون على قدر امتثالهم لطاعة الله مولاهم في حقوق إخوانهم المؤمنين، فهذا [ما] لهم من عطايا مولاهم.

92 ـ وأشرك الله صاحب المائة بصاحب الواحد، وجعلهما في المنزلة والفعل سواء. إذ جعلهما واحداً بقوله: «كونوا كنفس واحدة»[345] وقوله: «وخلقناكم من نفس واحدة»[346]. وصاحب النفس الواحدة كالذي أحيى الكثير من الأنفس، وأوجب له على الملجأ الشّكر والإجلال والإكرام، قال العالم منه السّلام: «إن الله يقول: «ما شكرني حقّ شكري

(344) في الأصل: «من حفظ الإيمان...».

(345) استشهاد بالمعنى. راجع النساء «الزمر»: 39/ 6.

(346) استشهاد بالمعنى. راجع المائدة: 5/ 32.

من لم يشكر السّبب الذي بيني وبينه»[347] ثمّ نطق الكتاب بذلك وقال: ﴿ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾[348]؛ وقال: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾[349]. وقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[350].

93 ـ واعلم، يا مفضّل، أن التّربية بالكلمة الطيّبة العذبة ثم بالأخرى التي هي أقوى منها طيباً وأحسن وأتم[351] رونقاً حتى يقوى على تحميلها[352] ومداراته/ في قبولها[353] والإجابة إليها؛ ثم بعدها حتى يعطيه [129/أ] المعرفة بذاتها، فذلك هو الذي كان صغيراً، فلم يزل يربّيه بالمعرفة، والعلم قليلاً قليلاً، ويرفعه من رتبة إلى أخرى حتى ربّاه من الصغر إلى الكبر[354]؛ وربّما ألقى إليه معرفته، فعرفه، وأقرّ به، وارتفع من الضّعف إلى القوّة. [فـ]هذا إرضاء مولاك لأهل الإقرار سبباً، فهل هم متمسكون بهذا أم تاركون يا مُفضّل؟».

94 ـ فقلت: «يا مولاي، أنت أعلم بهم» قال مولانا، علينا رحمته: «يا مُفضّل فلعلمي بهم، وبتقصيرهم وعدولهم عن أمري تطاولت بهم المدّة، وتضاعفت عليهم الكرّات وتناقلتهم الرّجعات والأدوار والأكوار والحقاب والأعصار والدّهور والأزمنةُ»، ثم قال مولاي: «يا مفضّل، إنّه

(347) لم نستطع تحقيق هذا الحديث.
(348) لقمان: 31/ 14 وفي الأصل: «والِيّ».
(349) البقرة: 2/ 200، وفي الأصل: «وأشدّ ذكراً».
(350) الإسراء: 17/ 23 ـ 24.
(351) في الأصل: «اتقاء».
(352) في الأصل: «لحملها».
(353) في الأصل: «على قبولها».
(354) في الأصل: «من الصغير إلى الكبير».

ليعاني المؤمن [من] الآخر لألف أو مائة أو أقلّ أو أكثر. وربّما كانوا من القبول على درجة القرب بالإجابة[355]؛ فإذا ألقى المؤمن البالغ إلى الرّجل المؤمن الطالب الكلمة [و]وافقت القبول بها[356] فيسهّل ذلك[357] على الآخذ والمأخوذ عنه/ فيقلُّ تعب المعاني ويحسن تبصّر القائل فيصير نُعْتَةً[358] ويقصد[ه] مُعاني السّؤال، فتحسن بذلك نظرته وبصيرته في العالم فيكون فقهه بكلمة واحدة كفقه غيره بكلمات كثيرة وسماع كثير؛ ويكون عنده[359] الاستماع والبحث والطّلب والمواظبة؛ ويشتغل سرّه وفكره[360] بالذي قد ألقي إليه، ويجعله معوّلاً يعوّل عليه ويقصده ويطلبه؛ ويطلب الزّيادة منه، وفيه حتّى لا يكون له همّ سواه ولا مراد غيره؛ ويخلو ذلك بقلبه، ويُجانس جوهره ويتّسع معناه، فهو بذلك يقرب من الدّرجة العالية، ويبعد عن الشكّ والجحد ويتخلّص، فتتجلّى عنه بذلك الظّلمة بما[361] وجده قريباً».

95 ـ وليس يكون حظّ معطيه كمعطي المعاني الآخر سواء، فذلك يا مفضّل، أنّ الذي يعاني شخصاً واحداً يعطيه الكلمة فيقبلها ويتحقّقها[362] وينزلها من فكره ورأيه منازل شتّى، يعمل لها مسائل وأجوبةً ووجوها يجادل نفسه فيها، ويقيم الحجّة لها وعليها؛ ثم يغدو ويروح على مُعطيه الكلمة وسببه، فيسأله عن وجوه المسائل[363]/ والاحتجاج على ما سأل

(355) في الأصل: «والإجابة»، ثم صحّحها كما أثبتنا.
(356) في الأصل: «فيها».
(357) في الأصل: «على ذلك الآخذ».
(358) في الأصل: «نعتاً».
(359) في الأصل: «فيه».
(360) في الأصل: «في الذي».
(361) في الأصل: «فما».
(362) في الأصل: «يتحقق بها».
(363) في الأصل: «السائل».

عنه، من احتجّ بكذا. وكيف تكون الحجّة على كذا؛ ويُردّد ذلك مراراً، كلّما سأل أجابه وأوضح له فلا يملّ بتردّده حتى يقيم على ذلك الجواب بإيضاح الحجّة[364] ويجعل عليه سؤالاً، ويُلزم ذلك السبب خصاماً، لا بدّ أن يأتي عليه بحجّته، يقول: «لا أقبل ما تأتي به بحجّة واحدة ولا أسلّم به[365] من وجهٍ واحدٍ»، وذلك كلّه لبعد مكانه وطول ما عاناه من البشريّة والكدر والمزاج، لأنّه قد ارتقى في العلوم الطالبيّة في درج النّطق والاحتجاج في المذاهب، وأقرّ بمعانيها، ودخلت قلبه، فهو شديد الجذب[366] والتجريب، والجذب إلى قول الحقيقة، والتجاذب حذراً من إيقاع الشبهة عليه يريد [بذلك] الوضوح والبيان؛ فكلّما اتّضح له حالٌ لاح له لذلك الحال شيء من تلك الأحوال المتقدّمة. فلا يزال [السبب] يوضّح الحجّة له، والإيضاح حتّى تزول عنه تلك الآراء[367] والظنون المعارضة له ويشرح له ما اشتكل عليه فتزول عنه تلك الآراء والظنون بما[368] يسمعه ويتبيّن له، فيتمكّن عقده به، ويكون فيه بازغاً [والطالبُ] مقتبساً/ [130/ب] سائلاً عمّا يحتاج إليه وما جاهد فيه وعليه وحمله منه، وزاده إليه من الرّجعة والاستجارة، خوفاً من الرّجوعِ إلى ما كان عليه أولاً من الارتعاب والتّرديد، فهو ذو حظّ عظيم من الجزاء والثواب[369] والعطاء، فيكون عند ذلك في جهاده لهذه النفس الواحدة مثل الذي قد ألقى[370] ذلك الكثير من الباطن إلى المستحقين للمعرفة.

---

(364) في الأصل: «وإيضاح».

(365) في الأصل: «أسلّمه».

(366) في الأصل: «الحدب».

(367) في الأصل: «الادى».

(368) في الأصل: «ما».

(369) كررت كلمة «التواب» سهواً.

(370) في الأصل: «ألقى إلى ذلك».

96 ـ واعلم، يا مفضّل، أنَّ ذلك يجري على ما شرحته لك حتى يكونا سواء في الفضل والمنزلة والعطاء، على صراط واحد في جميع مراتبهما في البشريّة، والنّورانيّة لأنّ[ـه] لزمتهما إقامة الحقّ في ذلك ليدفعا إلى كلّ محقّ حقّه، ولا يبخس أحدٌ شيئاً إذا أنس منه رشداً وإلاّ، فإنْ منعه فإنّه يجعله يتيماً قد حجر ماله عليه؛ فإذا أعطى العارف الطّالب شيئاً من علوم الله الباطنة فقد خلّصه بها إن[371] أقرّ للمُلقي إليه الخطاب وسلّم وصبر وحمل».

97 ـ «فإن منعه الملقي إليه فقه ما أعطاه [مولاه] وانتظر به إلى حين[372] أُخِذ وأدركته النّقلة لذلك السّبب، وخلّف تلك النّسمة / التي ألقى إليها التّوحيد على بعض البصيرة، ولم يغذّه[373] و[لَمْ] يُفقّهْه و[لَمْ] يُربّه، وتركه حائراً في رُشده، وتائهاً في أمره محيّراً في خلاصه، لا يدري إلى أين يلجأ، فيأنس من أحد رشده ويميل إليه ويقصده، ويطلب منه فيمنعه، ويبعده ولا يتّقي فيه[374]، ولا ينطق ويقول: «اطلب من حيث وجدْتُ» فيصير بذلك يتيماً، ليس له مال، وقد حجر ذلك المال عليه ومنع عنه؛ فلا يزال في تعبٍ ونصب حتى يجد من يأنس إليه فيُعطيه طلبته ويبلّغه إرادته؛ ويكشف له الحقّ ممّا يلقيه إليه؛ فإن لم يجد من يخلصه ممّا هو فيه، ونقل على تلك الحالة التي خلّفه فيها، فقد هلك ذلك السّبب، لأنه يُطالب بفعله به، فلا يزال يُنقل في الهياكل الصعبة الضيّقة في البشريّة حتى يخرج عن جنايته، ولا يكون له عند مولاه حجّة، بل تكون الحجَّة له عليه عند مولاه [و] لتلك النّسمة على والدهما عند مولاهُما».

[1/1]

(371) في الأصل: «فإنّ».

(372) في الأصل: «وانتظر إليه به».

(373) يعود الضمير على الطالب.

(374) في الأصل: «لا يتقى به».

98أ ـ «فإذا أخذ في ذلك بأمر مولاه، وطلب منه نجاة ذلك الشَّخص
[131/ب] وابتغى رضى مولاه، فيعطيه الكلمة فيخلّصه بها وينصحه ويُعرّفه/ مع ذلك ما يحتاج إليه، وما يخرج به من الشّبهات، ويُوضّح له منهج رشده وقصده، ويفقّهه في دينه، ويُودعه علوم الله حتى لا يدع لله عليه حجَّة، بل تكون الحجَّة له على ذلك المتأسّي المتناسي [أ] رجع أم قصّر أم زاغ أم مال. قال [مولاي]: «فيقول ذلك الشيخ: «يا ربّ، أنت الذي أمرْتني أن أدفع إليه ماله الذي جعلتَهُ له عندي، وقد دفعته إليه كما أمرت؛ وما تركت له حجَّة عليَّ؛ وقد نصحته كما أمرتني؛ وإنّي فقّهته وبصّرته، وأفصحت له، ولم أعدل [به] عن طريق الحقّ؛ وكشفت له جميع ما قدرت عليه، وكنت أعلم به منّي» فيكون شيخه عند ذلك مقال الجزاء والعقوبة، وإنّ الحُجَّة لا تثبت إلاّ بعد إيضاح البراهين والدّلائل وذلك أنّه ربما يثبُت ذلك الشخص على توحيد الله تبارك وتعالى ومعرفته، ولم
[132/أ] يُداخله ارتياب ولا شكّ، وربَّما رجع عنه/ عامة من كان من الجمع حتى لا يثبت على الحقيقة إلاّ واحد، لأنه لا يثبت على الحقيقة إلاّ من وفّقه الله، وربّما رجع الكلّ بالشكّ والارتياب».

[باب]

معرفة قوله «يدْخُلُ [في] هذا الأمر ابن ثمانين ويخرُجُ منه ابن ثمانين»

98ب - «واعلم يا مفضّل، [أنّه] يدخل في المعرفة ابن ثلاثين ويخرج منها ابن ثلاثين، ويدخل ابن ثمانين ويخرج ابن ثمانين. ولهذا باطنٌ أظهرك عليه لتعرفه».

فأمّا الدّاخل، وهو ابن ثلاثين، فهي قمصانٌ من قُمصان البشريَّة، شكّ في جميعها [و]كُرِّرَ فيها. وما خرج من واحدة منها إلى المعرفة والإقرار، بل لبسها، وشكّ فيها وكُرّر فيها. فإذا كان بعد ذلك دخل[375] المعرفة بغير تنقّل ولا استدراج إلى رتبة أو درجة[376]، فيكون أوثق بمعرفته وأثبت على توحيد مولاه ممّن قد دخل في رُتب ودرج ومنازل ينقل فيها إلى المعرفة، فتكون بذلك عجباً بين هذا الخلق، تضرب به الأمثال فيقال: إنّ فلاناً كان من سبيله كذا وكذا، ما عرف شيئاً من هذا الذي هو فيه، وقد دخل عليه، وإنْ وقع[377] إليه أدنى شيءٍ منه. / فقد خرج بارعاً. لقد حظي بشيءٍ منه عظيم. والله يؤتي فضله لمن يشاء من عباده».

---

(375) في الأصل: «دخل إلى».

(376) في الأصل: «درج».

(377) في الأصل: «إنما».

99 ـ فأمّا الخارج من هذا الأمر وهو ابن ثلاثين أو ثمانين فإنه يكون شخصاً أقرّ في ثلاثين قميصاً كُرّر فيها ونُقل إليها وكان في جميعها على منزلة الإقرار بالمعرفة حتى يداخله في تناهي ذلك ضعفٌ أو شكٌ بذنب قد فعله، أو جناية قد جناها على بعض المؤمنين[378] أو خطيئة قد فعلها[379] لبعض إخوانه أو سبب مثل ذلك، فيستوجب من الله أن ينقله في ثلاثين أو ثمانين قميصاً لا يعرف فيها رُشده، بل يكون في جميعها منكراً مخالفاً معانداً جاحداً، فيخشاه من كان واثقاً به، ويستوحش منه من كان يأنس إليه ممّا هو عليه من الإدبار[380] والخلف والمعاندة، ويكشف تلك السّرائر التي قد عرفها ويصير بذلك مثلاً وعجباً، فيقال: «إنّ تلك السّرائر التي قد عرفها إلى نهاية البلاغ والرّفعة في المعرفة، إنّه قد رجع عن جميع ما كان عليه[381] من المعرفة حتّى كأنه/ لم يسمع عنه[382] قطّ [133/أ] ولا عرفه، ولقد كان له عند الله سريرة وله سابقة؛ فعلم الله منه ذلك، فسلبه معرفته وتوحيده بفساد نيّته، فخرج[383] عن المعرفة حتى كأنّه لم يحُلّها قطّ. فهذا حديث الدّاخل في المعرفة والخارج ابن ثلاثين أو ثمانين قميصاً، لا كما يقولون: «إنّه يدخل في المعرفة ابن ثلاثين أو ثمانين سنةً» فيستعظمون ذلك.

100 ـ فإن شخص أقام على معرفته وإيمانه ثلاثين أو ثمانين سنةً، فلمّا حان أوان نُقلته لحقه الشقاق رجع عمّا كان عليه، وإن شخص عائد الله وجحده وكفر به ثلاثين سنة أو ثمانين سنة، فلمّا حان أوان هلاكه

---

(378) في الأصل: «أجناها».
(379) الأصل ما أثبتناه ولكن كتب فوق فعلها، فعله.. لا وجه له.
(380) في الأصل: «التبدير».
(381) في الأصل عما كان عليه ثم شطبت عمّا وصحّحت في الهامش أسفل الصفحة.
(382) في الأصل: «منه».
(383) في الأصل: «يخرج».

صدّق بالحقّ وأقرّ بالمعرفة، وسارع إلى توحيد مولاه، ورجع عن كفره وجحوده، فعرّفه الله رشده، فنجا وتخلّص من حيرته، فأيّهما[384] [أعظم] يا مفضّل؟ [أ] من رجع عن هذا الأمر بعد ثلاثين أو ثمانين قميصاً أقام فيها عارفاً مقرّاً مسلّماً متفقّهاً [أم] من رجع بعد ثلاثين أو ثمانين سنة؟». / [13/ب]

101 ـ «وإنّما العجب من الدّاخل إلى هذا الأمر بعد ثلاثين أو ثمانين قميصاً أقام فيها معانداً شاكاً[385] جاحداً، وقال الله تبارك اسمه: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[386]، فالحسنات هي المعرفة والإقرار والإيمان بالله مولاك الحقّ؛ فإذا عرف الشخص ذلك وأقرّ به وسلّم إليه أذهب بالإقرار السّيئات؛ والسّيئات هي المسوخيّة، وذلك أن هذا الذي قد دخل إلى هذه المعرفة بعد الثلاثين أو الثمانين قميصاً هي قُمصان البشريّة يُنقل فيها حتّى يصل إلى المعرفة ويُبلي منها، يعني [غنىً بعد] فقر. وفقراً بعد غنىً، وعزّاً بعد ذلّ وذلاً بعد عزّ، ومالكاً ومملوكاً، وجاهلاً وحراً، وعبداً، وأسود [يبلي] منها بهذا كله، فإذا تناهى به ذلك وصل إلى المعرفة، فيناله فيها من هذه الصّفات مثل ما ناله في القُمصِ المتقدّمة[387]، لا يخرج من البشرية إلى غيرها؛ ذلك أنّ المعرفة ثابتة له؛ و إنّما يجازي بمقدار جرمه ويرجع إلى [إ]قراره ومعرفته. والشّاهد بذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[388] / فمعناه عن المسوخيّة، لأنّ المعرفة والإقرار سبقاً لهم، [134/أ] وصارت لهم المعرفة بالتّمام، فأزالت عنهم الشكّ والجحود والكفر

(384) في الأصل: «أيّما».

(385) في الأصل: «مشكا».

(386) هود: 11/ 114.

(387) في الأصل: من في القمص المتقدّمة.

(388) الأنبياء: 21/ 101.

والعذاب، وكذلك الخارج عنها إلى البشرية يصير لا يحلّ في شيء من المسوخيات، لأنّ المعرفة والإقرار ثابتان له وفيه، وإنّما عليه ردّ وكرور وتصفية. وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[389]. والنّقصان من الأموال فهو علم الباطن، والأنفس هي المنازل التي ينزلونها في العلوّ والرّفعة، والثمرات [هي] الزّيادة منها لأنه كلّما زاد علمه علت منازله. وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[390] عنى[391] به أهل الثّبات على [الدين] الذين لم يحلّوا حيث حلّ هؤلاء».

102 ـ فقلت: «صدقت يا مولاي، فكيف يكون تزايدهم في المعرفة ونقصانهم فيها؟» فقال مولانا علينا سلامه: «يا مفضّل، التّزايد في المعرفة أن يكون أهل التّوحيد مسلّمين مقرّين لكلّ ما ورد إليهم، وظهر لهم من المعنى الذي أقرّوا/ [134/ب] بوحدانيّته وباسمه وبابه الذين أجابوا دعوتهم، حتّى لو ظهر إليهم وورد عليهم عجميّ قبلوه. أو عربيّ قبلوه وعرفوا قبوله[392]، أو نبطيّ قبلوه مع جميع الأجناس حتى في اللون من الأبيض والأسود، كما ظهر في مقامات كثيرة مثل ذلك وأقرّوا بها. نعم يا مُفضّل! ويكون في المقام الثالث بعد هذا المقام إظهار[393] مولاك فيهم ذلك. فيكثر ذلك الارتياب والخلف من أهل الشكّ والجحود. وأهل الحقيقة واليقين، حتى يظهر نطقه في الطّفوليّة كما أظهر النّطق في القبّة المسيحيّة، وهو طفل صغير، ويُخبّرُ بنفسه ويُوضح البيان في ذلك، ويكون لهم في ذلك معتبرٌ

(389) البقرة: 2/ 155.

(390) البقرة: 2/ 155.

(391) في الأصل: «أعنى».

(392) في الأصل: «قبوله».

(393) في الأصل: «يظهر».

يرجع إليه المختبر [و]سيقع ذلك وسيسبغ[394] ويذيع ويدفع ويسير على أفواه الرّجال والنّاس جميعاً من الموالفين والمخالفين مشروحاً، فيختصم عنده أهل المعرفة وأهل الشّبهة فتزيد معرفة أهل الإقرار به يقيناً وبصيرة عن تسليمهم، إلى ذلك المقام الظاهر بالقدرة والعجز بعد القدرة؛ وهي قدرة، وإنَّه لا فرق بين الفعلين، وإنّ الإرادتين/ واحدة وهي للمعنى الأحد القديم الأزل، فيكون لهم تزايد في المعرفة ورفعة في المنزلة. [1/]

103 ـ ولو أتاهم ذلك الشّخص الذي أقرّوا بمعنويته، بتحريم ما أحلّ لهم وتحليل[395] ما حرّم عليهم، ودعاهم إلى كلّ ملّة وشريعة، وأظهر مثل الزّنا وحلق وسط الرأس، وأظهر[396] مثل ذلك [لـ]قبلوه وآمنوا به وصدّقوا، وسلّموا إليه ووحّدوه. وعلموا أنّ ذلك كلّه منه وله وفيه. وإنما هي قدرة نافذة واختبار. فكلّما سلّموا وصدّقوا شيئاً ممّا يورده ذلك المقام، ازدادوا رفعة وعلواً ومعرفة وصفاءً: وهذا لازم لأهل التَّوحيد والإقرار. وعليه جرت الأكوار والأدوار، والأحقاب والأعصار والدّهور والأزمان؛ وبهذا اخْتُبِرَ العالمُ النّورانيُّ العلويّ والعالمُ السّفليُّ».

104 ـ «وأمّا التّناقض فهو أن يكون العارف المقرّ المسلّم إلى هذا الأمر العظيم، إذا ورد عليه ما يبهره من القدرة العظيمة ممّا شرحناه وذكرنا[ه]، يتداخله[397] شكٌّ/ وارْتياب، فيقول) «إنَّ هذا شيء لا[398] يثْبتُ في عقلي». فيحكم الجهل على المعرفة، وذلك أنّ الجاهل[399] [ب]

(394) في الأصل: «كتب سيقع بين السطرين استدراكاً، وأشير إلى موضعها، وأصل التركيب: وسيقع وسيسبغ ذلك».
(395) في الأصل: «تحريم».
(396) في الأصل: «يظهر».
(397) في الأصل: «ويتداخله».
(398) في الأصل: «ما».
(399) في الأصل: «الجهل».

المعارض في قبول الوحدانيّة والمعرفة والإقرار، وهو ثابت على الإقرار، لو[400] أنّه إذا ورد عليه ذلك الباهر العظيم في نفسه، أضاف إلى ذلك المعرفة والإقرار [لـ]وجدها شكْلَهُ ومُجانِسَهُ ومِثْلَهُ، وَمِنْهُ وإِلَيْه؛ فبذلك الشك يتناقص المؤمنون، وتنحطّ منازلهم وتنقص أنوارهم، وتنزل درجاتهم ويحطون عن الرّتبة العالية. وقد قال تبارك اسمه: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[401].

105 ـ «واعلم، يا مفضّل، أن ظهور الوجود ومشاهدة العيان بمعنى واحد، لأنّه ظهر للفئتين عالم الإقرار وعالم الإنكار بالسّويّة، لا شيء دون شيء ولا معنى دون معنى إلاّ كشفاً واحداً لأنّ ظهوره بالقدرة ظهور بحال واحد والتّصريح بالخطاب والدعوة بمعنى واحد. فكان اختلاف العالمين[402] في ذلك بآرائهم الفاسدة بما استحقوه، فأجرى حكمته/ [1/136] بالعدل والسّوية والصّراط المستقيم، فقبله[403] أهل الإجابة والسعادة، وخالفه أهل الكفر والشّقاوة، فعند ذلك قال سبحانه: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[404]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[405]، العالم العلويّ والعالم السفليّ، ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[406]، عنى بالغيب والشهادة الإجابة والإنكار».

* * *

(400) في الأصل: «فلو».
(401) إبراهيم: 14/ 10.
(402) في الأصل: «اختلاف العوالم في ذلك».
(403) في الأصل: «فقبلته».
(404) إبراهيم: 14/ 10.
(405) راجع: الأنعام: 6/ 73؛ التوبة: 9/ 94، 105؛ الرعد: 13/ 9؛ المؤمنون: 23/ 92؛ السجدة: 32/ 6؛ سبأ: 34/ 3؛ فاطر: 35/ 38؛ الزمر: 39/ 46؛ الحشر: 59/ 22؛ الجمعة: 62/ 8؛ التغابن: 64/ 18؛ الجنّ: 72/ 26.
(406) الزمر: 39/ 46.

[باب]

التّجلــي

106 ـ قال الله عزّ وجلّ في ذلك: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾[407]، أراد من أسرّ الإقرار والجحود، والسارب بالنهار هو المقرّ بالشخص الظاهر الموجود وبالقدرة البيّنة الثابتة؛ والمُستخفي باللّيل هو المُسرُّ بالجحود والإنكار؛ وكذلك الشخص المظهر للقدرة الباهرة. وقال سبحانه في مثل ذلك؛ ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[408]، وذلك عند قول أهل الجحود والإنكار في إظهار الغيبة؛ «إنّ ذلك/ الشخص المفقود الذي كان المعنى الذي نصبتموه على أنه بارئكم[409] وخالقكم وإلهكم، إنّنا[410] قد عاينّاه ميّتاً مفقوداً بالحوادث التي ظهرت فيه» فقال في شكّهم: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾[411]، عنى بذلك إذا ظهر بالذّات فهو بالتّجلي؛ «والليل إذا يغشى»، فهو الغيبة والاستتار لوقوع المحنة؛ فجعل النهار دليلاً على الظهور بالشّخص الموجود، واللّيل دليلاً على الغيبة.

[1/ب]

107 ـ ثمّ إنه أبان لأهل الإقرار به، وهم أهل النّور. فقد قال في

(407) الرعد: 13/ 10.

(408) الإسراء: 17/ 12.

(409) في الأصل: كان المعنى الذي نصبتم عليه أنه بارئكم.

(410) في الأصل: «إنّه».

(411) الليل: 92/ 1 ـ 2.

التّجلي: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾[412]؛ فقد أوجد وأرى[413] أنه كان الدليل على ذلك النار، وهو النّور الذي[414] ظهر ولاح لصاحب المخاطبة[415]؛ فلمّا طلبه وقصده[416] طلب مع وجوده وكلامه أن يوجده نفسه حتى يراهُ. فلما خاطبه[417]، طلب العيان، فقال: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ﴾[418] / فكان منه المراجعة في قوله: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾[419] أي لا تدركني وأنت في البشرية. وإن كنت نورانياً كان ذلك. /و/ إنّه قال له: «انظر إلى الجسم الذي قد أظهرتك به في البشرية، هل يحمل شيئاً من اللاّهوتية النورانية؟» وعمل عن كونه الذي هو من جوهره[420] النّورانيّ، لأنه يعلم أنّ الجوهر النورانيّ إذا ظهر له ما يجانسه يثبت له، وما دون ذلك يهلك؛ فأبان عن صدق الخطاب بقوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾[421] وهو الاسم الواقع على الجسم، وهو موسى، والصّورة لهذا[422] الاسم موسى، وذلك أنه عند ظهور الجسم يقع عليه الاسم فيسمى به؛ وما كان غير ذلك، فليس يقع عليه اسم الجسم.

[137/أ]

108 ـ وذلك أنّ العقل اسمٌ، والجسم غيره؛ وكذلك الجوارح

(412) الأعراف: 7/ 143، وفي الأصل صاعق.
(413) في الأصل: «أروى».
(414) في الأصل: «هو الذي».
(415) في الأصل: «أصحاب».
(416) في الأصل: «طلبوه وقصدوه».
(417) في الأصل: «خاطبهم».
(418) الأعراف: 7/ 143.
(419) نفسه.
(420) في الأصل: جوهريته.
(421) الأعراف: 7/ 143، وفي الأصل صاعق.
(422) في الأصل: «والصورة لها».

/ب] والنّفس كلّ واحدٍ/ من هذه متفرّد باسمه؛ فإذا هلك ذلك الجسم، هلكت تلك الأسماء، معه لهلاكه، وما كان من غير الجسم فهو راجع إلى حالته التي كان بدؤه منها؛ فالمحدَثُ يزول والمحدث له هو الذي يزيله. وذلك أنّ الجسم عند الهلكة مثله مثل الراقد الذي هو موجود بالجسم فيخاطب فلا يعي، ويُسأل فلا يجيب، يُشار إليه فلا ينطق ويُطعم فلا يأكل، ويبخّر [له] فلا يشمّ؛ وذلك منه أنّ جميع آلات الجسم باقية بحالها فيه من نفسه وروحه وعقله ودمه وسمعه وبصره، لا يعدم شيئاً من ذلك. وكذلك هو عند هلاكه يوجد منه ذلك الأوّل ويبقى الجسم بحاله الذي له الاسم. وذلك قوله تبارك اسمه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا * وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا * فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[423]. فإرساله الشيء هو توفيته[424] بحاله، في معدنه؛ ويرجع إلى كلّ ذي حقّ حقّه[425]؛ وقوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾[426] و ﴿تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾[427]/ ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾[428]؛ ومثل هذا آيات كثيرة. [1/1]

109 ـ واعلم، يا مفضّل، أنّ الشّخص الذي يظهر بالقدرة الباهرة بالبشرية وهو بشريّ، هو المعنى القديم الأزل الأحد؛ وإنّه يظهر[429] اسم لذلك الشخص الذي ظهر المعنى به في أوّل البشرية. فإذا أُري الشخص الغيبة عن ظنون[430] العالم، بقي [الـ]اسم على ألسن العالم يذكرون[ـه] به.

(423) الزمر: 39/ 42، في الأصل هو الذي يتوفى.

(424) في الأصل: «توفيقه».

(425) في الأصل: «يرجح كلّ ذي حقّ إلى حقّه».

(426) فاطر: 35/ 30. في الأصل: «ويوفّيهم الله أجورهم».

(427) البقرة: 2/ 281.

(428) النور: 24/ 39.

(429) في الأصل: «يظهر له اسماً لذلك الشخص».

(430) في الأصل: «على ظنون».

ثم يُظهر الظّهور بشخص آخر مثلما قيل: شيث[431]؛ ويوسف[432] ويوشع[433]؛ وآصف[434]؛ وأمير النحل[435]؛ الصورة التي ظهر بها المعنى في العالم البشريّ، وسُمّي بها هؤلاء الأشخاص في كلّ مقام.

110 ـ واعلم، يا مُفضّل، أنّ النهار إظهار الظّهور، وفيه انبثاث النّاس وسعيهم وارتجافهم، وهرجهم ومرجهم وأخذهم، وعطاؤهم، وبطشهم، وسعيهم في التّجارة والسّفر في البرّ والبحر والسّهل والجبل؛ وفيه يجد الناس الأنس، ولو كانوا في برّ وفقر وفلوات [ويكون المرء] طَرِحاً[436] بالنّهار، فهو يركن إلى نفسه ويأمن عليها وفي/ النهار يصطنع [138/ب] النّاس المعروف والخير والشرّ والطاعة والمعصية والصّدق والكذب والصنائع والتجارب وجميع أعمال البشريّة. ويكون العالم فيه كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[437]، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا وَلِيٌّ﴾[438]. وقال: ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾[439] وآي في

(431) شيث بن آدم، وتأويله: هبة الله. ومعناه: أنه خلفٌ، سابيل: راجع الطبري. تاريخ 1/ 152 ـ 168، خاصّة.

(432) يوسف بن يعقوب النبي، راجع الطبري، تاريخ 1/ 371 ـ 413 خاصة.

(433) يوشع بن نون. فتى موسى. راجع الطبري، تاريخ 1/ 503 ـ 512 خاصة.

(434) آصف بن برخيا، كان فيما تذكر القصص القديمة وزيراً لسليمان ومودع سرّه. راجع الطبري تاريخ 1/ 588. . . الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ص 281. 3/ الكسائي، قصص الأنبياء ص ص 290 ـ 3.

(435) «أمير النحل»: عبارة جارية يوصف بها علي بن أبي طالب في كتب النصيرية عموماً وتعني أمير المؤمنين استناداً إلى حديث منسوب إلى الرسول عبارته: «. . . والذي نفس محمد بيده أن مثل المؤمن كمثل القطعة من الذهب نفخ عليها صاحبها فلم [تـ]تغيّر ولم تنقص. والذي نفس محمد بيده إنّ مثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيّباً ووضعت طيّباً ووقعت لم تكسر ولم تُفسد. . .» الحديث، راجع: مسند أحمد، بيروت [د.ت]ج2 ص 199. أسطر 13 ـ 15».

(436) في الأصل: «مطروحاً».

(437) الإسراء: 17/ 12.

(438) النبأ: 78/ 11.

(439) المزمل: 73/ 7.

الكتاب مثل هذا كثيرٌ؛ على أن النهار هو دليل على الظهور والتجلّي.

111 ـ واْعلم، يا مفضّل، أنّ العالم قبل الكون الكلّي [و]قبل التّجلي، كانوا إبداء(440) المُبدي لهم. كما أراد؛ وكانت إرادة الباري فيهم المساوي بينهم(441) إرادة واحدة [هي] معرفة الكون والتّكريم والمجازاة(442) لأنه [لمّا] أبداهم في البدء الأوّل النوراني ظهر لهم بنعوتهم، وظهر لهم بكونهم. ثمّ دعاهم عند إيجادهم لأنفسهم وأعلمهم أنّه/ [139/أ] المكوّن لهم الخالق لهم وأنّهم من كونه كانوا و[من] إرادته. ثم ظهر ظهور المعاينة، فلمّا عاينوه ووقفوا عن الإجابة وقفة واحدة. الجمع كلّه، كان أوّل خطابه مع ظهوره لهم: «أنا ربكم ورب آبائكم الأولين»(443) أي أنا ربُّ كونكم الذي كوّنتم منه وهي الإرادة منه لكونهم، فكان الوقوف عند ذلك السّكوت بغير إضمار ولا إجابة ولا إنكار. ثمّ أعاد القول الثاني من مخاطبته إيَّاهم في قوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ * وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ * أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾(444). ومعنى قوله من ظهورهم في وقت ظهورهم، فلمّا ثنّى عليهم القول أجاب حزب وأنكر حزب، فكان المجيبون أن خبّر عنهم حين أجابوا: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾(445) أقررنا، وكانوا في ذلك أطواراً على رتب ومنازل أنزلوها في العالم النورانيّ والبشريّ، فسبقت الإجابة لمن قال الله فيهم: ﴿فَمِنْهُمْ/ [139/ب] شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾(446) فكان أهل السعادة المجيبين، وأهل الشقاوة هم المُنكرين؛ فأبان منازل أهل السعادة

(440) في الأصل: «بدو».
(441) في الأصل: «بهم».
(442) في الأصل: «والتجزي».
(443) استشهاد بالمعنى. راجع: الشعراء: 26/ 26. الصافات: 37/ 37.
(444) الأعراف: 7/ 172، الأصل: «من ظهورهم وذرياتهم.. قالوا: بلى أقررنا».
(445) الهامش السابق.
(446) هود: 11/ 105.

وكشف منازل أهل الشقاوة، وقال تبارك اسمه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ﴾[447]. «وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[448] قدّم الموضع وأتباعه. فأهل السعادة هم أهل القبول وأهل الإجابة [و]هم على رتب شتّى عظيمة من رُتب الإجابة والإقرار. وأهل الشّقاوة هم أهل الجحود والإنكار، وهم في النّار خالدون والنّار هي المسوخية، لا يخرجون منها إلى المعرفة».

---

(447) هود: 11/ 108.

(448) هود: 11/ 106 ـ 107، ولكن أسقط منها، لهم فيها زفير وشهيق.

[باب]

الظّهورات والدّعوة والإنكار

112 ـ واعلم، يا مفضّل، أنّ مولاك أكثر الظّهور عند الإجابة، والمقرّون مقرّون والمنكرون منكرون جاحدون لكلّ ما ظهر لهم. ثمّ إنَّه جعل في النَّهار الاضطراب والمجيء والضّوضاء[449] والتّشازر والمناكرة والتشاهد والبيع والسّعي والتجارات والسّفر في البرّ والبحر والسّهل والجبل/ فكان النهار بهذا الكون على هذه الحالة». [1/140]

113 ـ واعلم يا مُفضّل أنه[450] لمّا أثبت لأهل الإقرار إقرارهم وألزم أهل الإنكار والجحود جحدهم بأخيارهم، غاب عنهم لوقته فطلبه الحزبان، وجعل من يسخر بمن أجاب، فيقول المنكرون لأهل الإجابة: «ألم نقل لكم [إنّ] هذا الكون الذي ظهر لنا هو منّا، وإنّه مثلنا وبحالنا، وأنتم تقولون: «لا نقول ذلك، ولا نقبل منكم، بل هو ربّنا، وخالقنا» فأين هو الساعة؟ ها قد هلك كما نهلك، وزال كما نزول»: فأخبر الله عنهم بما جرى في بدء أمرهم بقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾[451][452]. وذلك يا مفضّل أنه لمّا وقعت الغيبة، وحجب العالم

---

(449) في الأصل: «الضدضا».

(450) في الأصل: «أنّه.. ثمّ كتب فوقها «أنّ» دون شطب الوجه الأول.

(451) كتب: آمنوا، في الهامش.

(452) المطففين: 83/ 29 ـ 31.

السفليّ عن النّظر إلى حقيقة ذاته، ظهر للعالم النورانيّ، وكان حالاً فيهم، يرونه ويشاهدونه.

[140/ب] والدليل على ذلك قول/ المقصّرة: «إن الإمام غائب عن قوم، ظاهر لقوم، موجود يعاينونه»[453].

114 ـ وهم في ذلك القول صادقون لأنهم في هذا على طريق من طرق البصرة؛ إلاّ أنهم عموا عن ذلك النّهار، وهو الشّخص الظاهر بالقدرة الباهرة والخلق يرون أنّهُ بشريّ مثلهم. فإذا غاب المعنى عن أهل الجحود، وكان ظاهراً لأهل الوجود والحقيقة، يعرفونه، ويجدونه فيأتونه من بابه الذي أمر به نهاراً. وهو باللّيل يظهر في العالم النّورانيّ ويطلّ ويهديهم ويزيدهم، ويخلو به أهل الصّفوة فيتمتعون به و[بـ]ـالخلوة معه، والفوز بعطائه من فضله.

115 ـ وذلك أنّك ترى الليل إذا جنّ وأظلم. هدأ فيه كلّ ذي حركة واضطراب من كلّ ذكر وأنثى وحرّ وعبد ووحش وهوام وحيوان وبهائم، ويأوي كلّ إلى وكره، ويطلب كلّ جنس معدنه ومحلّه، ويظهر القمر وهو مقام ظهور الغاية للبدء والكون والحدوث ويحدق به سائر أهل المراتب والدّرجات من العالم العلويّ/[454] وهم أهل السّبع المراتب الذين عرف [141/أ]

---

(453) يقول الطوسي في الغيبة: «إنّا أوّلاً لا نقطع على استتاره عن جميع أوليائه، بل يجوز أن يظهر لأكثرهم، ولا يعلم كلّ إنسان إلاّ حال نفسه، ص 68، الفقرة الأخيرة، وقد ناقش المجلسي هذا المذهب، راجع الهامش في نفس الصفحة.

(454) تعتبر الصفحة الموالية من أشدّ الصفحات إبهاماً لغموض الخطّ. وكان الناسخ شاعراً بذلك، فكتب ملاحظة في أعلى الصفحة يعتذر فيها «للإخوان الواقفين على الكتاب»، وقد أردنا إثباتها لطرافتها، مع المحافظة على لفظها ولسانها، وهو شامي ـ فيما نعلم ـ «واعلم أيها الواقف على الكتاب [أن] الخبر عاطل، وما صار لنا حبر يصلح، والكتاب عليه تردد من النّقول، عليه شيء كثير (؟) لا يُحصى عدده ونسأل الله المسامحة (؟) ومن الإخوان الذين (؟)...» هكذا.

عددهم، ثمّ يكون معهم الذين أجابوا وأقرّوا وأسلموا ويحظى كلّ شخص منهم بنصيب من النور يفوق به كلّ من يليه، ويكون فيه[455] القليل الحظ من النور اللّطيف في النّظر [و]المعاينة، وذلك [لأنّه] على قدر زيادته في العلم وتبصّره به ومعاينته يكون ذلك الضّياء؛ فتأمّل، يا مُفضّل، الليل إذا جنّ عليك[456] هل تسمع فيه لأحد من العالم السفلي كافة نطقاً وحركة، فإذا غاب المعنى عن أهل الجحود وكان ظاهراً لأهل الوجود والحقيقة، [فإنّهم] يرونه ويأتونه من بابه واسمه ثمّ يكون معهم أتباع، وهم الذين قد رقوا وصفوا وجاوروا أصحاب المراتب؛ ويكون لكلّ شخص منهم حظّ من النّور يعرف به، فيحدقون بالقمر، فانظر يا مُفضّل إلى الليل إذا جنّ عليك هل تسمع لأحد من العالم السّفلي كافة نطقاً أو حركة أو اعتراضاً. وكذلك جميع البهائم والحيوان المحرّرة والمملوكة يأوي كلّ منها برسم».

[14/ب] 116 ـ واعلم يا مُفضل أن في الليل/ تكون وقائع[457] اللّصوص والسّراق والاحتيال والأحوال الرّديئة التي [يعتبر] هذا الكتاب أثرى [من] أن تشرح فيه[458]، وقد عرضت بها تلويحاً. وذلك يا مفضّل أن أهل الجُحود والإنكار في وقت الغيبة، وهو اللّيل ويسعون إلى إيذاء من يعرفونه من المؤمنين، ويقولون فيهم: «إنَّ هؤلاء يقولون قولاً منكراً وكفراً»، وهم في ذلك القول والكفر واللعن، لأنهم، يكذبون على أولياء الله المقربين بتوحيده، لأنّ المخالفين يستمعون إليهم[459] ويكشفون عن أسرار التوحيد ليعرفوه ويشنّعوا عليهم، ويقولوا لأهل الجهل، فتمتدّ إليهم

---

(455) في الأصل: «فيها».

(456) كتب «عليك» في الهامش وأشير إلى موضعها.

(457) في الأصل: «مواقع».

(458) في الأصل التي أثره هذا الكتاب أن يشرح فيه، وأثرى هنا بمعنى أكرم.

(459) في الأصل: «يستمعون عليهم».

الأيدي، وذلك بما اكتسبوا بذنوبهم، يجازون بذلك حتى يخلصوا مما عليهم[460].

117 ـ «واعلم، يا مُفضّل، أن النّجوم باللّيل تسير بسير القمر، وتضيء دونه إذا حلّ معها، فإذا غاب القمر أضاءت الضوء الذي يبهر لمن يراه، فذلك ضوؤها في ذاتها. فإذا ظهر القمر/ معها تضيء دونه لأنّ لها [142/أ] منزلة في خدمته لا يحلّها سواه. فظهوره أوّل الشهر هلالاً، ثمّ يزيد إلى أن يتكامل في ليلة أربع عشرة؛ ثمّ ينقص ويضعف إلى أن يغيب في آخر الشهر؛ إنّما ذلك هو إشارة إلى العالم [من] أنّ مولاك المعنى عزّ عزّهُ أظْهرَ في البشريّة الصّغرَ والطفولة والزّيادة إلى الكمال والقوّة والنُّقصان إلى الكبر والضّعف. وهذا كلّه امتحان للعالم جميعاً في سائر الأوقات.

118 ـ واعلم يا مُفضّل، أنّ الليل والنّهار اللذين هما الظهور والغيبة جعلهما الله مؤبّدين تحصى بهما الدّهور والأزمان والسنون والشهور والأيام، فهي تجري بهما[461] وعليهما ولا تحول ولا تزول ودائمة بدوام الأزل ولذلك دليل وبرهان موجودٌ عند أهل الخير واليقين والتّحقيق وذلك أنّ السنّة والشهر والجمعة واليوم تحصى بالنّهار، فيقال: «يوم كذا وكذا من سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا/ لأنّه يقال: «اليوم أوّل [يوم من] [142/ب] (الجمعة وأوّل يوم من الشهر)[462]، وأوّل يوم من السّنة. فالأيّام لها أسماء. وباليوم تقع الشروط والمكاتبة والمراسلة والموافقة، والتواريخ حتّى إذا قيل: «يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا، عُرف

---

(460) في الأصل: «بما عليهم».

(461) في الأصل: «به».

(462) وردت العبارة بين قوسين في أعلى الصفحة وأشير إلى موضعها، وتلاها في الأصل: «من شهر كذا وكذا، والسقوط بيّن» إذ يعني [وأوّل يوم] من شهر كذا وكذا والجملة كلّها تكرار للعبارة بين قوسين.

ذلك اليوم وذلك الشهر وتلك السنة، وأوّل يوم من السنة، فالأيام لها أسماء وليس للّيالي اسم. فإذا سمّيت الليلة، فإنّما يقال: «ليلة كذا وكذا وليلة يوم كذا وكذا» فتُنسب إلى اليوم، وهو النهار فعلى اليوم تنصر الليلة. وهذا كلّه دليل على أنّ النهار هو الظّهور[463]، وهو الوجود؛ والليل هو الغيْبة.

119 ـ «وإنّما النّهار اسم الضّوء، واللّيل غيبة ذلك الضّوء، فإذا ظهر اسم وصورةٌ[464] موجودان كان (إسفار النّهار [كـ]ظهور الشّخص ووجوده)[465]؛ ووقع لذلك النهار باسم يوم يسمّى به كما قيل: «شخص [كذا]»، وكان نعتاً، وصحّ النّعت والاسم إن قيل يوم كذا وكذا، ويعرف بذاته لا يدخل عليه غيره كما أنّ الشخص الذي يظهر يعرف باسم ونعت ولا يدخل عليه/ غيرهما[466] فإذا وقعت الغيبة، زال الشّخص، فقيل: [143/أ] غاب اسم الشّخص الموجود. فإذا ظهر غيره، قام لذلك الغير نعت واسم يُعرف بهما[467] ويُنسب إليهما، كما أنّ اليوم هو النّهار، لهُ نعت واسم، وهو أنّ أصله نهار، ثم نعته يوم. فإن قيل: يوم كذا وكذا صار اسمه، فإذا زال ذلك اليوم بذلك اللّيل الوارد قيل: يوم كذا وكذا. وزال النّعت والاسم. فإذا أسفر يوم ثان كان له اسم ثان ونعت ثان يعرف بهما[468] غير الاسم الأول؛ كما يُقال: يوم الأحد، ويوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، ويوم الخميس، ويوم الجمعة، ويوم السبت. فالأيام كلّها أسامي النّهار الذي هو دليل على الظّهور.

---

(463) كتب «النهار هو الظهور» في الحاشية وأشير إلى موضعها.

(464) شطبت ثمّ أثبتت.

(465) في الأصل: «فكان النهار إسفاره ظهور الشخص ووجوده».

(466) في الأصل: «غيره».

(467) في الأصل: «به».

(468) في الأصل: «به».

120 ـ و[أمّا] اللّيالي فما لها أسماء؛ وإنّما إذا مضى عليها قيل: ليلة كذا وكذا، فتنسب إلى اليوم الذي هو اسم النّهار، كما أنّ المعنى سبحانه (إذا ظهر بشخص تسمّى باسم ذلك الشخص [و]بقي ذكْرُ الاسم له. وكذلك الليلة إنما تُسَمّى باسم ذلك اليوم الماضي أو المقبل ثم يظهر باسم ثان، تُنعت الليلة بذلك الاسم الذي هو للنّهار والدّال على الظّهور)[469]، وهذا/ جارٍ كما أجراه المعنى على الأشياء بقدرته [التي] لا انقطاع لها، ومع ذلك إنّ القدرة لا انقضاء لباطنها وظاهرها[470]، فإن أراد المعني أن يظهر بها أو[471] يُظهر غيبتها، فالإرادة له في سائر أفعاله، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[472].

[143/ب]

121 ـ وإن المحدث لها إلهها [وهو] معها ولم يخلها منه، بل إن أراد هو أن يخلو منها كان خالياً إذا شاء. فهل غنيت يا مفضّل؟ فإنّ هذا الشّرح نَفْسُهُ الذكْرُ له[473] ورُوحُهُ التّمييزُ لَهُ؛ ولحْمُهُ ودَمُهُ التَّعجُّبُ منهُ، [و] لسانه وقلبه إعمال السّرّ في تصديقه؛ فليس لكلّ إنسان ينكشف ما شرحته، ولا يقف على ما تكلّمت [به] ولا يُميّز ما صرّحت. فهل غنيت يا مُفضّل بما شرحت لك بعضه ببيان ووضوح حقٍ؟.

122 ـ ثمّ قال[474]: يا مُفضّل، إنّي[475] أزيدك في إزالة الليل للنهار

---

(469) جاء في الأصل: «إذا ظهر بشخص تسمى باسم اليوم الماضي أو المقبل، ثم يظهر باسم ثان، وتنعت الليلة بذلك الاسم الذي للنهار والدّال على الظهور». ولا وجه لهذه الجمل، ويبدو فيها خلل لسقوط بعض عباراتها، لذا نرجح ما جاء في النص المكرّر سهواً، راجع الهامش.

(470) في الأصل: «ولباطنها وظاهرها».

(471) في الأصل: «ويظهر».

(472) الأنبياء: 21/ 23.

(473) في الأصل: «الذكر فيه».

(474) في الأصل لا وجود لـ: «قال» ولا وجود لـ: «إنّي» أيضاً ولكنهما وردا في النّص المكرّر راجع الهامش 1 في الصفحة الموالية.

(475) في الأصل لا وجود لـ: «قال»: ولا وجود لـ: «إنّي» أيضاً ولكنهما وردا في =

وإزالة النّهار لليل وإنقاص(476) كلّ واحدٍ منهما من صاحبه وذلك أنّ النهار يكون في بعض السّنة بحدّ ووقتٍ؛ ثمّ إنّ الليل يأخذ ذلك الحدّ من النّهار، ويصير النّهار بالحدّ والوقت الذي كان الليل به وفيه؛ وذلك أنّ النّهار يأخذ من الليل في بعض/ السّنة، ثم يعود الليل فيأخذ من النهار ما أخذ منه(477)، وذلك أنّ بين الغيبة والظّهور رتباً لا بدّ من حلولها وفيها يحلّ الليل والنَّهار. وذلك أنّ الغيبة مثل الظهور، وإن تطاولت بالعالم المدَّة لأنه في الغيبة ظهور في العالم العلوي النّوراني بالسّوية والقسط [١٠/أ]

= النّص المكرّر. راجع الهامش عدد أ في الصفحة الموالية.

(476) في الأصل: «نقصان».

(477) يلي هذا نصّ طويل هو تكرار لبعض ما سبق سهواً من الناسخ، وقد رأينا فائدة في تحقيقه في الهامش ليمكن مقارنته بالنّص الذي أثبتنا. ويتّضح من الفرق بين النّصين افتراض اعتماد الناسخ على أكثر من نسخة من الكتاب. بل إنه اعتمد على خمس نسخ كما يتّضح من الصفحة الأخيرة من هذا المخطوط. وقد حاولنا في تحقيق النّص الأساسي الإفادة من النّص المكرّر لنتمّ ما سقط سهواً أو تفضيل ما جرى في العبارة أبين.

النّص المكرّر: / 145أ/ .

«فالأيام كلها أسامي النهار الذي هو دليل على الظهور. و/ أما/ الليالي، فما لها أسماء: وإنما إذا مضى عليها قيل: ليلة كذا وكذا «فتنسب إلى اليوم الذي هو اسم النهار. كما أنّ المعنى سبحانه إذا ظهر بشخص تسمّى باسم ذلك الشخص /و/ بقي ذكر الاسم له: وكذلك الليلة إنّما تسمى باسم ذلك اليوم الماضي والمستقبل. ثم يظهر ثان وتنعت الليلة بذلك الاسم الذي هو للنّهار والدليل* على الظهور. وهذا جار كما أجراه المعنى القادر على الأشياء بقدرته /التي/ لا انقضاء لها ولا انقطاع لها. فإن أراد المعنى أن يظهر بها أو يظهر غيبتها فالإرادة له في سائر أفعاله: «ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون»**.

ثم قال: يا مفضّل، إنّي أزيدك في إزالة الليل للنّهار وإزالة النهار لليل ونقصان كل واحد منهما وأخذه من صاحبه. وذلك أن النهار يكون بحد ووقت يأخذ من الليل في بعض السنة ثم إنه يعود الليل فيأخذ من/ النهار ما أخذ منه. أ.هـ. [/ب]

* في الأصل: «الدّال» ثمّ كتب في الحاشية «الدليل» تصحيحاً دون شطب الكلمة في المتن ويصحّ الوجهان.

** الأنبياء: 21/ 23.

والحق والعدل والصّراط المستقيم، كما كان الظهور بالعالم السّفلي سواء بسواء لا زيادة في مقام منها ولا نقصان عدلاً وإنصافاً وذلك قسطاً بالحقّ. فاعرفه يا مفضّل، وتبيّنه وفكّر فيه فإن غنيت وإلاّ فاسْأل تر منه ولن تنفد كلمات ربّك(478)، وأراد بالكلمات أمره كما قال تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾(479) وإنه يُوصل(480) إليه بالتسليم واليقين إذا صحّ للعبد، وذلك أن عند مولاك (. . .)(481).

123 ـ واعلم يا مُفضّل أنّ الشخص الظّاهر هو ربّ كونكم الذي كوّنكم، وأنّ ذلك الوقوف/ [145/أ] الذي وقفه العالم عند دعوة مولاهم لهم كان سكوتاً بغير إضمار ولا جحود ولا إنكار، بل وقوف متحيّرين لا يدرون(482) ما يقولون. فلمّا أعاد القول ثانية قال وقوله الحق: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾(483). ومعنى ظهورهم أي وقت ظهورهم أي إظهاره لهم(484). فلما أثنى عليهم القول أجاب حزبٌ وأنكر حزبٌ، وكانوا في ذلك أطواراً، على رتب ومنازل أنزلوها في العالم النورانيّ والبشريّ، فسبقت الإجابة لمن قال تبارك اسمه فيهم: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾(485)، فأهل السعادة [هم] أهل التوفيق والقبول والإجابة، وأهل الشقاوة هم أهل الشكّ والجحود والإنكار. فهم في النار خالدون، والنار هي المسوخية. فإذا/ [145/ب] أخرجوا منها ردّوا إلى الرسوخيّة كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ

---

(478) راجع لقمان: 31/ 27؛ الكهف: 18/ 109.
(479) النّساء: 4/ 171.
(480) في الأصل: «يصل».
(481) يبدو هنا سقوط، إذ لا وجه لاستئناف الجملة دون إتمامها.
(482) في الأصل: «ولا يدرون».
(483) الأعراف: 7/ 172. في الأصل قالوا بلى أقررنا.
(484) في الأصل: «ظهارهم لهم».
(485) هود: 11/ 105.

جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ﴾[486] بما كانوا يكفرون.

124 ـ وقال: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾[487]. يريد بذلك الذّهب والفضّة والجوهر أنواع الرسوخ[488]. فلمّا أعاد فيهم الظهور والكشف بإعلان الدعوة وإشارته إلى ذاته بالمعنويّة، واسمه وبابه بين يديه يشيران[489] إليه ويدلاّن عليه، ثبت لأهل الإقرار إقرارهم، فأجابوا كما أجابوا في سائر الدّعوات عند الظهورات والكشف فازدادوا يقيناً وإيماناً. فقال الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿فَالْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[490]. ثم إنه جعل الغيبة التي يظهرها الليل وجعلها لباساً يلبّس الحال على أهل الجحود والإنكار، فلا يقوم منهم أحد على الحقّ بوجه ولا سبب؛ ثم إنه [أظهر] ظهوراته/ لأهل القبول والإجابة وحجب معناه [1/1٠] عن أهل الجحود والإنكار».

125 ـ «واعلم يا مفضّل إنه إذا كان المقام ظاهراً ناطقاً فليس يجوز لمقام ثان [أن] يظهر وينطق إلاّ عند إرادة المقام الأول لإظهاره الغيبة، فيظهر للعالم أنه قد ظهر بشخص غير الأوّل محنة للخلق[491] بما استحقوا واكتسبوا أوّلاً، فهو تبارك وتعالى لا يحول ولا يزول ولا ينتقل من حالٍ إلى حال، بل هو أحد أبد سرمد، لا يتغيّر عن مكانه وإن ظهر لعباده، وإنّما تتغيّر أبصار الناظرين إليه وتقلب[492] قلوبهم لما بهم و[هم] عليه من

(486) النساء: 4/ 56.

(487) الإسراء: 17/ 50 ـ 51. في الأصل: «أم حديدا».

(488) في الأصل: «وأنهوا ع الرسوخ».

(489) في الأصل: «يشيرون».

(490) المطفّفين: 83/ 34 ـ 36.

(491) في الأصل: «محنة على الخلق».

(492) في الأصل: «تقلبت».

العلّة التي تضطرهم إلى ذلك. وقد حبست عليك من الشرح خطاباً وبياناً وأكشفه لك وأسألك كتمانه إلاّ عن أهله ومستحقيه، وهو أنّ الله جلّ وعزّ عند ظهوره بالبشريّة نطق بلسان العرب وكلّمهم من حيث هم فلمّا وجلوا [146/ب] تداخلتهم الهيبة فرجعوا إلى أنفسهم وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن/ كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[493].

126 ـ واعلم يا مُفضّل أنَّ الشخص الناطق في وقت الظهور لا بدَّ أن يكون بإزائه شخص صامت، يشير النّاطق إلى الصامت. ويدلّ عليه، فتكون إشارة النّاطق إلى الصامت[494] دليلاً على معنويّة الصامت وإن كانت المعنوية ظاهرة بالنطق، فكلّ ناطق فهو عند إشارته إلى الصامت ونصّه عليه وإيمانه إليه دليل[495] الغيبة والاحتجاج على العالم بذلك الصّامت وأنّه مقام.

وكذلك إذا ظهر الصّامت تكون أفعال النّاطق منه وهو يظهر أنّها ليست[496] أمراً أمر به[497]؛ وإن نطق فإنّه يقول: إنما يوحي إلي ربي[498]؛ فإذا أتى من الصامت فعل ونطق، إنما يقول: «هذه الأفعال أفعال من أشار إليه النّاطق. فإذا رأيت ناطقاً أو صامتاً فاعلم أن ذلك [147/أ] الصّامت/ هو النّاطق، وأنّ النّاطق هو الصامت، وأنّ بارئه إنما أقامه ليوجده من حيث يعرفونه، لأنّ البشريّة فاشية عندهم، وأنّها تكون من تناسل وتظاهر. فإذا أظهر التوالد وأقام الولد وأظهر ولادته هو في ذاته،

---

(493) النحل: 16/ 118، في الأصل، «كانوا لأنفسهم».

(494) يلي هذا عبارة مكررة لا تناسب المعنى. «ويدلّ عليه فيكون إشارة الناطق إلى الصامت»، والظاهر أنّ الناسخ خلط بين السطرين السابق واللاّحق.

(495) في الأصل: «فهو دليل» وأسقطها منعاً للالتباس.

(496) في الأصل: «لا» والمقصود ليست.

(497) في الأصل: «بها».

(498) في الأصل كرّرت عبارة: «يوحى إليّ» سهواً.

وثبت عند العالم ذلك، ظهرت القدرة بذاتها في ذلك الوجود عندهم، وذلك المعنى. فكانت القدرة عند العالم ظاهرة بينهم، فكانوا فيها على منازلهم ورتبهم ولا يجاوز أحد منهم ما قدّر له وأوقف عليه؛ فإنّ من العالم من يراه بالنورانيَّة الحقيقيّة، ومنهم من يراه بالرّبوبية، ومنهم من يراه بالعبوديّة؛ ومنهم من يراه بالاختصاص. [ومنهم من يرى][499] أنّ له مكاناً[500] من بارئه فيقدر على بطش وعزّ ومنع[501]. ومنهم من يراه مستضاماً غير منصور، وأنّه ذو فاقة ومسكنة في الدّنيا، فخرج هو وأنصاره إلى إسعافه ومعاونته. وهذا مفصّل أصل صراط ربّك، فاعرفه وتبيّنه وأثبت عليه، ولا تعرض عن فقهه، فقد كشفته لك وأوضحته وأنا أوصيك أن تشرحه لجميع أتباعك المقرّبين بالمعرفة والتوحيد، فبمعرفة الصّراط يصحّ عقدهم ويصلح، ويتّضح لهم رشدهم ويصلون إلى هدايتهم، وهو الصّراط الذي يسلكه أهل المراتب والدّرج والمنازل العالية.

---

(499) راجع النّص المكرّر المحقق أسفله.

(500) في الأصل: «وأنّ له شأناً من بارئه»، وقد آثرنا ما جاء في النص المكرّر، راجع الهامش الموالي.

(501) يلي هذا نص طويل هو تكرار لما سبق في الفقرة 126. ويظهر أن الناسخ وضع سهواً ما جاء في نسخة أخرى من المخطوطة وأردنا إثبات هذا النص للمقارنة. وقد أفدنا منه لإكمال الساقط. النص المكرر: «واعلم أنّ/ إشارته إلى الصّامت دليل على ظهوره فكلّ إشارة من ظهوره مثليّ للمعنى ينطق إلى الصّامت. فهو دليل ظهوره عند إظهار الغيبة بذلك الصامت فإذا أتى من الصّامت فعلّ بعد إشارة الناطق إليه فإنما هو دليل على المعنويّة فيه لأنّ العالم أثبتوا في المعنى البشرية عند إظهارها وظهوره لهم بمثلهم وهو بذات، لا يحول ولا يزول ولا يتغيّر، فإذا ظهرت القدرة من ذلك الموجود عندهم بذلك الشخص، كان العالم فيها على منازل ومراتب ودرج لا يقدر أحدهم أن يجاوز ما أوقف عنده لأن من العالم من يراه بالربوبية، ومنهم من يراه بالنورانية الحقيقية، ومنهم من يراه بالعبودية، ومنهم من يراه بالاختصاص.

ومنهم من يراه مستضاماً غير منصور وأنه محتاج إلى/ أعوان وأنصار، وأنه ذو فاقة ومسكنة في الدنيا فخرج هو وأنصاره إلى إسعافه ومعاونته، ومنهم من يرى أن له مكاناً من بارئه وأنه يقدر على بطش وعزّ ومنع، أهـ.

127 ـ فأمّا أهل الخُلف والعناد والشكّ الكُفر والجحود من العالم الظّلمي النّاري، فإنّهم خارجون منكرون لما رأوه ظاهراً[502] بمثل صور العالم: وإنّه يجري عليهم من الولادة والنّشوء والأمراض والشّدة والرخاء قائم في نفوسهم [و]إنّ ذلك ثابت فيهم. وهو أجلّ من أن يكون فيه شيء من هذا، [و]قالوا: إنّ/ هذه الحوادث والعوارض جاريةٌ علينا وعليه، [148/ب] فكيف يكون مكوّناً؟! لأنّه لو كان مكوّناً لأزالَ عن ذاته هذه العوارض التي تحلّ به. ولم يحفلوا بالقدرة الظّاهرة منه، الموجودة القاهرة، إذ ليس فيهم منها[503] شيء بل هي له خاصّة.

128 ـ ولو كانوا أفصحوا عليه تلك الأفعال والأحوال من خلق الطّير من الطين والنّفخ فيه حتّى صار طائراً بإذنه فقد[504]. قال: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[505] وغيرها. وقد خبّر وخاطب ونطق وأفصح بها معلناً. وقد قال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾[506] وقال عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[507]. وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[508] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[509]. وقال: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾[510]. فلو عقلوا يا مُفضّل هذا الخطاب وما يُشاكله[511]

---

(502) في الأصل: «رواه».
(503) في الأصل: «منه».
(504) في الأصل: «وقد».
(505) آل عمران: 3/ 49؛ وفي الأصل بإذنه.
(506) فاطر: 35/ 3.
(507) راجع الرعد: 13/ 16، الزّمر: 39/ 62.
(508) النمل: 27/ 62، في الأصل: «إنّي أجيب من المضطر إذا دعاني ويكشف السوء».
(509) الشورى: 42/ 9.
(510) الأنبياء: 21/ 84.
(511) تعتبر هذه الجملة استئنافاً لجملة الشرط التي بقيت معلّقة دون جواب: لو كانوا أفصحوا. . . ويقوم الجواب: لعلموا أن الأفعال ـ مقام الجوابين.

/أ] لعلموا[512] أنّ الأفعال لا تكون إلاّ ممّن قد نصّ على نفسه أنّه الفاعل لها، القادر عليها، وأنّه يظهر بما يشاء كما/ يشاء لمن يشاء في كبير شخصه وصغيره.

129 ـ فلو سلّموا إليه وعلموا أن إظهار العجز هو نفس المعجز والقدرة لسعدوا. ولكنّهم محجّبون عنه[513]، فيهم ذلك لأنّه قال تبارك اسمه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[514] لأنّ في ظهوره للعالم بالبشريّة قدرةً؛ وقد رأوها منه، وهم يرونه أنه كهم؛ وذلك أنّه بهرهم[515] بالقدرة وإظهارها، وأظهر العجز بعقب ذلك وأظهر الغاية من الفعل، وأوجدهم ذلك من أشخاص بشريّة ناسوتيّة الظّهور. فما حقّقوه، ولا سلّموا إليه، ولا أقرّوا بمعنويّته.

130 ـ وكذلك لما ظهر لهم بالنورانية الذاتية الكلية ذهلوا عن إدراكه، ولم تحط أفهامهم به خبرا، ولا صحّ لهم العيان وكان في الحالين غير مدرك ولا محاط، ولا يحيطون به علماً، فهذا وصف أهل الجحود والشّك والكفر، إبليس وقبيلته وذرّيته الذين وصفهم الله وقال سبحانه/ ب] ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾[516].

131 ـ واعلم يا مفضّل، أنّ إبليس وقبيلته وذرّيته يعرفون المؤمنين المقرّين، أهل الإجابة كلّهم من يوم الدّعوة والنّداء في الدّور[517] الأوّل في الكشف والتّصريح؛ لأنّهم عرفوا من أجاب في وقت الدّعوة. والمؤمنون عالم الإقرار والإجابة لا يعرفون إبليس وقبيلته لموضع المزاج

(512) في الأصل: «علموا».
(513) في الأصل: «عن».
(514) الأنعام: 6/ 91، الزمر: 39/ 67.
(515) في الأصل: «أبهرهم».
(516) الأعراف: 7/ 27.
(517) في الأصل: «الدّرو».

الذي هم فيه يردّون إلى المسوخيّة. لأنّهم كانوا في وقت الدّعوة، هم وعالم الإنكار[518] بكون واحد؛ فظهر المعنى للجميع؛ وأخذ من أخذ وأعرض من أعرض، وأجاب من أجاب، وأنكر من أنكر. وكان إبليس وقبيلتُه المنكرين. فعرفوا من ذلك الوقت من شذَّ عَنْهُ ومَنْ أجاب. فعارض إبليس بقوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[519] فـ[كانت] معرفته بهم.

132 ـ ثمّ كذلك، يا مُفضّل، إذا حلوا [في] المسوخية يعرفون [150/أ] / المقرّين إذا رأوهم، فينظرون إليهم شزراً. وذلك أنه يكشف لهم ذلك عن المؤمنين حتى يجدوهم كوجودهم لهم في يوم الأظلة والدّعوة. فلو كانوا مطلقي النّطق لقالوا: «هذا كذا وكذا» فيعرف أحدهم أباه وأمّه وأخاهُ وأختهُ وابنهُ وابنتهُ وأهلهُ وقومُه، حتّى لا يغرب عليهم واحدٌ منهم، ويراه وهو في المسخ فيهم أن[520] يأتي إلى الذي يعرفه وهو في البشريّة هو وقبيلته وإذا عرفوه مقراً بالمعنى. موحّداً لله بيّتوا له أن يأتي عليه الذي يعرفه[521] ويضمر له الإساءة والسعاية بالهلاك والبطش، فإذا أصبحوا ضرب الله على قلوبهم، فأنسوا ذلك. وغاب عنهم حتّى [إنّهم] لا يذكرونه، وكأنّهم لم يضمروا[522] [له]، فلا يزالون كذلك ناسين، ولو بقوا ألف عام حتّى يتجدّد لهم نظر ثان إليه يحدث لهم مثل ذلك، ويضمرون له ويعزمون، وإذا باتوا عليه وأصبحوا، نسوا ذلك، ولو رأوْه [150/ب] في كلّ/ يوم ألف مرة لأضمروا له ذلك، ويبيتون على ما أضمروه. فإذا

---

(518) في الأصل: «عالم الإقرار»، ولا وجه له.

(519) الأعراف: 7/ 12.

(520) في الأصل: «أنه».

(521) في الأصل: «بيتوا به أنه يأتي على الذي يعرفه».

(522) في الأصل: «لا كأنهم أضمروه».

غدا عليهم همّوا به، فيضرب الله على قلوبهم، فلا يذكرون شيئاً ممّا باتوا عليه[523]. ومن ظهوره بالبشريّة[524]. وإن وجدوا له من قوم غائباً غيّبوا عنه[525]. فهم على ذلك، لو نظرت إليهم بالنّهار ألف كرة لوجدتهم على ما شرحته لك من أن يُضمروا له الإساءة[526] والتعقب له. فإذا غاب عنهم نسوه. وإذا لقوه بشّوا به[527]. وكذبوا عنه. فهذه منزلة الوليّ مع العدوّ والشيطان وقبيله. وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾[528].

133 ـ واعلم يا مُفضّل أن أهل الإقرار والتّوحيد على رتب في إقرارهم، لا يتساوى اثنان في منزلة واحدة. وذلك جارٍ من الاسم الأزليّ القديم والباب المقيم له، والأيتام والنقباء والنجباء والمختصين والممتحنين وسائر/ المراتب السفليّة أيضاً مع عالم المزاج والإقرار، لأنه قال سبحانه في كتابه: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[529].

134 ـ واعلم يا مُفضّل، أنَّ الدّرجات هي صراط مستقيم ومسلك ومطلب العارفين. فإذا طلب الرّاغب المريد الزيادة من تلك المعرفة، وتيقّن الحقيقة وقصد إلى من يعلم أنّه فوقه في الرتبة، وأرفع مع المنزلة، وسمع منه، وأخذ عنه [و]صار في منزلة الملقي للعلم إليه[530] وفي

---

(523) في الأصل: «أضمروه عليه» ثم كتب فوق «أضمروه» يبيتون وهو أوجه.

(524) في الأصل: «وظهوره بالبشر».

(525) في الأصل: «غيّبوا عليه».

(526) في الأصل: «الإساءة إليه».

(527) في الأصل: «أنسوا إليه». ثم كتب فوقها «بشوا به»، دون شطب الأولى.

(528) فصّلت: 41/ 36، وفي الأصل: «فما ينزغنك».

(529) الزخرف: 43/ 32.

(530) في الأصل: «الملقى العلم إليه». ثم شطبت «العلم» وكتب على الهامش في «العلم».

الدرجة معه، كان لذلك المعطي ما معه لذلك الطالب الذي بلّغه إلى محلّه وسوّاه به[531] في المنزلة، جزاء. وكان لذلك المُلقي للعلم والمُعطي للمعرفة العظيمة إلى شخص من يكون له على فعله ذلك ونصحه للطالب عند مولاه جزاء كبير وعطاءٌ عظيمٌ من فضل مولاه بما بلغه به ذلك الطالب إلى محلّه وساواه في علمه[532] فيرفعه مولاه بذلك إلى المنازل الرّفعية/ السّنية العالية. [151/ب]

135 ـ وكذلك تجري النّعمة من الله على أوليائه ما داموا كذلك لا يبخلون بما عندهم من علوم الله تبارك وتعالى على إخوانهم الطّالبين المقرّين بالتّوحيد. فلمّا كشف إلى ذلك الطالب الرّاغب علماً، وألقى إليه شيئاً من توحيد الله سبحانه وتعالى، قوي به عزمه، زادت رتبة الآخذ والمأخوذ عنه. فإن قنع[533] ذلك الطّالب بما قد سمعه أوّلاً، ولم يطلب الزيادة منه، ولم يسأل عن باطنه فهو مُوقَفٌ أبداً عند تلك المنزلة الأولى، لا يزول عنها ولا يرقى إلى غيرها؛ بل هو بحاله. فإن وقف فله [أن] يبدأه[534] فينعم الله بها[535] بالزيادة له من النّعمة التي أنعم الله بها عليه، ولم يكن حظّ لذلك الطالب [في] المزيد، وإن كان من الدّرجة على نقص[536] وعلت [عليه] درجته، وكان المتفضّل بذلك[537] المتناقل إلى الطالب، فُضّل على درجة المطلوب إليه وُفق للاجتهاد في مثل ذلك(؟)

(531) في الأصل: «معه».

(532) في الأصل: «اقتنع».

(533) في الأصل: «اقتنع».

(534) في الأصل: «يبتدئه» ثمّ صححت كما أثبتنا، والمقصود أن يبدأ صاحب العلم الطالب.

(535) يعود الضمير على الدرجة.

(536) يناسب هذا قوله في الفقرة الموالية. «وإن هو كبر عليه ما ألقى إليه الممتحن. . ».

(537) في الأصل: على ذلك المتناقل عن الطالب. ومعنى الجملة يبقى غامضاً.

وكن ساعياً كما قال تعالى، ساعياً بالخيرات/[538] (فطوبى يا مُفضّل لمن[539] أنزله مولاه هذه المنزلة وأهّله لهذه الحالة)[540].

* * *

(538) استشهاد بالمعنى: راجع الأنبياء: 21/ 90؛ المؤمنون: 23/ 61؛ فاطر: 35/ 32.

(539) في الأصل: «من».

(540) وردت الجملة بين قوسين في مقدّمة الباب الموالي، ولا معنى لمحلّها هناك.

[باب]

معرفة القمصان

136 ـ واعلم يا مُفضّل أنّه إذا كانت منازل ودرجات [فإنه] لا تستوي درجة[541] اثنين في العلم. وأنّه إنما كلّ واحد في درجة ومنزلة ومقام في العلم. وكذلك هياكلهم التي ينقلون منها[542] إلى غيرها[543] والقمصان التي ينزعونها. وذلك يا مفضّل إنّه لا يزال ذلك الشخص على تلك الدّرجة، وهو في قميصه ذلك وهيكله، فإذا رقِي إلى منزلة هي أعلى من التي هو عليها، لبس قميصاً هو أشقّ وأصفى وأحسن من القميص الذي نزع عنه. [و]يكون ذلك منه بحسب الدّرجة التي قد رقي إليها، وإن كان ممّن قد جنى وأذنب وشكّ وارتاب وزاغ والتبس عليه [الأمر]. استوجب بذلك أن يُحطّ عنه وينزع[544] ذلك القميص ويلبس[545] قميصاً أكدر وأظلم وأدنى وأحطّ من القميص الذي نزع عنه.

137 ـ واعلم يا مفضّل أنّ هذه/ القمصان [التي] نزعها العارفون والجاحدون، والهياكل التي توجد لهم في النّشوء منزلة في الهياكل البشريّة هي التي تعاني الشقاء والتعب وتوارى في الثرى، تأتي عليها الدّهور

(541) في الأصل: «درجتان اثنان».
(542) في الأصل: «فيها».
(543) في الأصل: «بخير».
(544) ورد الفعل في صيغة الماضي.
(545) راجع المصدر السابق.

والأزمان ومنه[546] يقولون:[547] [إنّ] «لها تولية[548] وبعثاً ونشراً ومحاسبة ومجازاة» وهم في ذلك صادقون في ظنّهم، ودعواهم، إلاّ أنّهم عموا عن معرفة ذلك لأنّ معرفة حقيقة ذلك بعيدة عنهم، فلا يعرفها منهم إلاّ القليل من أهل الصّفاء والمنازل والدّرج.

* * *

(546) في الأصل: كتب «منه» فوق «الأمان».

(547) في الأصل: جاء في المتن يكون. ثمّ كتبت فوقها «يقولون» ـ وهو المقصود ـ.

(548) في الأصل: «مولى». والمقصود عودة.

[باب]

معرفة الهياكل

138 ـ واعلم يا مُفضّل أنه إذا أودعت هذه الهياكل [الثّرى]، وهي هياكل العارفين والمخالفين أيضاً، نعم يا مُفضّل! وهياكل أصحاب المراتب والدّرج، يريهم المؤلى[549] أنّه ينضاف إليها هياكل المقامات التي ظهر بها المعنى والاسم والباب وأهل المراتب والمنازل والدرجات، تحلّ هذه الهياكل جميعاً مع أهل الإجابة والإقرار المؤمنين[550] ويريهم أنها تحلّ محلاً/ واحداً مع هياكل الشياطين والأبالسة والمردة والعفاريت وجند إبليس وقبيله من ذكر وأنثى وحرّ وعبد وأبيض وأسود وعربيّ وعجميّ ورومي ونبطي وهاشمي النّسب وطالبي الحسب، تحلّ هذه الهياكل كلّها محلاً واحداً، ويُصنع بها صنعاً واحداً وتجري عليها جميعاً ما يجري في صغيرها وكبيرها، عدلاً من مولاك وإنصافاً وإقامة للقسط وصراطاً مُستقيماً.

[أ/]

139 ـ واعلم يا مُفضّل أنّ هذه الهياكل إذا أودعت [الثرى] وصُنع بها ما صُنع وصحّ هذا[551] العالم أنّها قد هلكت، فإنّها غير هالكة لأنَّ مثلها[552] عند أهل التّحقيق مثل زرع قد بذر على وجه الأرض، فقام ذلك إلى أن استحكم[553]،

(549) في الأصل: «ويريهم».

(550) في الأصل: «والمؤمنين». ثم كتب تحتها الموافقين، دون شطب الأولى وكأنّ ذلك شرح.

(551) في الأصل: «وصحّ هذا عند العالم».

(552) في الأصل: «مثالها».

(553) في الأصل: «يستحكم».

وكمثل بذار يزكو وزرع[554] يزيد وينقص، وأنه إذا مضت عليه المدّة التي قد لزمته[555] استحكم، فيستوجب[556] [ذلك] أن يطلع على وجه الأرض، ويكون فيه منافع للبشر.

[153/ب] 140 ـ وكذلك/ لما أودع[557] من الهياكل في عمق الأرض مدّة قد قدّرها (الله عزّ وجلّ)[558]. وإنه إذا أتت عليها المدّة التي أوجبها منه عليها (فيكون ما تنتجه الأرض من بذر تلك الأجسام عند بلوغ المدّة فيخرج من تلك الأرض من المنافع مثل الأغذية والعلاجات والأدوية وغيرها ممّا يُجانسها، ويكون فيها منافع ومطاعم وصنوف وأنواع من الفواكه والأعناب)[559] وسائر الثّمرات فيكون من هياكل أهل المراتب ومن قاربهم ممّن صفا، للبخورات من الشجر، والطيّب من المسك والعنبر ثمّ الأنجوجات والعبير والرياحين وأجناسها وصنوفها[560] والعبهر[561] وأجناس وصنوف شتّى.

141 ـ وكذلك يكون من الهياكل الأضداد الملاعين المخالفين الرجسين، السّموم القاتلة والأنواع المكروهة[562] من الدِفْلى[563]

(554) في الأصل: أضيفت «زرع» في الهامش.

(555) في الأصل: «ألزمت إياه».

(556) في الأصل: «يوجب» ثم كتب فوقها، «فيستوجب».

(557) في الأصل: «لما قد أودع».

(558) استدركت العبارة في الهامش وأشير إلى موضعها.

(559) وردت الجمل بين قوسين بالهامش، وكتبت السّطور عمودياً، وجاءت تصحيحاً لما ورد في المتن: «فكان فيه لقوم ويكون فيه منافع من الأغذية وغيرها والأدوية والأعناب» وقد شطب منها «ويكون فيه منافع»، وأبقى على سائرها. ويظهر في النّص ـ رغم التّصحيح ـ وجه من الاضطراب في التركيب، والعبارة، فلا يبدو موضع «فكان فيه لقوم» مناسباً.

(560) في الأصل: جناسه وصنوفه.

(561) في الأصل: «العباهر» والعبهر: الياسمين. وكذلك النرجس، قيل هو نبت.

(562) في الأصل: «المكروه»، ثم صحّحت.

(563) شجرة خضراء مرّة، حسنة المنظر، من السموم.

والعلقمْ[564] والصّبر[565] والمُر[566] والحنظل[567] والسّلب[568] والحسك[569] والعوسج[570]، وكلّ نبت يكون منظره حسناً ومذاقه مكروهاً ورائحته خبيثة؛ وذلك من حسن ما تعقبه هياكل الأضداد في المنظر وفي ما كان له روعة وجمالٌ فهو بمعنى واحد، بمعنى ما يظهرونه [من] ظاهر المكر والخداع والعفاف والرّؤاء[571] والشفقة واللين/ والتجانب والتّشاكر [1/أ] والتساكن والتواضع والتّعبّد والزّهد والورع والقنوع. فإذا استخبر ذلك كلّه منهم وكشف عنه وجده مكراً ورياء واغتيالاً واحتيالاً وخداعاً وحيلة [فـ]كما تعاف النفس من يكون بهذه الحالة، كذلك تعافه إذا صار، بمعنى ذلك النّبات المكروه.

142 ـ وذلك أنّ الإنسان ليرى ثمرة[572] تدعو النّفس إلى أن تجنيها وتشتهيها لحسنها، وما يرى من بهائها، فإذا اقتطفها وجناها واختبرها بالذّوق والرّائحة فيجدها بخلاف ذلك من الكراهة المنتنة. يرمي [بها] من[573] يده ويبزق عليها ويلعنها ويلعن ما أشبه شكلها، وكذلك يجري أمره وهو في البشريّة بين هذا العالم، يرى منه تلك الظواهر الجميلة. فإذا

---

(564) شجرة الحنظل، وقيل هو الحنظل بعينه أي ثمرته. والعلقم شجر مرّ.

(565) عصارة شجر مرّ واحدته صبّرة. ونبات الصبر كنبات السوسن الأخضر، غير أنّ ورق الصّبر أطول وأعرض وأثخن.

(566) جمع مرّة، شجرة أو بقلة تتفرّش على الأرض لها ورق الهندبا أو أعرض، ولها نويرة صفيراء وأرومة بيضاء وفيها عليقة يسيرة.

(567) راجع أعلاه عدد (16).

(568) جمع سلبة، ضرب من الشجر ينبت متناسقاً ويطول. وهو من أجود ما يتّخذ منه الحبال.

(569) عشبة تضرب إلى الصفرة ولها شوك يسمّى الحسك.

(570) شجر من شجر الشوك، وله ثمر مدوّر كأنّه خرز العقيق، في ثمره حموضة.

(571) في الأصل: «الرويا».

(572) في الأصل أضيف بخطّ دقيق فوق ثمرة «ونباتاً» ولا وجه له.

(573) في الأصل: «عَنْ».

اختبرها[574] وباطنها وجد بخلاف ذلك من المكر والخداع والرياء. فيبغضون ويشتمون ويلعنون/ [154/ب] فهذا ما أعقبه فيهم، لأنّه لا يعقب [إلاّ] هذه المكروهات، وهي ملعونة في الظاهر والباطن، وهي السموم القواتل.

143 ـ وقد شرحت لك يا مفضّل في خطاب سلف حال السّموم القاتلة المنتنة التي سلف بها وعليها الوليّ والعدوّ. وهي ممّا أعقبه هياكل الأضداد الخواطىء[575] والجبابرة الذين قاموا مقام مولاك أمير المؤمنين، وتسمّوا باسمه، وأشركوا به و[أ]ضلّوا عنه العالم، وكانوا لهم أدلاء إلى الكفر والجحود، فأجابوا دعوتهم، وكانوا منهم وإليهم [و]سبباً لتلفهم وهم في البشرية. ثم صاروا إلى المسوخية كتلك السموم القاتلة المتلفة التي تأتي على كل شيء من بشريّ ومسخ وغيرهما[576].

144 ـ وأن من الهياكل، يا مفضّل لما يُفضل بعضه على بعض في الشدة والقوّة والعُتوّ والهيبة، فهو يكون مضى متزايداً[577] بعض على بعض في الشدّة والقوّة عند مصيرهم إلى الحال التي شرحتها لك. وكذلك هياكل أهل الإقرار/ [155/أ] والمنازل[578] وهي على رتب ودرج وهي في البشرية.

145 ـ واعلم يا مُفضّل أنّ كل هيكل تراه في المسوخية في الأجناس التي شرحتها من البهائم والهوام والطير والدبيب وغيرها من الأجناس، لأنها تحلّ في الهياكل البشريّة ويجري عليها ما يجري على البشر من

(574) في الأصل: «اختبرها».

(575) في الأصل: كتب فوق الخواطىء «الخطأ / ة/» ويصحّ الجمعان.

(576) في الأصل: «غيره».

(577) في الأصل: «متزايده».

(578) أضيفت استدراكاً.

الموت والقتل والحرق والغرق وغير ذلك. وأنا أفسّر لك وأبيّن شرح ما يسكن في المياه والبحر والبراري والجبال وغيرها، وما يخالطها ممّا يسعى على أربع وما يسعى على بطنه ومعاني صورها[579] فكن لذلك سامعاً واعياً، وأفهمه. وأعرفه تفُز بمعرفته وتقرّ بمعرفته عيناك، وعليك بلاغ ما ألقيه إليك تبلّغه إلى أهل الإقرار والمعرفة والتّوحيد، فاحمد مولاك على معرفته بتوفيقه لك، واسأله أن يوفق أهل القبول والإجابة بإثباتهم على الإقرار.

146 ـ واعلم يا مُفضّل أن مولاك أكمل كلّ شيء خلقاً. وأتقنه صنعاً وحكم فيه عدلاً/ ووسعه علماً وأحصاه عدداً. ثمّ أجراه في خلقه بالسّوية [1/ب] وحكم فيهم حكماً واحداً يجري في العالمين. العالم النوراني والعالم الظلمي لتكون الحجة فيه مؤكدة والعلم والقدرة نافذة بإرادته. فمن ذلك ما قدّمت إليك شرحه وسألتك كتمانه، إلاّ عن أهله.

147 ـ واعلم يا مفضّل أنّ البشر المنسوب إلى هذا المعنى، أنهم من ولده الذين قد تقمّصوا بهذا القميص ورضوا بأن يقال فيهم ذلك ويدعوا[580] به، إذا نسبوا بهذه النسبة فخروا، وسموا بها على العالم، وذلك أنّه كان مولاهم قد أنحلهم ذلك نحلة، لما ظهر فيهم، وأظهرهم منه. وليس ذلك الفعل سابقاً لهم، وعملاً استوجبوا به ذلك، فأعطاهم هذه المنزلة الرّفيعة العالية في العالم وأحلّهم[581] المحلّ الجليل إلاّ عند العارفين الموحّدين فإنهم يعرفونهم ويعلمون أنّهم على ضلالة في ادّعائهم/ تلك النسبة وهم مع ذلك في ظاهر الأمر إذا رأوهم لزمهم [15/أ] إجلالهم وتعظيمهم، وإن كانوا عارفين بباطلهم ودعواهم؛ فإنّهم إذا

(579) في الأصل: «عن معاني صورها».
(580) في الأصل: «يدّعون».
(581) كرّرت سهواً.

عاينوهم ونظروا إلى مواقع الاسم والنّسبة أعظموا المعنى ونزّهوه عن ادّعائهم. وقد قال الله تبارك وتعالى مخبراً عنهم [و]شرح ذلك فقال: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ﴾[582] أوكد دليل؛ فقد ألزمهم، يجري عليهم ما يجري على البشر في النّقلة والمكر، لأنه بيّن لهم أنّهم ينزلون الطبقات بعد الطبقات.

148 ـ واعلم يا مُفضّل أنّ [أهل] النّسبة الذين ادّعوا نسبة الميم يحلّون غير محلّ من[583] ادّعى نسبة العين، وذلك أنّ نسبة العين هي الحقيقة/ [156/ب] بذاتها، فمن كان ينسب نفسه إلى نسبة الميم، إذا أردت أن تعرف محلّه وترى منزلته من نقلته التي خصّه المولى بها، فانظر إلى الشهاري (؟)[584] التي لها الفخر والخيل العتاق التي لها الفخر والخطر والذكر الرّفيع عند مالكها، فهي[585] نسبة الهاشميين التي فخروا فيها بمحمّد منه السّلام، وهذا منها في عالم الوجود متعارف مُسْتيْقنٌ عند أهل المعرفة بالعالم[586]، معروف معاين عند أهل المعرفة والتّوحيد، وهم في ذلك على منازل ومراتب، بعضها يفضّل على بعض في المنظر والمخبر والتّنافس فيها. وهي صُنوفٌ وظروفٌ وأجناسٌ، كما أنّ أهل نسبته المحمّدية ينسبون إلى أشخاص يفضّل بعضهم على بعض ويكون بعضهم[587] من بعض[588]، وكذلك يكونون في [كلّ] محلّ يحلّونه.

---

(582) المائدة: 5/18، الأصل: «ونحن ـ ثم كتب فوق نذوبكم «الله». استدراكاً ولا وجه له.

(583) في الأصل غير محلّ الذين من ادّعى.

(584) جاء في اللسان «الشهرية»؛ ضرب من البرذان، وهو بين البرذون والمقرف من الخيل.

(585) صحّحت في الهامش «فهم» ويعني حلول المنتسبين إلى الميم في المسوخيات التي فصّلها.

(586) في الأصل: «في العالم».

(587) في الأصل: «بعضها».

(588) راجع المصدر السابق.

149 ـ واعلم يا مُفضّل أنّ طائفة منهم تحلّ في حيّات البحر؛ وقد ذكروا ورووْا عن ثقاتهم، ونُقل إليهم أنّ الخيل بَدْؤُها من البحر، بدأ ظهورها/ ومنه خرجت على وجه الأرض وأنّ في البحر مثلها وأنها تعاين وتُبصر[589] وقد روت طائفة أنهم مركوب من ركوب الشّياطين؛ وفي البحر من جنسها[590] مثل الدّلفين[591] والزّلاحف[592]، والتمساح والكوسج[593] والقرش والدّرق[594] وما [يُـ]شابه كلّ ذلك ويُجانسه وهي أصناف وأجناس كثيرة. فهذه كلّها رتب مدّعي[595] نسبة الهاشمية التي فخروا فيها بمحمّد منه السّلام، وصفاتهم شتّى ينزلونها ويحلّون فيها في دقيقٍ وجليلٍ وقويّ وضعيفٍ.

/ا]

150 ـ وأمّا ما كان من أجناس ومنازل ورُتب المدّعين للنّسبة العلويّة فهي[596] الحمام الرّاعبي[597] المحبوب. وما كان من الحمام وصنوفه مثل الورشان[598] والفصيح من الطّير الذي يتحدّث ويُجيب وما كان منها محلّه في المياه فهو معروف الشّخص، وهو يقرب في الفعل والحراك إلى

(589) في الأصل: «يتعاين ويتبصّر».
(590) في الأصل: «من جناسها».
(591) الدّلفين: سمكة بحرية. وفي الصّحاح دابة في البحر تنجّي الغريق.
(592) الزلاحف: جمع سلحفاة. وجاء في دوزي الزّلحفة هي السلحفاة. ولم ترد في اللسان.
(593) الكوسج: سمكة في البحر تأكل النّاس وهي اللُّخمُ. وقال الجوهري: سمكة في البحر لها خرطوم كالمنشار.
(594) «الدقّ» هكذا في الأصل. والمقصود ـ فيما نظنّ ـ الدّرق ج درقة، وهو نوع من السّمك، سُمّيَ كذلك لمجانسته لشكل الترس. راجع ذيل دوزي. ص 435، ولا وجود لهذا المعنى في اللسان.
(595) في الأصل: «مدّعيين».
(596) في الأصل: «فهم».
(597) في الأصل: «الرّاغبي»، ولا وجه له، والرّاعبي من الحمام جنس منه: يقال: رعبت الحمامة رفعت هديلها وشدّته.
(598) الوِرْشانُ: مفرده وَرَشَان: طائر يشبه الحمامة.

الطّير، وهو يجري عليه وبه ما جرى على الطير مثلاً بمثل.

[157/ب] 151 ـ ذلك/ أنّهم[599] في المياه [و]البحور والأنهار، في[600] السّمك والشبوط[601] والزّجر[602] والبُني[603] وكلّ جنس حسن المنظر شهيّ في لذّة الذوق والطّعم. وذلك أنّها تملك أنفسها في المياه وتسرح حيث تشاء. ولا يقدر أحدٌ على مسكها إلاّ بالحيلة عليها وصيْدها؛ وكذلك الحمام وغيره من أصناف الطيور [فإنها] تملك أنفسها بأجنحتها، تسلك حيث تشاء، ولا يقدر عليها إلاّ بالحيلة وصيْدها. فالفعل الجاري[604] في الحالين واحدٌ فيها، ما له رُتب، ومنازل وصنوف وضروب ونصوص ينصّ عليه، ويختار بعضها على بعض، ويفضّل بعضها على بعض كما يفضّل أهل الظاهر ولد الحسين[605] على ولد الحسن[606] وولد الحسن على ولد محمد بن الحنفية[607] وولد محمد بن الحنفية على

---

(599) في الأصل: «أنّها».

(600) في الأصل: «والسّمك».

(601) الشبوط: ضرب من السّمك دقيق الذنب، عريض الوسط، صغير الرأس، ليّن الملمس كأنّه البربط.

(602) الزجر: ضرب من السّمك عظام صغار الخرشف. والجمع زُجور من لغة أهل العراق.

(603) البنّي: هو سمك يوجد في النيل يكبر إلى ما يقارب نصف متر. ويزن الكبير منه اثني عشر رطلاً. ظهره أصفر قاتم إلى زيتوني، وبطنه فضّي اللّون وزعانفه برتقالية إلى حمراء ومقدّمه مستدير، وفمه صغير.

(604) في الأصل: «جارٍ».

(605) الحسين بن علي بن أبي طالب. ولد سنة 7هـ (الإصابة) أو سنة 4هـ (الاستيعاب). وقيل سنة 3هـ، قتل في كربلاء سنة 61هـ. حول الحسين راجع مثلاً: الطّبقات: 1/ 2؛ 33؛ 129؛ وII/ 2، 89، III/ 1، 11..؛ الإرشاد 197 ـ 253، ابن شهراشوب: المناقب III/ 206 ـ 272 ـ الإصابة II/ 76 ـ 81؛ تهذيب التهذيب II/ 345 ـ 357.

(606) الحسن بن علي بن أبي طالب، راجع مثلاً الطبقات 1/ 2، 33، 106، 143 ـ 164... III/ 1، 12، 25...: الأربيلي: كشف الغمة II/ 215 ـ 285، الطبرسي: إعلام الورى بأعلام الهدى: 213 ـ 251؛ تهذيب التهذيب II/ 295 ـ 301، الإصابة: II/ 68 ـ 74.

(607) محمد بن الحنفية هو محمد الأكبر بن علي بن أبي طالب، نسب إلى أمه الحنفية وهي خولة بنت جعفر بن قيس. كانت من سبْي اليمامة (ابن سعد) فصارت إلى علي. =

1/أ ولد العباس /بن علي(608) وولد العباس بن علي على ولد عمر بن علي(609) ومحمد(610) وولد جعفر(611) على ولد عقيل(612)، فهو كذلك. فانظر إلى ما شرحته ولا تفصح ولا تبح به إلى كلّ أحد من الناس، فيبلغهم ذلك عنك فيستحلّون دمك، وإن كنت تظهر لهم أنّك مولاهم، فإنّك إن فعلت ذلك تمّموك(613)؛ فإنّهم إنما يقولون فيك: إنك أبطلت نسبتهم ودحضت شرفهم وأخملت ذكرهم، ونزعت عنهم تاجهم وجعلتهم أولاد دواع وهو عندهم محظور، فاحْفظْ ما وصّيْتُك به.

152 ـ فأمّا ما كان يا مُفضّل في المياه من الأنواع نوعاً آخر مثل

= راجع مثلاً: الطبقات: V/ 33 ـ 83؛ حلية الأولياء III/ 174 ـ 180 من الدّراسات الحديثة يحسن مراجعة أطروحة وداد القاضي؛ الكيسانيّة في التاريخ والأدب، وخاصّة منها: ص ص 72 ـ 128.

(608) هو العبّاس بن علي من أم البنين حزام من بني كلاب. توفي سنة 61هـ مع الحسن في كربلاء ويلقّب بالأكبر: راجع مثلاً: الطبقات: IV/ 1؛ 1 ـ 22؛ مقاتل الطالبيين: 84؛ كشف الغمة: II/ 67؛ الإرشاد: 186؛ إعلام الورى: 203، كفاية الطالب: 411.

(609) هو عمر بن علي بن أبي طالب أخ توأم لرقيّة بنت علي من أمّ حبيب بنت ربيعة. لم يعدّ ممن قتلوا مع الحسين في كربلاء. ويذكر الطبري أنّ عمر عمّر خمسة وثمانين عاماً (V/ 154) في حين يذهب صاحب أعيان الشيعة إلى أنّه قتل مع الحسين، راجع حوله مثلاً: مقاتل الطالبيين: 78؛ كشف الغمة، II/ 67؛ الإرشاد: 186؛ إعلام الورى: 203؛ أعيان الشيعة: IV/ 135.

(610) هو محمد بن علي بن أبي طالب الملقب بالأصغر وأمّه ليلى بنت مسعود الدارميّة. ويكنّى بأبي بكر. قتل مع الحسين سنة 61هـ. راجع كشف الغمة II/ 67.

(611) هو جعفر بن أبي طالب وهو أول قتيل في الإسلام وكان جعفر ثالث أبناء أبيه. أكبرهم طالب، ويليه عقيل، ويلي عقيلاً جعفر، ويلي جعفر عليّ قتل جعفر يوم مؤتة سنة 8هـ. راجع الطبقات IV؛ 28، مقاتل الطالبيين 6 ـ 14؛ حلية الأولياء I/ 114؛ الاستيعاب I/ 81. أسد الغابة I/ 286؛ ابن أبي الحديد: III/ 407، البداية والنهاية IV/ 255؛ تهذيب التهذيب II/ 48، الإصابة: I/ 248.

(612) هو عقيل بن أبي طالب كان من المفارقين لعليّ. انظر خبره في ابن أبي الحديد: I/ 803. ولكن من أبنائه من ناصر الحسين ومات معه، راجع مثلاً مقاتل الطالبيين: 93 - 95.

(613) في الأصل: أتمّ عليك، وهي من لغة العامة والمقصود أصابوك وقتلوك.

الجري[614] والمرماهي[615] والزّمير[616] والمسلّة[617] والشّلْبة[618] والسّراطين[619] وغيرها ممّا يجانس ما ذكرته. فهو من أجناس المسوخيّات من العالم المنكوس، وهي مذمومة في البشرية / [و]مذمومة في الباطن [158/ب] والظاهر، [و]مكروهة تعافها الأنفس [و]لا يأنس أحد إليها.

وأنا أنهاك عنها وإن قدّر لك[620] أن قُدّم [إليك] و[أطلب منك] أن تُنهي ذلك[621] إلى سائر أهل المعرفة والإقرار وتنهاهم عنه، وأن تشرح لهم ما شرحته لك، وتوصيهم بالذي قد وصّيتك به، وعرّفهم استعمال التّقية والكتمان والسّتر. فهذا أصل الدّين وقطبه وفرعه.

153 ـ واعلم يا مُفضّل أن لله أسراراً، فأحبّ أن يُعبد سرّاً. ومعنى ذلك أنّ السرّ لا يطلع عليه، ولا يعرفه البشر، وكذلك نفس الإنسان سرّ، لأنّ المعنى أسرّ ذاته عن العالم المنكوس، وأوجب أن يُعبد سراً و[أن] تعرفه سراً بكيفيّته[622] وظهر بالبشريّة، وأوجد القدرة، فعرّف ليعرف بها. فكان لا يعرفه إلاّ من اصطفاه لمعرفته، فكان ذلك هو العبادة سرّاً إذا

---

(614) الجري: سمك يكثر في الفرات. ويسمّى كذلك جرّيث. وقد يسمّى الحنكليس.

(615) لا وجود لها في اللسان. وجاء في دوزي أن الكلمة مكوّنة من مار ويعني في اللسان الفارسي ثعبان «وماهي» ويعني سمك راجع دوزي II/ 584، الحيوان IV/ 129؛ حياة الحيوان: II/ 38.

(616) في الأصل: «الزمار» سمكة جسمها ممدود شديد الانضغاط من الجانبين مقدّمها طويل، أحدب وجسمها أملس تغطيه القشور. بل توجد على جانبيها صفائح عظيمة أو قشرية، ولها زعنفة ظهرية بها ثلاث أشواك قوية.

(617) في الأصل: «السلبي»، راجع دوزي: 1/ 670.

(618) في الأصل: «السلبي»، ولا وجه له، راجع دوزي: 1/ 781.

(619) حيوان بحريّ من القشريات العشارية الأرجل وهو لا يوجد في شواطىء الشام.

(620) في الأصل: «وأن تنهى ذلك على سائر. . .».

(621) في الأصل: «وأن تنهى ذلك على سائر. . .».

(622) في الأصل: «كيفيّته»، ثم صحّحت بالهامش كما أثبتنا.

[159/أ] عرفه[623] / قوم بالبشرية. وعرفه قوم بالاختصاص وعرفه قوم آخرون بالرّبوبيّة الحقيقية، والشّخص بينهم ولديهم واحدٌ لا يتغيّر ولا يزول، بل معرفة أفعال القُدرة دلّت أهل الإقرار إلى توحيده وإثبات المعنوية [له]. وأوجدت أهل الإقرار المعرفة والتوحيد وإثبات الوجود بالمعرفة، وعلموا أن القدرة لا تكون إلاّ من القادر.

154 ـ واعلم يا مُفضّل أنّ القُدرة لا تكون مستعارة ولا موهوبة، فإن قال لك قائل: إنا قد وجدنا من أشخاص الأضداد من قد أتى بقُدرةٍ واحتجّوا عليك بأن عمر بن الخطاب[624] فرعون سار بمسيره نيل مصر، ووقف بوقوفه، فكانت تلك قدرة. وإن احتجوا عليك بأنّ عمر بن الخطاب كتب إلى نيل مصر على صخرة من الحجارة بأن يجري/ [159/ب] [فجرى][625] أو يسكن فسكن، وكانت تلك قدرة. وإن احتجّوا عليك بأنّ

(623) في الأصل: «عرفوه».

(624) عمر بن الخطاب. ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة. كانت إليه السفارة في الجاهلية، فيما يذكر السيوطي، أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة (؟) عاضد أبا بكر في البيعة بعد وفاة الرسول وحسم الأمر في جمع الأنصار. فيما يروي الواقدي، ولي الخلافة بعد أبي بكر سنة 13هـ. تمّت في عهده فتوحات منها: فتح مصر ونهاوند. قَتَلَ عمر سنة 23هـ أبو لؤلؤة عبد المغيرة طعناً بالخنجر. حول عمر راجع مثلاً: البلاذري. فتوح البلدان: 350؛ ابن سعد. الطبقات: خاصة III/ 1: 190 ـ 274. الطبري. الذيل: 406 ـ 407، السيوطي: تاريخ الخلفاء: 121 ـ 163.

(625) جاء في البداية والنهاية فصل وسمه ابن كثير بقصة نيل مصر قال فيه: «لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل بؤنة من أشهر العجم. فقالوا: «أيها الأمير لنيلنا هذا سنّة لا يجري بها. قال: ما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر من أبويها، أرضينا أبويها، وجعلنا عليها من الحليّ والثياب أفضل ما يكون، ثمّ ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: «إنّ ذا ممّا لا يكون في الإسلام». إنّ الإسلام يهدم ما قبله قال: فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى. والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً حتى همّوا بالجلاء. فكتب إلى عمر بن الخطاب بذلك. فكتب إليه، إنّك قد أصبت بالذي فعلت، وإنّي قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي، فألقها في النيل، فلمّا قدم كتابه وأخذ عمرو البطاقة فإذا فيها: «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر. أمّا بعد، فإن كنت تجري بأمر الله الواحد القهّار، وهو الذي يُجريك، فنسأل =

عمر بن الخطّاب نادى «سارية» وهو بنهاوند[626] وقد دهمته خيول نهاوند وعساكرها وأشرف على الهلكة فنادى: يا سارية، الجبل!. فلمّا لجأ سارية ومن معه إلى جبال نهاوند نجا هو. وقد روي عن سارية أنّه قال: كنتُ أشرفتُ أنا وأصحابي على الهلاك حتّى ناداني عمر وهو بالحجاز وأنا بنهاوند: يا سارية، الجبل، فوقع صوته في مسامعي فلجأت أنا ومن معي إلى الجبل، فخلصنا فنجوْنا من عدوّنا[627] وكانت قدرة[628]. فهذا يا مفضّل في هذه القبّة الهاشميّة في أكوار قبل الظهورات[629] [و]مثل ذلك كثيرٌ. ولكن عمي هذا الخلق المنكوس[630] عن معرفة ذلك وحقيقته، فلو تيقّنوا أنّ القدرة لا تُعار، ولا تتجزّأ ولا تتبعّض ولا يأتي بها إلاّ من/ يأتي [1/160] بأمر من صاحب الأمر [لنفوا القدرة عن البشر].

155 ـ وذلك أنّ القادر إذا أراد امتحان العالم واختبارهم يأمر شخصاً من الأشخاص وليّاً كان أو ضداً يفعل فعلاً ويأتي بحال، ويظهر ذلك الفعل بأمر القادر، فيقع به العيان والمشاهدة، فإذا أظهر ذلك الشخص

= الله تعالى أن يجريك. قال: فألقى البطاقة في النيل. فأصبحوا يوم السّبت، وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنّة عن أهل مصر إلى اليوم، البداية والنهاية VII/ 100.

(626) نهاوند: مدينة عظيمة قبلة همذان: بينهما ثلاثة أيام، فتحها المسلمون سنة 19هـ وقبل سنة 20 أو 21هـ. راجع معجم البلدان V/ 313 ـ 314.

(627) جاء الخبر مطابقاً لما ورد في تاريخ اليعقوبي في حديثه عن فتح نهاوند، ولكنّ في نصّ الطبري اختلافاً، فقائد الجيش الإسلامي إلى نهاوند كان النعمان بن مقرن المزني في حين كان سارية بن زنيم الكناني قائد الجيش إلى فسا ودار بجرد، وهي فيما يذكر ياقوت في معجمه «مدينة بفارس» بينها وبين شيراز أربع مراحل. (V/ 260 ـ 261) كان فتحها سنة 23هـ. الأرجح ما ذهب إليه الطبري. راجع تاريخ الرسل والملوك. 1/ 2700 ـ 2703).

(628) استأنف المصنّف الكلام دون بيان جواب الشرط سيأتي لاحقاً.

(629) في الأصل: «قبل الظهورات».

(630) في الأصل: «ولكنهم عموا هذا الخلق».

الفعل بأمر القادر ووقع به العيان ينزله[631] أهل المعرفة أنّه للمعنى القادر [و]بذلك يرونه.

156 ـ وأمّا أهل الجُحود، فإنّهم بجهلهم وحيْرتهم وكُفرهم يجعلونه أنّه فعل ذلك الشّخص وإرادته لأمر أمره. وهذه الأفعال التي جرّت يا مفضّل للقادر أن يأمر الضدّ أن يفعل كذا أو يُمضي، ضدّاً كان أو وليّاً، بأمره، يقول بقوله ذلك الشخص. ويُمضِي المعْنى القادِرُ الفِعْلَ والقدرة فلا يسمعُ من الضدّ إلا القول فيكون كذا وكذا ويمضي الفعلِ والقدرةُ، والقادر عليهما[632] المعنى. وما يجري هذا من ضدّ إلا عند إظهار القادر القدرة، يأمر القادر الشّخص، وليّاً كان أم ضداً، بأن يُظهر القول فقط، فيكون القول من ذلك الشخص/ بأمر القادر [و]الفعل بقدرته. بهذا احتُجّ [/ب] يا مُفضّل على من يدّعي أنّ للضدّ قدرة أو أن[633] يأتي شيء من ذلك من نفسه، بغير أمر من القادر. [فـ]كل ما يجري مجرى ذلك في كلّ عصر وزمانٍ ودهرٍ وما شاكل ذلك من الأفعال العظيمة الخطر فهي بأمر من القادر، فمن نص أنّ القدرة الجارية هي للضدّ فقد عبده واتّخذه إلهاً، وجعل أنّ القادر هو الذي سلّم إلى الضدّ القُدْرة.

157 ـ وقد بيّن الله في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾[634] والقرية هم الرّجال، والقوم المجتمعون كما قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾[635] إنما عنى[636] بذلك القوم والرجال والجماعة الذين كانوا معهم،

(631) في الأصل: «فينزله».
(632) في الأصل: «عليها».
(633) في الأصل فوق «أن يقدر» لا يقتضيها التركيب.
(634) الإسراء: 17/ 16، في الأصل فحقّ عليها العذاب القول.
(635) يوسف: 12/ 82 في الأصل. فاسأل القرية. . . والعير الذي أقبلنا فيها.
(636) في الأصل: «أعني».

ومثل قول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾[637]. والقرية الممطورة هم القوم الذين أمطروا بالحجارة والسّجيل، وذلك أن الهلاك الذي/ وقع بتلك القرية [ليس] هو بالأمر الذي يأتي من المترف [161/أ] وهو الضدُّ و[إنما] ذلك الأمر الذي يظهر من الشخص ولياً كان أم ضداً، يأتي بقُدرة، فهو بأمر صاحب الأمر والقُدرة، لأنّه لا يأتي بالقدرة غير القادر عليها وهو المعنى. وهذا اختبار وإيجاد في القدرة بعينها أنّها لا تكون من الضدّ، و[إنّما] تكون من قادر لا بغير.

158 ـ وكذلك الأمر هو جارٍ[638] ومن دونه من الباب، فإن[639] جميع ما يظهر من الأفعال والقدرة من محمد وسلمان[640] وجميع أصحاب المراتب والدّرج الذين يُحيون ويُميتون ويخلقون ويرزقون وينشئون، كلّ ذلك بأمر القادر لها، وبأمره تأتي كلّ الأفعال، فالفعل هو للمعنى وحده، وإنّما يأمر الشخص بفعل فعل فيفعله عن أمر المعنى ويبيّن تلك الأشخاص أنها مأمورة/ . فمن ذلك قول القائل: «ما فعلته [161/ب] بأمري»[641]. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾[642] وقوله [سبحانه]: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[643]؛ وقوله [تعالى]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا

---

(637) الفرقان: 25/ 40.

(638) في الأصل: «فهو جارٍ».

(639) في الأصل: «وأن».

(640) سلمان الفارسي هو أبو عبد الله، مولى الرسول، من أوائل الصحابة إسلاماً. وهو جليل القدر عند الشيعة، وهو عند النصيرية مقام فيه تظهر المعنوية. توفي في خلافة عثمان سنة 35هـ (أو 36هـ) راجع الاستيعاب (بهامش الإصابة). ط2 II/ 53 ـ 59. أسد الغابة: 11/ 328 ـ 332؛ تهذيب التهذيب IV/ 137 ـ 139.

(641) في الأصل: «عن أمري».

(642) المؤمنون: 23/ 27.

(643) يونس: 10/ 104.

ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[644]. وقوله [عزّ وجلّ]: ﴿جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾[645].

159 ـ وذكر الأمر في القرآن كثير، وشرحه واضح موجود؛ وإنما استحق الضدّ العذاب الأليم لأنّه لما أمر بالقول والفعل[646] وجرى الفعل من القادر، لم يسلّم الضدّ إلى من أولاه، بل اتّخذه لنفسه، ولبّس على من سمعه منه وأظهر أنه له، لأنّ القادر أمره بفعله، وأنّ القادر أمضاه فاستوجب بذلك العذاب الأليم والخلود في الجحيم. وأهل التوحيد المحقّون يتيقّنون أنّ الفعل والقدرة للقادر ليتفقّهوا بعلمه، ويعلّموا أنفسهم للخلاص، فيستحقوا آنذاك الفوز والنّعيم.

160 ـ واعلم، يا مفضّل، [أنه] ظهر بما ظهر به من التوالد والمصاهرة والأولاد، وانْظر إليه في حال الطفولة[647] في البشرية/ كلّ ذلك تأنّساً[648] ليأنس به الخلق وذلك كلّه ما جرى، فذلك وما فوقه ثم ما دونه، حتّى المرض والعوارض والموت والقتل والضيم والضرّ الذي به[649] واقع، فهو بالضدّ واقع، فيظنّه العالم المنكوس أنّه بالمعنى واقع وهو بخلاف ذلك؛ وهو واقع بالضدّ مكافأة على جحوده لوليّها[650] ولموفّقه لفعلها؛ بل كان عند إظهاره [لها] أشدّ شكّاً وأبعد عن مقصد الحق لمن أولاه تلك الأشياء. ولم يسلّم إليه[651]. بل اتّخذها [على] أنّها من نفسه. وظنّ أهل الجحود أنّها كذلك فوقعت بهم المجازاة عليها بذلك

---

(644) النساء: 4/ 58.

(645) غافر: 40/ 78. الحديد: 57/ 14.

(646) في الأصل: «بالقول فعل» ثم أضيف بالهامش «له».

(647) في الأصل: «الطفولية».

(648) في الأصل: «تأنيساً».

(649) في الأصل: «الذي به إنه».

(650) الضمير متعلّق بالأفعال الظاهرة من الفاعل.

(651) في الأصل: «إليها».

العذاب، واستحقوا الترديد في القوالب الخبيثة النّجسة الرّجسة الملعونة الكريهة والتنقّل إليها في [شتّى] الأجناس وصنوف الصّور المذمومة، والتراكيب الصعبة، فيبغضُهُ العالم في سائرها، وتقسو عليه القلوب. وتسأل الزيادة فيما هو فيه، ويلعنه سائر الخلق من المؤالف والمخالف [162/ب] وإذا جرى لهم حال يقولون: / «لعن الله إبليس» وذلك من تماديه في طغيانه وكفره وجحوده وإنكاره وزيادة بلائه وشرّه إلى الدّاني إليه والمتغاضي عنه[652].

161 ـ ألا ترى يا مُفضّل أنّك ترى شخصاً لا بذي رحم ولا قريباً ولا نسيباً ولا بذي معرفة، ولا صداقة، ولا مؤانسة ولا اجتماع، وأنه قد نزل به شيء من المحن، والشدائد، فترق له وترحمه وتعطف عليه ولو قدرت لفديته ممّا هو فيه بجميع ما يُمكنك من مال وأهل وولد، وإنّك لترى ذا رحم وقرابة ومحبّة وصداقة وولدٍ ووالدٍ في أليم العذاب، وقد نزلت به محنة عظيمة. فلا ترق [له] ولا تعطف عليه، ولا تسأل عنه، وتسأل له أن يضاعف عليه ذلك، إنه ليفزع إليك ويستصرخك وتعلم أنّه مظلوم ومضطهد؛ فإن هو استصرخك أو دعاك إلى حاله يستعين بك [163/أ] عليها، كنت عليه لا معه حتى يقول: استعنتُ بك/ لنُصرتي، فإذا أنت عليّ، وليس ذلك إلا جزاءً على سابق ظلم، فما ذلك إلاّ لحالٍ سلف من بعض إلى بعضٍ، ويكون فيها استيفاء الحقوق والمُجازاة، فاستوفاه منه، يا مفضّل.

162 ـ وإنّك لترى ظالماً لقوم جائراً عليهم، وإنّ القوم ليستغيثون عليه بالعالم، وليس بينك وبينه معرفة، ولا تقدّمت مشاهدته، فإذا رأيته قد اضطهده النّاس وألمّوا به ضربت عنه، وقُمت بنصرته، وبذلت الجهود

(652) في الأصل ما أثبتناه، ولكن كتب في الهامش «المغتاض» تصحيحاً ولا وجه لذلك.

دونه وكذّبت من يقول: إنه ظالم وغاشم حتى يُقال لك: «ما تُعرف بينك وبينه حالٌ، ولا تقدّمت صداقة، فتقوم بنصرته»[653]. وإنّك لأعرف النّاس بما جرى من ظلمه وتعدّيه، فليس ذلك إلاّ جزاء، ومكافأة على ما سلف من فعله في وقت مّا[654] وعهدٍ مّا، وإن كان على درجة المخالفة فإنّه يستوفي/ ما له ويُوفّى ما عليه، فتبيّن هذا تعرفه وتجده في هذا العالم عياناً موجوداً، لأنه قد سبق القول في ذلك حيث يقول تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾[655]؛ وقوله: ﴿تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾[656]؛ وقال: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[657]؛ وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[658]. فهذا الخطاب وأمثاله ما [لا] يعقله[659] النّاس ولا يعرفونه بتأويله.

163 ـ وممّا أُبيّنُهُ لك في سويّة صراط ربّك في خلقه وإقامة عدله فيهم، أنّه أبان، وشرح، وفسّر، وشرّع أنّه جعل مللاً وكُتُباً وشرائع ورُسلاً؛ ونسخ بعضها ببعض[660]، ثمّ أبان الدّاعي. [و]القول فيه عنه أنه قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ﴾[661]؛ فإذا كانت: «أمّة واحدة وأنا ربّكم»[662]، فمن أين تفرّقت على الأوقات، والأزمنة؛ إذْ يقال: أمّة موسى. وأمّة عيسى، وأمّة محمد، ومن تقدّمهم

(653) في الأصل: فينتقم بنصرته.
(654) في الأصل: «ماء».
(655) فاطر: 35/ 30.
(656) البقرة: 2/ 281؛ آل عمران: 3/ 161.
(657) الإسراء: 17/ 7.
(658) الحجّ: 22/ 10.
(659) في الأصل: «يعقلوه».
(660) في الأصل: «من بعض». وصححت بالهامش كما أثبتنا.
(661) الأنبياء: 21/ 92؛ المؤمنون: 23/ 52.
(662) راجع المصدر السابق.

من المقامات الواضحة بالدّعوة؟

[164/أ] 164 ـ وقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا/ فِيهَا نَذِيرٌ﴾(663)؛ والحال فيها ظهور الشخص الدّاعي بغير الصّورة، وبغير الدّعوة والشريعة والكتاب والسنة والملّة، فمن ذلك تحليل [الأمر] مرّة وتحريمه مرّة أخرى و[أن يكون أشدّ] إصْراً(664) [مرّة] وأحطّ إصْراً [مرة أخرى].

165 ـ وقال تبارك وتعالى: ﴿أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾(665)؛ فانظر إلى غامض هذا(666) الخطاب، إذْ: «قالت أخراهم لأولاهم». وذلك أن أُخراهم من أوّلهم وأوّلهم من آخرهم، ولا يكون أوّل إلاّ بآخر، ولا آخر إلاّ بأوّل، وكلّ ظهورٍ، يا مفضّل، يظهر القادر به، فهو تجديد الحال الأوّل، وإن ظهر باسم من الأسماء، ونعت من النّعوت، وأوجد من ذلك النعت ما أوجده من غير الأوّل وهو باسم غير ذلك الاسم ونعت غير ذلك النعت، فإنّما ذلك الظهور هو واحد عند أهل الإقرار والمعرفة، لأنهم لا يجدون إلاّ ما أوجدهم أوّلاً. والعالم المنكوس لا يثبتون له [164/ب] المعنوية ولا الربوبيّة ولو أثبت/ وأظهر الدّعوة وأدحضها(667) إلاّ أنه يظهر بعد ذلك الوقت والزّمان إلزام أغلال وآصار، وتكليف واجتهاد وتشديد، ومنع الظهور كلّه سواء، والعالم عن(668) ذلك كلّه ساهون، وعنه معرضون، لا معرفة لهم بالاختيار ولا يوافقهم من العقول(669) اعتبار.

166 ـ وكذلك يا مُفضّل تجري القدرة في العالمين العُلويّ والسّفليّ

---

(663) فاطر: 35/ 24.

(664) في الأصل: «أصرّ».

(665) الأعراف: 7/ 38.

(666) في الأصل: «هذا من الخطاب».

(667) جاءت هذه الكلمة شبه مطموسة في الأصل، والأرجح ما أثبتنا.

(668) في الأصل: «في ذلك».

(669) في الأصل: «من العقول».

وتجري على الأشخاص الباطنة التي أقامت لها الأشخاص الظاهرة مثل السماوات والأرض والبحار، فمن ذلك أنّ السماء لها حيناً حجاب تحتجب عن الأرض بما بينهما من السحاب الذي يحجب النّاظر من العالم السّفليّ أن يرى أو يشاهد[670] ما كان يعاينه من السّماء؛ وكذلك يحجب [16/أ] مثل ما كان يعاين/ من الأرض وما كان يعاينه من العالم العلويّ.

167 ـ وكذلك الشمس يكون لها سلطان على العالم العلويّ في وقت وزمان، ولا يكون لها على العالم السفلي بل يتمنّاها، ويشتهيها، ويرغب إليها[671]. فإذا ظهرت الشّمس استبشر بها، وإن هي [غابت] تألّم لها وأفجعه فقدها؛ وكذلك هي في كل وقت وزمان ظاهرة موجودة في العالم العلويّ حتى يتألم منها العالم السّفلي ويحجبوا أنفسهم عنها ويتّخذوا منها إعراضاً[672] بعد تلك الرغبة فيها والميل إليها [و] يكون منهم التّوقي لها، والتآذي منها، والنّهي عنها، ويكون منها الضرر كما كان منها النفع، وذلك صراط[673] مستقيم في العالمين من ربّك تجري على تدبير العالم القدرة بالسّويّة.

168 ـ وكذلك الرّعود والبروق والأمطار والأندية والظلّ والحرّ والبرد واليبس والثلج وغير ذلك من الأفلاك/ والنجوم والسّماء والأرض [1/ب] التي وقع عليها[674] أسماء ظاهرة وباطنة، ولها أشخاص بشرية ونورانية، وهي رتب ودرج في العالم العلويّ النورانيّ ومنازلهم في العالم الظلميّ البشريّ الترابيّ بمنزلة واحدة تجري في الحالين اللتين قد شرحتهما[675]

---

(670) في الأصل: «شاهدا».

(671) في الأصل: «إليه».

(672) في الأصل: «عرضاً».

(673) في الأصل: «وذلك مستقيم صراط مستقيم».

(674) في الأصل: «واقع بها».

(675) في الأصل: «التي شرحتها».

لك، ويكون فيهما من الأدلّة والإنصاف مثل الذي كشفته لك وشرحته. وإنّي لو أتيت على ما شرحته قليلاً، لقرب إليك وفهمته، وقوي ذهنك على إدراكه والإحاطة به وفي الحقّ من التّفسير والشرح والكشف كفاية لمن عقل، وذكرى لمن تذكّر كما قال تعالى: ﴿ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[676]، وإنما قال: لمن كان له قلبٌ.

* * *

(676) هود: 11/ 114.

[باب]

معرفة السماء

169 ـ وهي دخانٌ، وقد قدّمت لك[677] أنّي أشرح وأبيّن لك ما خاطب الله به في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[678]. وذلك يا مُفضل، أنّه كان بداء السّماء[679] بمكوّنه[680]، وهو الباب المقيم والبيت القديم/ [الذي] كوّنه، [1/1] وهو السيّد محمّد حجاب مولاك، واسمه باطناً، وعبده ورسوله ظاهراً. فلمّا كوّنه من ذاته[681] كوّن من كونه الأرض وهو اليتيم الأكبر الذي هو المقداد[682]؛ كوّنه من جوهريته ثمّ كشف له عن ذاته فعاينه بالعظمة فكبّره وعظّمه، وحار في إدراكه، فأوجده من نفسه أنه فوقه غاية، فوقف عند ذلك عن السّجود وارتقب ما أوجده [إيّاه] وعقله من مراد مولاه، فظهر له

(677) في الأصل: «إليك».

(678) فصّلت: 41/ 11.

(679) في الأصل بدأ السماء ويمكن قراءتها أبدى السماء.

(680) في الأصل: «مكوّنه».

(681) في الأصل: «بذاته».

(682) المقداد بن الأسود الكندي، وقيل الحضرمي المُكنى بأبي الأسود، وقيل أبو عمر وقيل أبو سعيد. أوّل من أظهر الإسلام سبعة ذكر فيهم المقداد. توفّي في خلافة عثمان سنة 33هـ. راجع. الطبقات: III/ 1. 73، 114، حلية الأولياء: I/ 172 ـ 176، الإصابة: VI/ 202 ـ 204، تهذيب التهذيب: × (503)؛ 285 ـ 287؛ حياة الصحابة: II/ 678 ـ 718.

الأزل الذي لا يزول، فأوجده معنويّته، فسلّم له بالإخلاص، ثمّ أظهر له السيّد محمد الأكبر[683] بالبشرية الترابيّة، فأوجده أنَّه[684] كوّن جسمه من ذلك التراب؛ فلمّا أظهره بالبشرية، ظهر له بالاستواء، وهو بشريّ. فقال هنالك للسّماء وهي دخان أي نورانيّة في الكون الأوّل والأرض وهي في البشرية الأرضيّة. [فـ]ذانك الوقتان واحد فقال: «ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا أتينا طائعين»[685]، فكان ذلك عند ظهوره لهما ونظرهما إليه، وتصديقهما به في وقت واحد/ فأجابا في الشخصين جميعاً لما ظهر لهما بالبشريّة [و]علما أنه هو، وكانت تلك الإجابة قولهما: «أتينا طائعين» إجابة الباب واليتيم إلى إقرارهما للمعنى بالأحديّة ولاسمه بالوحدانيّة. [165/ب]

170 ـ وقد ثبت لك، يا مُفضّل، أنّ كل سماء سلسل في النورانيّة، وكل أرض هي المقداد في الرتبة ومن كان بعدهما من أهل المراتب والدّرج فهم تراهم[686] دونهما في المنزلة؛ وذلك أنّ الباب حجّة على أهل المراتب والدّرج لأنهم من جوهريته أظهروا أو هو جوهرهم، وكذلك كلّ رتبة هي حجّة على من هم دونهم بعض من جوهرية بعض، وأصلهم من جوهريّة الباب، من نور الاسم[687]. والاسم من نور ذات المعنى، فليعقل العالم لهذا الشرح. وهذا يا مُفضّل جارٍ في العالمين العلويّ والسّفلي، لأنَّ كلّ ظهور يظهر هو حجّة على من هو دونه في المنزلة والرتبة/ [فـ]افهمه، يا مُفضّل فإنّه الذي وعدْتُك به، وقد كشفته لك وشرحتُهُ. [166/أ]

* * *

(683) في الأصل: «ثم ظهر السيد محمد الأكبر محمد بالبشرية».

(684) في الأصل: «إنه إن. . .».

(685) راجع الهامش عدد (2) من نفس الصفحة.

(686) في الأصل: «ترا».

(687) كرّر نور سهوا.

[باب]

إرادة المولى وإبدائه*

171 ـ واعلم يا مُفضّل، أنّ لمولاك إراداتٍ وبدواتٍ[688] أبداها في خلقه، يظهرها حيناً، ويخفيها حيناً؛ فإذا أظهر كان جزاءً عمّا أخفى[689]. وإذا أخفى كان جزاءٌ عمّا أظهر. وكذلك إذا ظهر للعالم السفليّ بالبشريّة، وظهر بهم، فأوجدهم [إيّاه]، فأنْكروا نقلهم إلى المسوخيّة، وكان ذلك جزاء لهم[690] عن أفعال سلفت، وكذلك يجزون يا مُفضّل في المسوخيّة؛ فمن ذلك أنّ العالم النورانيّ إذا أظهرهم بظهوره معهم بالبشريّة كان جزاء لهم بأفعال سلفت في النورانيّة استوجبوا بها ذلك الظهور.

172 ـ وكذلك إذا ظهر للعالم المنكوس من أهل الجحود والكفر، فإذا أظهرهم وظهر لهم فأوجدهم ذاته ودلّهم على نفسه ودعاهم إلى الإقرار له والتّسليم/ إلى حجابه وبابه، فيكون منهم مثل ما قد كان أولاً /ب] من الجحود والامتناع عن طاعة حجابه والإنكار والكفر به وببابه فيتقدّم في المسوخيّة فيصير كل[691] من كان في وقت وزمان قبل ذلك، يصير حاملاً

---

* في الأصل: «ابتدائه».

(688) في الأصل: «بدأت». (هكذا).

(689) في الأصل: «أخفاها».

(690) في الأصل: «جزاء فهم».

(691) في الأصل: «إن كل...».

لمن حمله، ومن كان مقتولاً يصير قتلهُ لمن قتله. ومن[692] كان مملوكاً يصير مالكاً لمن ملكه حتّى يركب المركوب الراكب. ويجري ذلك فيهم من الفيل إلى الأسد، و[من] الجمل إلى الحيّة، و[من] العقرب إلى الدود الذي يأكل بعضه بعضاً، ويركب بعضه بعضاً ويعنّف بعضه بعضاً مثلاً بمثل، وشيئاً بشيءٍ، فلو عقل العالم المنكوس لِما أنت تسمعه أو عرفوه لأشفقوا على أنفسهم وعلموا، [و] لكان الاحتياط الذي يحتاطه البشريّ على البهيمة والطّير والهوام من سائر المسوخيّات[693] إنّما يحتاطه لنفسه[694] والإحسان الذي يحسن إليها إلى نفسه يحسن/ [1/167] والإساءة التي يُسيئها إلى بعض المسوخيات إلى نفسه يسدي[695] بها؛ وإنّما يُملك المالك للمملوك، والمملوك للمالك والحرّ للعبد، والعبد للحرّ؛ وإن كل ذلك جزاء ومكافأة من بعض لبعض.

173 ـ و«اعلم يا مُفضّل، أنّ المسوخيّات تأخذ بآثارها وحقوقها عند كونها وكرّها وردّها إلى البشرية، ورجوعها إلى المسوخيّة [فـ]يردّ كل نوع [في] شكل من نوعه ممّا يستوجب الجنس الذي قد أوجب عليه الحلول، من النسخ والفسخ والمسخ والوسخ والرسخ؛ فإن كان حديدٌ وقد قُطع به حديدٌ في عهد ما يُردّ ذلك المقطوع في زمان آخر وعهد آخر حتى يقطع الذي قطعه، ويردّ كل فاعل فيصير مفعولاً به؛ ويردّ كل منهم إلى مكان هو الصائغ به، فيصير [هذا] مصنوعاً به، ويردّ كلّ نوع في شكله [الذي] من نوعه[696].

---

(692) في الأصل: «وإن»...

(693) في الأصل: «المسوخية»: والجمع أوفق.

(694) في الأصل: «على نفسه».

(695) في الأصل: «يزد».

(696) جاءت الجملة: «ويردّ كل نوع في شكله من نوعه. مباشرة بعد، هو الصانع به.. «ويبدو أن الناسخ قدّمها سهواً، والأرجح ما أثبتناه.

174 ـ «وكذلك الحجر يقطع بالحديد [فـ]ـيرد الحديد إلى الحجر ويردّ ذلك الحجر إلى الحديد حتى يقطعه مثلاً بمثل وذلك بذلك [و]ما كان من رصاص أو نحاس أو فضّة أو ذهب. يردّ إلى الحالة يجري عليها/ منه ما جرى وتردّ[697] تلك الحالة التي كانت منه [إلى] ما كان حتى يستوفي ويأخذ كل من كل». [ب]

175 ـ «وأزيدك يا مُفضّل شرحاً واضحاً ليس هو معك، يا مُفضّل إنّه ما من شيء من هذه الأجناس [مرّ] على أحد من العالم الظلمي وهو في البشرية[698] إلاّ ومرّ عليه في المسوخية والرّسوخيّة مثله[699]، لأن له زماناً ودهراً، يردّ كل ذلك [من] البشريّة إلى المسوخيّة ومن المسوخية[700] إلى الرسوخية[701]، و[من] الرّسوخيّة[702] إلى البشريّة، فيستوفي المفعول به [الـ]/ـحال من الفاعل به مثلاً بمثل؛ فما كان بشرياً وقطع بحديد حجارة، فتصيرُ الحجارة حديداً، والبشريّ حجارة، والحديد[703] بشرياً فيقطع المقطوع القاطع، ويصير الحديد حجارة، فيقطع القاطع».

176 ـ «وكذلك الحلي يصير بشرياً، ويتحلّى بالبشريّ الذي تحلّى به لأنّه يردّ البشريّ إلى الرّسخ، والرّسخ إلى البشرية مثلاً بمثل حتّى يستوفي كلّ واحد من الآخر ما أخذه منه. فانظر إلى طبقات العالم الظلمي في تراكيبهم بالبشريّة ممّن قد مكن له المكانة العظيمة/ فيكاد ألاّ يتحلّى أحدهم بالكثير من الحلي، وأنّه لو أراد أن يكون عليه منها ما [شاء] لكان [أ/]

(697) في الأصل: «ردّت».
(698) في الأصل: «في البشرية شي» ولا وجه له.
(699) في الأصل: «مثلها».
(700) في الأصل: «المسخ».
(701) في الأصل: «الرسخ» ثم كتب فوقها «سوخية» تصحيحاً.
(702) في الأصل: «الرسخ».
(703) في الأصل: «الحجارة بشرياً» وهو خطأ.

عمل، ومنهم من يتّخذه آنية يستعملها لمأكولاته ومشروباته، وذلك يجري فيه بحسب ما أجري عليه».

177 ـ «وإنّك يا مُفضّل، لتجد في العالم الظُلميّ مَنْ لا يملك إلاّ درهماً واحداً [و] محتاجاً إلى القوت، فيمنع نفسه ذلك [الدرهم] ويصوغه خاتماً. ويتختّم به، وذلك ليستوفي ما له على ذلك الخاتم، وإنّ منهم لمن لا يدع أن يتحلّى بالفضّة والذهب والنّحاس والرّصاص والحديد والزّجاج؛ وإنّ [منهم] لمن يعلّق في رقبته أو في عضده أو في وسطه الخرز والحجارة، وغير ذلك من أنواع الرسخ، فهو على قدر ما كان له، فكلّ ذلك ليستوفي ما له على ذلك، ويتزيّن به مثلما تزيّن به أوّلاً وهو في كون البشريّة».

178 ـ «وكذلك الخيل والجمال والحمير والدّوابّ والكلاب وأنواع البهائم والحيتان والطير حتى في الحيّات والدبيب وسائر المسوخيّات فمنها/ ما يتحلى وتباع في تحليها بالفضّة والنّحاس والرصاص؛ وكلّ هذا يجري عليها كما أجرت هي على تلك الحلي في تراكيبها، مثلاً بمثل؛ أما رأيت سمكاً مقرّطاً[704] قد صيد وجعل في أذنه قرط[705] أو خرز؟ فذلك موجود كثيراً، فكلّ ذلك[706] يجري عليها حسب ما أخذت من ذلك في حال تراكيبها، مثلاً بمثل، عدلاً من مولاك وقسطاً بالحقّ». [168/ب]

179 ـ قال المُفضّل: «فوجل قلبي عند ذلك، فعلم مولاي ما في نفسي، فقال: «يا مُفضّل إنّه قد اشتكل في نفسك شيءٌ تُريدُ [أن] تسألني عنه: عن لبس هذه الحلي واستعمالهم لها؛ وهو أنّ المؤمنين يستعملون هذه الأشياء التي قد شرحت لك فيها هذا الشرح العظيم، وكيف يكون

(704) في الأصل: «مقرطق».

(705) في الأصل: «قرطه».

(706) في الأصل: «من كلّ ذلك».

حال المؤمنين في ذلك وكيف يخلصون منه»، قال المُفضّل: «قلت يا مولاي، أنت العالم ما في نفسي من سرّي وإعلاني [و] أنت أعلم به منّي كما وصفت نفسك. فقلت: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾»[707].

[1/أ] 180 ـ فقال مولانا/ علينا سلامه: «يا مُفضّل، إنَّ المؤمنين لا يدخلون في شيء من ذلك، ولا يجري عليهم شيءٌ من ذلك؛ كلّ ذلك للمؤمنين حلالٌ مطلق في العالمين العلويّ والسفليّ؛ أما سمعت قوله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. الآية...»[708].

181 ـ وذلك يا مُفضّل أن الله تبارك وتعالى قد مَلّكَ المؤمِنَ مال الكافر ونفسه، وأهله وولده وروحه وبه يعيش ولولا المؤمن ما عاش الكافر ولا ذاق[709] طعم الدّنيا والحياة، ولا تنسّم الهواء ولا نعم بحال[710] من الأحوال، وإنّما بالمؤمنين ينال الجاحدون ما ينالونه بأفعالهم الجميلة مع المؤمنين واصطناع الخير إليهم وبهم يهلكون[711] بما فعلوا بهم من الأسواء، فهم ينالون[712] بفعلهم الحلول [في] البشرية والتّمتع فيها، ثم يصيرون إلى المسوخيّة، ويجازون بما اقترفوه في تلك/ البشرية [/ب] حتى يود أن [يكون] قد ردّ إلى البشرية فيفعل بالمؤمنين غير تلك الأفعال، فيداخل المؤمنين من السّرور ما ينيب[713] الكافر الذي قد أدّى

---

(707) ق: 50/ 16.

(708) الأعراف: 7/ 32.

(709) في الأصل: ولا شمّ طعم الدنيا.

(710) في الأصل: بحيلة من الأحوال.

(711) في الأصل: «يهلك».

(712) في الأصل: «ينال».

(713) في الأصل: «يناب».

[به] ذلك السّرور في البشرية إلى الرّفعة والعزّ والجاه والأحوال السنيّة في البشريّة[714] والمسوخيّة أيضاً إذا ردّ إليها[715].

182 ـ «نعم يا مُفضّل! وبالمؤمنين وفعلهم[716] بهم القبائح يهلكون، ويحلّ بهم ما حلّ في البشريّة[717] والمسوخيّة ويكشف للمسوخ أنّ بأعمالهم بالمؤمنين نالهم ذلك، فيودّون أنّهم[718] يردّون إلى البشريّة حتّى يزيدوا بأفعالهم الجيّدة المؤمنين؛ فإذا رُدّوا إلى البشريّة ازدادوا في الأعمال القبيحة بالمؤمنين، فيردّهم ذلك الفعل إلى المسوخية وغيرها من الوسخ والرسخ، لأنه كلّما ردّوا إلى البشريّة تناسوا توحيد مولاهم[719] وتعدّوا على أوليائه».

183 ـ وهذا المؤمن إنْ يمْلك الكافر [في] البشريّة والمسوخيّة والرسوخيّة، لا يطالب فيه بعطاء ولا عليه بجزاء لأوليائه فيعكسه إلى النّسخ والمسخ والوسخ والرسخ/ يعذّب فيها بأيدي المؤمنين كما قال [170/أ] سبحانه وتعالى: ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ * * وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[720]؛ فاعرف هذا الشرح يا مُفضّل وتبيّنه وافهمه وافقهه، فقد سلكت بك صراط ربّك، وأوجبت عليك فيه إلزام نفسك وأهلك، واستعمال كلّ ما شرحت لك وأمرتك وعرّفتك به، و[أنْ] تشرحه لمن دونك، وإن كان من أهله، وتأمرهم باستعمال فقهه، ولا يتمّ لك، ولا لأهلك توحيد مولاك إلاّ بإقامة ذلك وقبوله وإقامة شروطه والعمل به وبشروطه وتصديقه.

---

(714) في الأصل: «وما يناب الكافر الذي قد أذى إليه ذلك من السرور في البشرية الرفعة».
(715) في الأصل: «فعالهم».
(716) راجع المصدر السابق.
(717) في الأصل: «في البشر».
(718) في الأصل: «إنهم» ثمّ.
(719) في الأصل: «على أوليائه».
(720) التوبة: 9/14، في الأصل: يعذّبهم الله بأيدهم. ويشفي صدور قوم مؤمنين.

184 ـ واعلم يا مُفضّل أنّ مولاك أجرى أموراً في البشرية، وأوجدها وأمضاها، وقدّرها وحتّمها، فهي تجري على سُننها ورُتبتها. وذلك أنك ترى في العالم الظلميّ من يستنكح وينكح البنات والأخوات والأمّهات، وكذلك تجدهم في المسوخيات. وذلك أنّك ترى الرجل يزوّج/ أمّه من [ب/] رجل، وأخته من رجل [و]يزوّج [الآخر] أمّه وأخته وابنته من آخر. وكذلك تراهم يملك الرجل في المسوخيّات الأنعام[721] وغيرها من البهائم والطير وسائر الأجناس المسوخيات من الدّواب والحمير، والجمال والبقر والغنم وغيرها من الكلاب وسائر أجناس المسوخيّة، وترتب بعضها على بعض في تناهي فعلها بتجانسها ويكون منها ما يكون أمضى في البشريّة من التوالد والتضامن والنّسل».

185 ـ «وكذلك يتوالد العالم [من] العربيّات والأكراد[722] والعجم والرّوم والأرمن والنبط وسائر أصناف السودان أيضاً، ويقع النّكاح بينهم في مثل ذلك [فـ]يتزوج العبد بالحرّة والعجميّ بالعربيّة واليهودي والنصراني بامرأة تدّعي الشرف[723]، وينكح امرأة غير كفئها في النّسب والأصل، وكذلك يتزوّج الرجل الامرأة التي[724] ليست كفؤاً في حسب ولا نسب، فكما يجزي/ عليهم في البشرية يجري عليهم في المسوخيَّة، [1/أ] ويردّ إلى كلّ ذي حقّ حقّه، ويخرج كلّ من عليه شيء ممّا [هو] عليه».

186 ـ وكذلك يا مُفضّل تتزوّج المرأة الدنيّة الرجل النصراني [و] كذلك تعلو الفرس العربيّة البرذون[725] الدنيء ويعلو الحصان العربيّ

(721) في الأصل: «النعم».

(722) في الأصل: «الأكراد».

(723) في الأصل: «الشرق».

(724) في الأصل: «الامرأة من».

(725) البرذون: والأنثى برذونة، يطلق على الدّابة، وغير العربي من الخيل والبغال.

الرمكة[726] ويعلو الحمار الفرس؛ وذلك أنّ الفرس كانت حماراً؛ وكان الحمار فرساً، وكذلك يجري عليهم بالبشريّة [فـ]ينكح المسلم النصرانيّة في ظهور، ثمّ تعود النصرانيّة في ظهور ثانٍ إلى[727] الركوب ويكون [ذلك] في شريعة الحنفيّة، يعود الرجل إلى التأنيث، ويكون [ذلك] في ملّة النصرانيّة، فيتزوّجها الرّجل، ويأخذ منها ما كان له».

187 ـ «واعلم، يا مُفضّل أنّه كذلك يجري عليها في المسوخيّة [فـ]إنّها تكون في ظهور فرسا، فيركبها الحمار وتصير في ظهور [ثان] حماراً، ويعود الحمار فرساً فيركبها، وليس يكون اجتماع له في ظهور واحد في البشريّة ولا/ في المسوخية؛ كما أنه لا يتهيّأ لنصرانيّ أن ينكح [171/ب] امرأة مسلمة، وكذلك لا يتهيّأ لحصان أن يثب على أتان، بل ينكح المسلمون النصارى، ويركب الحمير الخيل، وهو إقامة عدل مولاك في الخلق المنكوس بما استحقوا ثمّ اكتسبوا».

188 ـ «وأزيدك، يا مُفضّل في ذلك علماً، ليس هو عندك، ولا عَلِمْتَهُ، ولا علمه أحد قبلك: إنّ اليهود الذين هم في البشرية [و]الذين قد ثبت عليهم هذا الاسم، لا ينكحون نساءهم المسلمين، ولا النصارى، وكذلك هم لا ينكحون مسلمة ولا نصرانية لأنه[728] عندهم محظور لا يقدر عليه، وكذلك يجري أمرهم في المسوخيّة، وهي البغال، لأنها لا تُؤتى[729] ولا تأتي هي أيضاً[730] شيئاً؛ وهي بحالها منفردةٌ فيما هي فيه كما كانت في البشرية. وربّما كان منها شيء على سبيل الاختيال والمكابرة

(726) الرمكة، بالتحريك، الأنثى من البراذين، والجمع رماك ورمكات وأرماك.

(727) في الأصل: «في الركوب».

(728) في الأصل: «لأنهم».

(729) في الأصل: «يؤتى عليها».

(730) في الأصل: «أيضاً هي».

فهو يجري منها جزاء [ما] كان سلف، وهي في البشرية زنية زناها، كان ذلك من وُثوب بغل على فرس/ أو فرس على بغلة وليس يُكوّن ذلك بينهما ولادةً».

189 ـ «وكذلك يجري، ويكون في البشرية والمسوخية، وهي في الرسخ والرصاص الأسود، ألا ترى ظلمته وسواده، وهذا يا مفضّل مثلاً دليل واضح [على] أنّ الرصاص الأسود لا يعلو شيئاً[731] من الأشياء، من النحاس والحديد؛ ولا يعلوه شيء من النّحاس والحديد إلاّ وأفسده؛ وما وقع به المزاج بغيره من الرصاص القلعيّ، فهو بمعنى من قد أسلم أو تنصّر من اليهود. فإنَّهُ [من] وقع عليه اسم الإسلام والنصرانيّة، [ما] جاز أن يتزوّج منهم وينْكح منهم. وكذلك الممازجة، تقع وهو في الرّسوخيّة بالتزواج بغيره من الرصاص القلعيّ فينضاف عند تزاوجه في ما يُحتاج إليه. فإذا أردت أن تعرف أشخاصهم في المسوخيّة، فانظر إلى كلّ ما رأيته من الدّوابّ يُشاكل البغال في معانيها، فذلك ممّا وصفتُ لك».

190 ـ «واعلم/ يا مفضّل أنّ في العالم أموراً وأحوالاً وبواطن ظاهرها عند العالم البشري[732] وباطنها مسوخٌ وهي تتماشى [معه] في البشريّة، وتشرح ذلك القول في من ظاهره بشريّ وباطنه مسخٌ، وبيانه في العالم الظلميّ، وشرح ذلك أنّك تجد في العالم من يلعب بهديل الحمام وينهق نهيق الحمير، ويصهل صهيل الخيل، ويشحج شحيج[733] البغل، وينبح نبيح الكلاب، ويعجّ عجيج البقر[734] ويضجّ ضجيج الثّعالب، ويصيح صياح القطط، ويشقشق شقشقة الفأر، و[يصيح] صياح القرد،

(731) في الأصل: «لا يعلو علي».
(732) في الأصل: «البشري».
(733) في الأصل: «يشجّج شجيج».
(734) المعروف أنّ العجيج صوت الإبل، والخوار صوت البقر.

وجميع معاني المسوخيات. ومنهم من ينوح مثل الطيور في الأسواق والطرقات، ويجعله مديحة ومعيشة يتقوّت بها».

191 ـ «وترى في العالم من يُعنى بتربية الكلاب، وتربية الحمام وتربية القطط، وتربية جنس من أجناس المسوخ، وكلّ ذلك لألفة بذلك الجنس، ترتاح روحه إلى الأجناس التي قد حلّ قبل ذلك الوقت فيها. وكذلك من ألّف الجوارح والفهود، والصّيد بها فيعرف ما كانت تعرفه قديماً، وتُمسك على صاحبها بمقدار/ ما أمسك هو عليها، وكما أضرّت [173/أ] يضرّ بها وهو في المسوخيَّة في كلّ نوع منها، وكذلك يعود في غيرها من أعدى الأجناس وأبداها إليه[735] بقدر ما كان المعاني له».

192 ـ «وذلك [أنك] ترى، يا مُفضّل؛ من يؤثر ذلك القرد والكلب والدبّ والبهيمة والقطّ والطّير والجارح على نفسه. ويضرّ بنفسه، ويُحسن إلى ذلك الذي قد غوى به بقدر ما كان أولاه ذلك المسخ، وهو في البشريّة، بشريٌّ والبشريُّ في المسوخيّة ذلك الجنس، فانظر إلى ما شرحت لك واكشف عنه تجده، وتُعاينه وعرّفه من هو به [أهل]؛ وليحمد أهل الإيمان والتّوحيد لمولاهم على ما أولاهم من إسْباغ نعمته على أوليائه [إذا] استنقذهم من الظلمة وجعلهم أهل النور، ثمّ أوجدهم معاني أهل الخلاف والجحود والإنكار.

193 ـ واعلم، يا مُفضّل، أنّ في العالم النوراني من يعرف فضله على من هو دونه؛ فيسأل الله الزّيادة والارتقاء والبلوغ إلى منتهى[736] الدرجات؛ لأنّه قال تبارك وتعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

(735) أبداها إليه، أشدّها مبارزة له، من فعل باداه أي بارزه.

(736) في الأصل: «تناهي».

دَرَجَٰتٍ﴾(737). ثم أوجد أنها في جميع المكوّنات من العالمين العلوي النوراني والسّفليّ الصغير البشري، أصحاب المراتب والدّرج/ فأوجد [ب/] فضلهم على من دونهم في المنزلة من العالم الترابيّ، أهل الإجابة والإقرار بالمعرفة.

194 ـ ثم أوجدهم فضل هذه المنزلة على عالم الجحود والإنكار ما داموا في البشريّة، فلهم فضل على من هو دونهم في النّسوخية؛ وفضل من في المسوخيّة على من هو في الوُسوخية؛ وفضل من في الوسوخيَّة على من هو في الرّسوخية، وهذه كلها درجات في معانيها بعضها فوق بعض، ويرتفع بعضها فوق بعض في جميع ما جرى عليه، ولكلّ منزلة رتبة، ولتلك الرتبة منازل يعلو في ذلك بعضهم بعضاً(738)، فمالك ومَمْلوك، ومُوسر ومُعسر، وشقيّ وسعيد، وآمن وخائف، وعزيز وذليل في البشريَّة والمسوخية والرّسوخية(739)، وجميع ما جرى عليه في الكرّات والرّجعات وفي الأكوار والأدوار، والأحقاب والأعصار، يعود فيها من الشدّة إلى الرخاء، ومن الضعف إلى القوة، والمملوك مالكاً، يا مفضّل، وهذا ليس فيه رجعة، ولا حدّ، ولا محاماة، ولا رخصة، فلينظر العالم الظلميّ إلى ما شرحته والجاحدون فلأنفسهم/ يقدّمون فقد أنذرتهم، [1/] وحذّرتهم، فلا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة، أعني بذلك، وإلاّ صرتم بهائم.

195 ـ واعلم أن مولاك أقام لهم نفسه مقام الدّاعي الرّؤوف الناصح المشفق العطوف. وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾(740). وقال:

(737) الزخرف: 43/ 32.

(738) في الأصل: «فوق بعض».

(739) في الأصل: «الرسخ».

(740) البقرة: 2/ 40.

﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[741] وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾[742]. وقال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ﴾[743]. وقال: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[744].

196 ـ «واعلم، يا مُفضّل [أنّ] في خطاب الله من الوجود الواضح والمعاني، ما لو انكشف للعالم وتبيّنوه لغنوا به عن السؤال والجواب والبحث، ولكان لهم دليل ومقصد، ولكنّهم عموا[745] عنه كما عموا عن المشاهدة والعيان والوجود والبحث؛ وهم في غفلتهم وعماهم أضلّ وأجهل. وقد جعل الله في أهل الإقرار والإجابة والمعرفة للتّوحيد نور القبول، وأن لا تمرّ بهم آية من الآيات إلاّ اعتبروا وفكّروا فيها، وكانت لهم دليلاً وشاهداً، على صحّة اليقين/ [174/ب] بميلهم إلى الحق وقبولهم للصدق[746] وتجنبهم للباطل، فزادهم مولاهم إيماناً وهدى، كما قال الله [تعالى]: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[747]. وقال الله سبحانه: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[748]. وقال مخبراً عنهم بقوله: ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[749]. وآي في القرآن مثل هذا كثير، وليس ذلك إلا لأهل الإيمان والقبول والتسليم».

(741) البقرة: 2/ 231، آل عمران: 3/ 103، المائدة: 5/ 7، 11، 20؛ إبراهيم: 14/ 6؛ الأحزاب: 33/ 9؛ فاطر: 35/ 3.

(742) إبراهيم: 14/ 42، في الأصل: «عما يعملون».

(743) إبراهيم: 14/ 47؛ في الأصل: «عما يعملون»، في الأصل: «ولا تحسبن الله خلف وعده».

(744) الزمر: 39/ 56.

(745) في الأصل: «عمي».

(746) في الأصل: «إلى الصدق».

(747) الأنفال: 8/ 2، في الأصل: «آياتنا».

(748) التوبة: 9/ 124. في الأصل: «إذا أتتهم... زادتهم هدى».

(749) استشهاد بالمعنى راجع مثلاً الأنعام: 6/ 63.

197 ـ فأمّا أهل الجحود والكفر والإنكار والظلمة والكدر فإنه قد خبّر عنهم. فقال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾(750). وقال [سبحانه]: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾(751). وقال [عزّ وجلّ]: «ولو أنزلنا عليهم كل شيء ما كانوا ليؤمنوا»(752)؛ وقوله [تعالى]: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ * أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾(753)؛ وقوله [سبحانه]: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾(754). وآي في القرآن مثل هذه كثير في مقامهم على الجحود والإنكار والكفر والمخالفة والعناد، وإنما ذلك لثباتهم(755) على الجحود الأوّل للدعوة الأولى/ في البدء الأوّل. [1/1]

198 ـ «ثمّ يُنقل العالم إلى(756) تلك الظلمة، فكلّما عتوْا ونفروا، زادت ظلمتهم. وقد قال سبحانه: ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ [وَمَن] لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾(757) وقال [تعالى]: ﴿ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾(758) وقال /عزّ وجلّ: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾(759) فهم فيه يلجون ويولجون. والظمات في [الـ]بحر اللّجيّ هي المسوخية، وهي طبقات متداركة ومترادفة من أصناف العجائب والتراكيب يصعب وصفها على الواصفين ونعتها على المخلوقين لكثرة أجناسها وسكانها

---

(750) الشعراء: 26/ 5.

(751) الزخرف: 43/ 48.

(752) استشهاد بالمعنى. راجع يس: 36/ 46.

(753) الرعد: 13/ 31.

(754) استشهاد بالمعنى. راجع يس: 36/ 46.

(755) في الأصل: «لإثباتهم».

(756) في الأصل: «في تلك..».

(757) النور: 24/ 40، في الأصل لا يكاد يراها.

(758) الزمر: 39/ 6.

(759) النور: 24/ 40.

واختلاف صورها وتغيير أشكالها وبدائع أسمائها وسكانها في المعادن من الأرض والجبال وغيرها من[760] الهواء والثلج والرياح والآجام، وهي عدد كثير لا يحصى ولا يحاط به، فهذه ظلمات اللّجيّ».

199 ـ «و[أما] الظّلمات الثلاث فهي الرّسخ، الذهب والفضّة والحديد والنّحاس والرصاص، فإنّها بجنس واحدٍ؛ وإنّما علا الذهب على الفضّة لعظم منزلته على كون ما هو رسخ لأنّ الذهب يفضّل على الفضة في كلّ ما يأتي [...][761]؛ وكذلك الفضة صارت دون رتبة[762] الذهب لأنها دونه/ في المنزلة التي كانا عليها من الجحود؛ وكان شخص الفضّة منهما[763] [تابعاً] لشخص الذهب ومقتفياً لأثره، وآخذاً عنه ومصغياً إلى قوله، قابلاً منه، وتحت طاعته، ومستعداً له في الأمور، فلذلك حين صارا[764] في هذين الرّسخين، صار الذهب عالياً على الفضّة يُباع ويُشترى، فيكون الواحد منه بأضعاف كثيرة، وتبدّل الفضّة في البيع والشّراء والأخذ والعطاء، فهي بدٌّ [عند] سائر العالم من صغير وكبير، يباع بها سائر الحطامات التي تعود إلى الحشيش[765]، وسائر القاذورات وغيرها من اللّباس والطيب وغيره، وذلك بمعنى ما كان متابعاً لأمر شخص الذهب ومصغياً ومُمتثلاً، ويعلو الذهب على الفضّة في[766] الحلي والأواني وغيرهما[767]». [175/ب]

---

(760) في الأصل: «في الهوى».

(761) في الأصل: «بياض».

(762) في الأصل: «في دون رتبة».

(763) في الأصل: «منها».

(764) في الأصل: «صار».

(765) في الأصل: «الاحشاش».

(766) في الأصل: «فيه من الحلي».

(767) في الأصل: «غيره».

200 ـ «و[أمّا] النّحاس والشَّبه[768]، فهما مشاكلان الذهب وهما أشياعه وتباعه الذين كانوا أهل نصرته وأخذوا قصده، وسلكوا مسلكه، فرسخوا في مجانسة جوهره إلاّ أن[769] بينهما فرقاً: إنّ هؤلاء تابعون وذلك متبوعٌ؛ وكذلك الرّصاص رسخ في معنى الفضَّة، لأنهم[770] تباع لذلك الشخص وأهل مودّته وهواه. وكان الميل منهم إليه خلاف ميلهم إلى شخص الذّهب، فحلّوا في جوهره وكونه فهم كذلك في كون واحد وحدوث؛ فهذه ظلمة من الثلاث/ التي ذكرها الله تعالى فقال: ﴿ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍۚ﴾[771] لأن الذهب بشخص الثاني الشيطان الرَّجيم لعنه الله[772]، [و]لأنَّ منه يباع بأضعاف من الفضّة. ذلك أنَّ الأوّل والثالث كانا[773] تبعين لأمر الثاني، وتحت أمره وطاعته، وكذلك الفضّة [فهي] بشخص الأول لأنّ الواحد من الفضّة يباع بأضعاف من الحديد [و]لأنَّ الحديد بشخص الثالث؛ وقد كان الثالث تبعاً للأوَّل، وتحت أمره، ومطيعاً له في ما يأتي به الثّاني، ألا ترى ظلمة الحديد وشدّته في كونه.

[أ/]

201 ـ وأمّا النحاس فهو أشخاص التابعين لهؤلاء الثلاثة وكذلك الرّصاص والحجارة وما يشاكلهما، فهؤلاء من الثاني وإليه، وهو أصلهم، وأثبتهم في كلّ كون وحدوث. فهذه ظلمات ثلاث.

---

(768) الشّبه: النحاس الأصفر، لأنه يشبه الذهب.

(769) في الأصل: «لأن بينهما فرقاً».

(770) يعود الضمير على رسخ الرصاص، وهم الرسوخيّات والمعنى أن الذين يشكلون في هيئة الرصاص يشبهون عنصر الفضّة لأنهم كانوا تابعين له وشخص الفضة أبو بكر.

(771) الزّمر: 39/ 6.

(772) يستهل المصنّف بهذه العبارة تأويله لأصناف التركيب من مسخ وفسخ ورسخ وغيرها... فالمقصود بشخص الذهب وهو الثاني*، عمر بن الخطاب، وبالشخص الأول، وهو شخص الفضّة أبو بكر. وبالثالث، وهو شخص الحديد عثمان بن عفّان، أما التبعيّة، فبالتبعية والنصرة.

* في الأصل: «الأوّل».

(773) في الأصل: «كان تبع».

فأمّا الحديد، وذلك أنّه فيه يُبس وقساوة وغلظة، فليس فيه من ليونة الذهب، وسلاسته، ولا من ثمن الفضّة أيضاً شيئاً، بل هو مظلم الجوهر لشدّة كون من هو شخصه في الطغيان، والكفر، وثباته[774] على الجحود والإنكار واقتدائه بما جرى على سبيل من تقدّمه من الشخص، وهو في شدّة ظلمته، ولا يخرج ممّا هو فيه بل يتّخذ للقتل والتلف كلّ من أصغى إليه وقبل منه و[أقبل] عليه. و[كذلك] آنية وآلة يُصنع بها سائر الأشياء من النجارة/ والخرز والحرث [و]الخياطة والحفر[775] وغيرها[776] ممّا تجري به آلة الحديد، وكذلك كان [الأمر] في بدء الحرث[777] وكونه في البشريّة. [176/ب]

202 ـ والثالثة من الظلمات الثّلاث [تكون] في الحجارة وتوهين ما لَمّ[778] بها من الجسم، وإن أصابت هي شيئاً لَمّته[779] وليس منها يقع، غير أنّ اللّم يشيّد بها أو يردُم بها؛ وإنّ منها ما يُصنع منه أحوال يُستعان بها على آلات البناء وغيره؛ فمن ذلك النّورة[780] والجصّ والاسفيداج[781]، وما شاكل ذلك؛ وهي بمعنى الشّخص الذي كان من جوهرها، والحديد يليها وهو مثلها؛ ثمّ النّار. وقد قال الله تعالى: ﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[782]؛ فأوجد أنّ فوق الحجارة ما هو أشدّ منها،

(774) في الأصل: «إثباته».
(775) زيدت في الهامش.
(776) في الأصل: «غيره».
(777) في الأصل: والحرث.
(778) في الأصل: «لم».
(779) راجع المصدر السابق.
(780) النّورة من الحجر: الذي يُحرق ويسوّى منه الكلس.
(781) الاسفيداج: الحفر والباروق، وهو كربونات الرصاص الطبيعي. (المعجم الحديث)؛ ولا يناسب هذا السياق ما جاء في دوزي.
(782) البقرة: 2/ 74.

وكذلك هو الحديد، وهو الذي يأتي على الحجارة. وأمّا الحجر فهو نوع من أنواع الحديد، وهو مكوّن من جوهره. فهذا بيان شرح ما ختم به حين قال [تعالى]: ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾[783].

203 ـ وقد فسّرتُ لك في الشّرح أنّ هذه الظلمات أشخاص في البشريّة، قبل نزولها إلى الرسوخية، وتلف كلّ من أصغى إليها وقبل منها، فالذهب هو الثاني، الضدّ الملعون [و]الشيطان الرّجيم [و] أصل الطغيان والكفر. والفضّة هو/ تبع الأوّل، لأنّ الأوّل كان تبعاً للثاني، [/أ] مطيعاً له لأنّه بابه، والثالث تبع للأوّل والثاني، فهو أظلم منهما في كونه وكدره، وبنو أميّة هم أتباع الثالث لأنّهم من جنسه وقومه. وبنو العبّاس هم أشخاص الرصاص، وهم ألعن الجميع. والنحاس أشخاص التابعين لبني أميّة وبني العبّاس مثل مالك[784] وأبي الهذيل العلاّف[785] والشّافعي[786]، وأبي حنيفة[787] ومن كان أمثالهم لأنّ الذّهب شخص

(783) الإسراء: 17/ 50 ـ 51.

(784) مالك، هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي الفقيه المحدّث، شيخ مدرسة المدينة. ولد سنة 95هـ. وتوفي سنة 179هـ. راجع ترجمته في حلية الأولياء، VI/ 316 ـ 355 (عدد الترجمة 386)، «ترتيب المدارك»: 1/ 102 ـ 253، تذكرة الحفاظ: 1/ 207، تهذيب التهذيب: X/ 5.

(785) أبو الهذيل العلاف. هو محمد بن عبد الله بن مكحول العبدي. المتكلم، شيخ البصريين في الاعتزال. ولد سنة 131هـ (؟) وتوفي سنة 235هـ (؟) بسرّ من رأى. راجع مثلاً، طبقات المعتزلة: 44، لسان الميزان: V/ 413.

(786) محمد بن إدريس الشافعي الفقيه المحدث والأصولي. ولد سنة 150هـ بمدينة غزة وتوفّي سنة 204هـ. من أشهر ما روي عنه كتاب الأمّ ـ الرسالة، راجع مثلاً حلية الأولياء XI/ 63 ـ 161 (عدد الترجمة 415)، طبقات السبكي ـ الجزء الأوّل: ترتيب المدارك: 1/ 382 ـ 396.

(787) أبو حنيفة النّعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه الفقيه. عالم الكوفة وفقيه العراق. ورأس أهل الرأي. ولد سنة 80هـ (؟) وتوفّي سنة 150هـ (؟) راجع مثلاً الطبقات VI/ 256، الطبقات السنية في تراجم الحنفية 1/ 90 ـ 195.

الثاني ع ل ن ه[788] وهو الضدّ الملعون .[و]الشيطان الرّجيم الذي كان بدء الأوّل وأهله لمّا أهله، فكان الثاني مطاوعاً له[789] في جميع أموره وملبياً لدعوته، وخائفاً من صولته، فعلم أنّه يتّهم به وقد سمّاه الأوّل فقال[790]: «ولي شيطان يعتريني «وهو بينكم»، فإذا ملت فقوّموني»[791]. فجميع ما كان فهو دون الذهب، كما كان جميع من كان وقته دونه.

204 ـ و[أمّا] الفضّة فهو شخص بابه الأوّل الذي تابع أمره في جميع أموره، وكان رأيه يأخذ برأيه فسار[792] بمثل ذلك، وعلى ذلك حتى يتمّ الأجل المعلوم، والحديد هو «بشخص» الثالث «وهو أظلم الظلمات الثلاث، وهو الذي راود الثاني» والذي غلب وتغلّب «على الخلافة وغسل المصاحف» فآزره وعاضده، وكتب له صحيفة ألاّ يوطن[793] أهل البيت وألاّ يأنس إليهم، وجند الجنود، واستعمل الآلات، وأقام الرتب وقصد إلى موادي[794] أمير المؤمنين كما وصف، وهو الثالث الملعون.

---

(788) هكذا رسمت وتعني «عليه لعنة الله».

(789) في الأصل: «مطاوعه».

(790) ستعتمد في تحقيق الفقرات اللاحقة النص المكرّر سهواً، وسنشير إلى العبارات المأخوذة منه بالعلامات التالية تنصيصاً ( ) راجع النص المكرّر كما حقّقناه في الهامش عدد 115 لاحقاً.

(791) أصل الحديث المنسوب إلى أبي بكر ما أخرجه أبو سعد عن الحسن البصري، قال: لما بويع أبو بكر قام خطيباً فقال: أمّا بعد فإنّي وليتُ هذا الأمر وأنا له كارهُ ووالله وددتُ أن بعضكم كفانيه: ألا وإنكم إن كلّفتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل النبي (ع) لم أقم به. كان النبي عبداً أكرمه الله بالوحي وعصمه به، ألا إنما أنا بشر، ولستُ بخير من أحدكم، فراعوني، واعلموا أنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم.. رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة»: 260 ـ 261، راجع كذلك الطبري II/ 440.

(792) في الأصل: «فصار».

(793) في الأصل: «يوطنون».

(794) المودي: الأسد.

205 ـ وقد حُدِّثتُ أنّه قال في نفس أبي ذر[795] شيئاً فنفاه «وآوى مروان بن الحكم[796] إلى المدينة [وهو] الذي نفاه الرسول وبني أميّة وأتباعه في ذلك». فلقد كذب على رسول الله، ثمّ إنه منع عطاء المؤمنين [١/ب] والمسلمين/ وجعل يُسرف في عطائه بني أمية والخدم وغير ذلك، فكانت عاقبة أمره خسراً فقد خسر عمله ونال حتفه. «والرّصاص أشخاص بني العبّاس المتلبّسين بالخلافة المسمون بإمرة المؤمنين. والنّحاس هو أشخاص الفقهاء الذين نصبوا أنفسهم لضلالة من اتّبعهم، فصدّوا العالم عن أهل البيت، وأوردوا من الكذب ما [به] رغّبوا الناس في الأوّل، والثاني، والثالث، وبني أميّة، وبني العبّاس».

206 ـ وأمّا الحجارة، فهي على ما وصفت لك، شيخ ملعون رجيم هو السامري[797] ل ع ن ه الله[798]. وإنما حلّ هؤلاء وتسمّوْا بأمير المؤمنين[799]

(795) أبو ذر الغفاري المشهور من اسمه جندب بن جنادة من غفار ـ أحد كبار الصحابة وأوائل الداخلين في الإسلام. أدرك الخلافة الثالثة ـ نفاه عثمان إلى الربذة حيث توفي سنة 31 هـ. وذلك من مآخذ الشيعة على عثمان، راجع الطبقات IV/ 1؛ 161 ـ 175.

(796) مروان بن الحكم أبي العاص بن أمية ابن عم عثمان، ولد بمكة في عهد النبي وتوفي الرسول وعمر مروان ثماني سنين، استكتبه عثمان لما ولي الخلافة وأقطعه فدك، وكتب له بخمس إفريقية وأذن للحكم في الإقامة بالمدينة بعد أن غربه الرسول وأهله إلى الطائف لشدة إيذائه للرسول وقد امتنع أبو بكر وعمر عن الاستجابة لعثمان في الإذن للحكم في دخول المدينة ائتساء بالرسول، فكان ذلك من أسباب نقمة الصحابة. والناس على عثمان ـ راجع أنساب الأشراف ـ القسم الرابع ـ 512؛ 515 ـ 516.

(797) السامري: شخصيّة قرآنية (طه: xx/ 85 ـ 97)؛ وهو فيما يروي الثعلبي عن السّدّي وقتادة أحد عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة خلّفه موسى وسائر قومه، واستخلف عليهم أخاه هارون قبل الذهاب إلى الجبل لميقات الله والتماس الألواح، فتنكّر السامري، وفتن القوم بعجل نصبه لهم فتحاماه موسى وأفرده ولعنه ـ قصص الأنبياء: 208 ـ 213.

(798) قارنه بما جاء في النّص المكرّر.

(799) راجع حول النقب: Max Van Berchem: Titres califiens d'occident in J.A Série X - vol: (1907) pp: 245/335; El 2 Amir al - Mu'minin.

في مقامات قاموا فيها كما[800] ادّعوا المعنويّة، وتسمّوا بالاسم[ية]: فلذلك رسخوا في هذه الظلمات، وفي الظّلمة شرحٌ ما يكبر على العالم، ويعجزون عن بلوغ نعته ووصفه: وذلك أنّ الظّلمة مقرونة بسائر الأشياء لأن الظاهر كلّه من الظلمة وممازج للباطن[801]./ فلو ذهب العالم إلى معرفة أحدهما [1/178] لما عرفه إلاّ بضدّه، الذي هو بخلافه، ولوْلا الظاهر لما عُرف الباطن؛ وكذلك لولا الباطن لما عُرف الظاهرُ، ولما[802] وجد، فأقرّ به لما أوجدك[803] إيّاه، فإذا عرفته غنيت به عن شرح كثير [لمسائلك] وأجوبة لها.

207 ـ ولولا الظاهر الذي هو الظلمة لما عرف الباطن الذي هو النور والقدرة، فلمّا ظهرت القدرة بالأشخاص والهياكل الطينيّة المظلمة، أقامت مع الضدّ الظلميّ في مقامات، فناصبها وأرى[804] أنّها مساوية له، وأنّها

(800) في الأصل: «كما مقامات».

(801) يظهر هنا اضطراب. فقد أعاد الناسخ بعض الجمل من الفقرات السابقة. وقد رغبنا في تحقيق النصّ المكرر، لأنه يمثّل في ظننا نسخة أخرى من المخطوط فحاولنا أن نفيد منها في تحقيق الفقرات السابقة.
النصّ المكرّر:
والفضّة شخص بابه الأول. وقال: «شيطان يعتريني وهو بينكم. وعن الحديد [فهو] بشخص الثالث. وهو أظلم الظلمات الثلاث. وهو الذي راود الثاني وعاضده وبايعه وكتب له الصحيفة بألاّ يطابقوا (أ) محمداً وآل بيته. وهو الذي غلب وتغلّب على الخلافة وغسل المصاحف ونفي أبا ذر وآوى مروان بن الحكم إلى المدينة. الذي كان نفاه الرسول وبني أميّة وأتباعه في ذلك. والرصاص أشخاص بني العباس المتلبّسين بالخلافة المسمّون بإمرة المؤمنين. والنحاس هو أشخاص الفقهاء الذين نصبوا أنفسهم لضلالة من اتّبعهم. فصدّوا العالم عن أهل البيت. وأوردوا من الكذب ما [به] رغبوا الناس في الأول والثاني والثالث/ وبني أمية وبني العباس، وأما الحجارة وجميع الرسوخ فهم أتباع لهم في المنزلة، واعلم أن الظلمة مقرونة بسائر الأشياء لأن الظاهر كلّه من الظلمة وهو ممازج للباطن. انتهى.

(802) في الأصل: «ولا وجد».

(803) في الأصل: «لما ما أوجدك».

(804) في الأصل: «أورة».

تقوم مقامه، وأرى[805] القادر أنه يطلب النصرة من الله يذْيا[806] ثمّ من العالم المنكوس، ومن الضدّ الذي أظهر الظلم، كما أرى أنه تحت ضعفهم حتّى أكمل فيهم معرفة وجود الظلمة، وحقّقها ومكّنها وبسطها[807]، وأنفذ أمرها حتّى [إذا] أكمل فيهم ذلك[808] أتت القدرة، وهي الباطن، على الظاهر/ فأهلكته، وهو عندهم ظهور البغي من الظلمة التي هي الضدّ. فلمّا غلبت القدرة على[809] الأضداد دحضتهم[810] فكانوا كمن لم يكن شيئاً؛ ودليل ذلك قوله سبحانه: ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾[811] ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ﴾[812]، فالحقّ القدرة، والباطل الضدُّ. ومثل ذلك ظهور فرعون وهامان[813] وقارون[814] والنمرود[815]

[1/ب]

(805) في الأصل: «أورى».

(806) من يدي الرجل: ضعف.

(807) في الأصل: «بسط لها» ثم صححت كما أثبتنا.

(808) في الأصل: «أكمل فيهم ذلك عند العالم. . .» ولا وجه له.

(809) في الأصل: «غلبت القدرة للأضداد».

(810) في الأصل: «دحضته».

(811) يونس: 10/ 82.

(812) الأنفال: 8/ 8.

(813) هامان هو وزير فرعون. ومقدّم القوم عنده. ثبت فرعون على الكفر والإنكار لما داخله أمر الإيمان برسالة موسى، وهوّن عليه معجزة الأفعى، وورد ذكر هامان في القرآن: القصص: 28/ 6 ـ 8 ـ 38؛ العنكبوت: 29/ 39؛ غافر: 40/ 24 ـ 36. راجع خبره في قصص الأنبياء، ص 184، البدء والتاريخ: 81 ـ 82.

(814) قارون: يروى أنه ابن عم موسى. قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب. كان من أعلم بني إسرائيل ـ فيما يُذكر ـ وأفضلهم بعد موسى وهارون. وعن قتادة أنه كان يُسمّى «المنوّر» لحُسنِ صورته. ولم يكن من بني إسرائيل أقرأ للتوراة منه. ولكنّه نافق كما نافق السامريّ كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل فأكثر فيهم الظلم وأصاب فيهم وفرة عظيمة. راجع خبره في القرآن: القصص: 28/ 76 ـ 77، العنكبوت: 29/ 39، غافر: 40/ 24؛ الطبري: 1/ 517 ـ 527، قصص الأنبياء: 213 ـ 217.

(815) النّمرود: هو ابن كنعان بن سنحاريب بن كورش بن حام بن نوح. وُلدَ إبراهيم الخليل في زمانه، ويذكر أنّه أوّل من وضع التاج على رأسه. فتن الناس وبغى وحملهم على عبادته. سارّه بعض كهنته بزوال ملكه على يد بعض غلمان قومه، فلم يعلم بولادة =

وعاد[816] وثمود[817]، وما كان من ظهور الضدّ من قبل ذلك وبعده إذ ادّعى الربوبية في أوقاته، فأجابوه واتّخذوه إلهاً؛ وكانت القدرة الباطنة قائمة بذاتها بالدعوة فأُريَ في كل مقام، ضعفاً، مثل التغريق في البحر وإحراقه بالنّار، ومثل الحبس والقتل والصّلب، وما يجري ذلك، فكان لذلك كلّه ظاهر وباطنٌ، يُميّز الظّاهر من الباطن.

208 ـ وكان اختبار العالم للباطن وجوهره[818] والفرق بينه وبين الظاهر حيث أتى بما لم يأت به الظاهر، وهو الضدّ من تغريق فرعون، وأخذ نمرود بالبليّة وهلاك عاد وثمود وغيرهما بالصيحة والرّيح والخسف والتّنكيل، فكان ذلك جزاء عن الأفعال[819] التي أجراها الضدّ إلى قِبَل المولى في المقام، وكان الفعل الأوّل بالضدّ واقعاً، وإنما وقع به الجزاء عليه لإظهار ذلك للعالم، واتّخاذه لهم [و]أنّه أوقع ذلك بالقدرة، وكان ذلك جزاءهُ.

= غلام إلاّ أصابه. وصرف الرّجال عن النساء. حتى كان أمر إبراهيم وهلاك نمرود ـ راجع مثلاً: قصص الأنبياء: 72 ـ 78 ـ 95 ـ 97، الطبري: 1/252 ـ 266؛ 319 ـ 325؛ البدء والتاريخ: 46 ـ 56.

(816) عاد: هو والد شديد وشدّاد، وإلى عاد يُنسب القوم عموماً، وقد طغى شديد وشدّاد ودانت لهما الملوك والأعيان. وأصابا حظوة عظيمة وسلطاناً فذّاً حتى إذا مات شديد وأصبح الأمر لأخيه وحده مكن فيه العتوّ. وعزم إحداث الجنّة التي حدّثت عنها الألواح والأسفار. عناداً للربّ. فابتنى إرم ذات العماد. وهيّأ لها من الوجهاء وشرفاء الخلق من يعمّرها، فأخذته الصيحة ومن معه ولمّا يصلوها، وروى في «البدء والتاريخ» غير ما ذكر. راجع خبر عاد في ـ الطبري: 231 ـ 244؛ قصص الأنبياء: 143 ـ 149؛ البدء والتاريخ: 31 ـ 37، اليعقوبي: 1/22.

(817) ثمود بن عامر بنت إرم بن سام بن نوح. عمّروا الأرض بعد هلاك عاد. ذهبوا مذهب أسلافهم وأثقلوا الناس بعظيم الفتن، أرسل فيهم صالحاً يدعوهم إلى عبادة الله وكانت آيته الناقة فعقروها، فأخذتهم الصيحة والرياح العاتية. راجع خبر ثمود، الطبري: 130، اليعقوبي: 1/22، البدء والتاريخ: 37 ـ 41، البداية والنهاية: 1/130.

(818) في الأصل: وجوهرهم إياه.

(819) في الأصل: «من الأفعال».

[179/أ] 209 ـ واعلم، يا مُفضّل أنّ/ الظلمة مقارنة ومقاومة [للنور]؛ فمن ذلك الليل والنهار؛ وإقامة المولى تجري[820] مع الظهور بلا زوال ولا زيادة ولا نقصان منه، بل هو دائم بدوام الملك، لأنّ الظاهر والباطن هما قسمان على الدّهر كلّه: ظلمة ونور، ليل ونهار. يتزايد النهار في بعض السّنة وينقص الليل في وقت آخر من السنة، وينقص كون ذلك [ويزيد] بكون الظهور والتزايد فيه والغفلة والغيبة والتزايد فيها والقلّة. ثمّ يراجع الجميع إلى سويّة واحدة [فـ]يقوم نقصان هذا عند تزايد ذاك[821] وزيادة هذا عند نقصان ذاك[822] حتى يتساويا ويعْتدلا.

210 ـ وكذلك تظهر القدرة الدّعوة في زمان وحين، وتظهر دعوة الباطل في زمان آخر، وتخفى دعوة الحقّ، فمن ذلك ـ في زمان نوح ـ وهو الاسم ظهر[823] المعنى بمثل صورته على ما يرى العامة تسع مائة وخمسين سنة [و]في زمان غيره أقلّ من ذلك إلى حيث نحن، وكذلك يكون في أواخر القبّة، يُخفي مولاك شخصه عن المنكرين، ومن استحقّ من المقرّين؛ وذلك بما سلف لهم من الذّنوب.

[179/ب] 211 ـ وتظهر دعوة الباطل حيناً/ طويلاً مثلما كانت دعوة الحقّ في الأوّل ظاهرة بعهد آدم سبعمائة وخمسين سنة؛ ثمّ يظهر ظهور الحقّ والكشف حتّى يتساوى ظهور الحقّ والباطل فلو ذهب العالم إلى استيجاد[824] ذرّة في أحدهما زيادة أو نقصاناً لما وجدوا ذلك،

---

(820) في الأصل: «يجري».

(821) في الأصل: «هذا».

(822) راجع المصدر السابق.

(823) في الأصل: ثمّ ظهر، ولا وجه لحرف العطف إلاّ أن تقرأ الجملة على الوجه التالي، فمن ذلك /ظهر/ في زمان نوح، وهو الاسم، ثم ظهر المعنى بمثل صورته... ولا أصل لذلك.

(824) في الأصل: «وجود».

ولوجدوهما شيئاً واحداً، كما أنّ الليل [والنّهار] واحد لا زيادة فيهما ولا نقصان، يرُدّ اللّيلَ ما أخذه من النّهار، ثمّ يردّ النّهار ما أخذه من اللّيل.

212 ـ وكذلك الظهور والغيبة شيءٌ واحدٌ، يرُدّ الظاهر ما أخذه من الباطن في [كلّ] عصر وزمان، ثمّ يردُّ كذلك الظاهر على الباطن ما أخذه منه حتّى تصير الغيبة والظهور شيئاً واحداً، يتساويان ويعتدلان، وكذلك تجري فيه الصّعوبة على الأهل [من] أغلالٍ وآصارٍ في زيادته ونقصانه وحرّه وبرده فيصومون في أطول نهار[825] وأصعب يوم في السّنة وأحرّه: ويُصلّون ويجاهدون، فيمرُّ على الصّائم من شدّة الحرّ وطول النهار وسمومه فتنالهم شدّة عظيمةٌ.

213 ـ «وكذلك في زمانٍ آخر، يصومون في أقصر يوم في السّنة ويلحقهم من شدّة البرد والشدّة/ عند الوضوء حالٌ عظيم؛ وكذلك [180/أ] يلحقهم من الجهاد والصعوبة حال شديدٌ[826] ومثل ذلك في الحجّ، [يكون] مرّة في شدّة الحرّ وأخرى في شدّة البرد، فيهالهم من ذلك عذابٌ. وهذا، يا مُفضّل، صراطُ ربّك وعدله في ذاته وظهوره في الباطن والظاهر، وهو النّور والظّلمة، فإذا بان[827] لك هذا وانكشف وجدْته في خلقه، خاصّهم وعامّهم، وقد أوْجدْتُكَ إيّاهُ».

214 ـ يا مُفضّل، إنّ ظهوره في مقام نوح ألف سنة أو أقل أو[828] أكثر، وفي ظهور إبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد إقامة الظّاهر، ألف سنة أو[829] أقلّ أو[830] أكثر، ثمّ في المقامات الإماميّة إلى حيث أنت به

(825) في الأصل: «أطول النهار».
(826) في الأصل: «في حالٍ شديدٍ».
(827) في الأصل: «أبان».
(828) في الأصل: «و».
(829) راجع المصدر السابق.
(830) راجع المصدر السابق.

تعاينه، ثمّ من بعد ذلك حتى تكون غَيْبَتُهُ البلاغ؛ ويُقيم الظاهر للكشف[831]، ويكون من بعد ذلك ما كان جارياً في مُلك مولاك، لا نفاد له ولا نقصان، فلا يغرّنك، يا مفضّل ما نعته [به] ممّن نعته[832] لكم: فهم كما قال الله تعالى: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾[833] «وأوزاراً مع أوزارهم»[834]. وذلك أنهم قد ضلّوا بضلالهم، وأنّهم لم يُرضهم/ ذلك حتى أضلّوا بضلالهم العالم الخبيث. [/ب]

215 ـ وقال جلّ جلاله مخبراً عن قولهم: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[835]. وهما من الجنّ، الثاني شُكّل، لأنّه الجاني[836] للمعصية والفاعل لها؛ ومن الإنس، الأوّل رُكّب. وهما شخصا الذّهب والفضّة، ثمّ خبّر عنهم بقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[837]. والسّادة والكبراء إشارة[838] إلى الذهب والفضة، وهما أصل كل ضلالة وطغيان، وهما الأوّل والثاني وقد بيّنتهما لك يا مُفضّل، فاعرف نعمة ربّك من هذا الشرح؛ فقد أجبتك عن السؤال ما أردت أن تسأل عنه، وهو صراط ربّك، فتمسّك به، فهو يُغنيك عن سؤال غيرك.

216 ـ «وقد وسّعتُ عليك في الجواب، فادّخره لتكون سراجاً[839] تستضيء به ونُوراً تهتدي به[840] إلى العارفين وألْقه إليهم وأمُرهم بكتمانه،

---

(831) في الأصل: «إلى الكشف».

(832) جاء في الأصل على الهامش دون إشارة إلى أي موضع من المتن، مما تسمعه ووصفته من نعته، وقد يكون تصحيحاً. وفضلنا الإبقاء على الأصل.

(833) الأنعام: 6/ 31.

(834) استشهاد بالمعنى راجع النحل: 16/ 25.

(835) فصّلت: 41/ 29.

(836) جاءت العبارة بين السطرين استدراكاً.

(837) الأحزاب: 33/ 67.

(838) في الأصل: «ولا ثاروا».

(839) في الأصل: «صراط ثم كتب فوقها بالخطّ الدقيق ـ سراج».

(840) جاء في الهامش دون إشارة إلى أي موضع من المتن؛ ونور تمشي به.

[181/أ] والعمل به والصّبر على الحقّ والاجتهاد في الزّيادة منه والخروج عن/ المكاره وقبول الحقيقة وترك النفور في أداء الحقوق، فطوبى لمن أخذ منه وأدّاهُ، وهو في أمْنه في البشرية. قبل عدمه بالذُّل وأليم العذاب، فخُذْ ما آمنْتُ به عليك وقُمْ(841) بواجبه، وكُنْ لمولاك من الشّاكرين، وعلى إنْعامه من الحامدين، وعلى معرفة(842) الباطن من الحقائق من التّابعين، وصلّ [على] حجابه محمد الصّالح وسلّم تسليماً.

وتمّ كتاب الصّراط، أوّلاً وآخراً، والحمد لله وحده على كل حال [181/ب] وحسبُنا الله، ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النّصير(843)... /

(841) في الأصل: «أقيم بواجبه».
(842) في الأصل: معرفته.
(843) يلي هذا ذكر لاسم الناسخ وهو يوسف بن الشيخ غريب (؟). سنة النسخ هي سنة 1206هـ. ومكانه وهو قرية القليعة من نواحي صافيتا وإشارة إلى النسخ الخمس التي اعتمدها الناسخ، جاء ذلك كله في 181/ب و182/أ.

قائمة في المصادر

أولاً: المخطوطة

1 ـ الإمام جعفر الصادق. (ت. 148هـ/ 765م)

شرح الإمام وما يجب عليه، مخطوطة باريس عدد. عربي 1450.

2 ـ الخصيبي، الحسين بن حمدان (ت. 357هـ؟/ 968م؟).

الديوان الشامي، مخطوطة مانشستر عدد. عربي 452.

ثانياً: المطبوعة

3 ـ الأربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت. 392 ـ 3هـ/ 1001 ـ 2م).

كشف الغمّة في معرفة الأئمة. نشر مكتبة بني هاشم، تبريز قم 1381هـ/ 1961م 3 أجزاء.

4 ـ الأردبيلي، محمد علي (ت. 993هـ؟/ 1585م؟).

جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد، قم [د. ت] مجلّدان.

5 ـ الأزرقي، محمّد بن عبد الله (ت. 244هـ/ 858م).

أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس ط2 مكة، 1385هـ/ 1965؛ وكذلك تحقيق فرديناند فوستنفالد (Ferdinand Wüstenfeld). ليبزيج [1857م/ 1274هـ].

6 ـ الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت. 772هـ/ 1370م)
طبقات الشافعية. تحقيق عبد الله الجبوري. دار العلوم، الرياض [1981م/ 1401هـ]. جزءان.

7 ـ الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت. 430هـ/ 1038م).
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. القاهرة 1932 ـ 1938م/ [1351 ـ 1357هـ]. 10 أجزاء.

8 ـ الأصفهاني، علي بن الحسين (ت. 356هـ/ 967م).
مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة 1949م/ [1369هـ].

9 ـ الأمين، السيد محسن (ت. 1372هـ/ 1952م).
أعيان الشيعة، بيروت 1960م/ [1380هـ]. 56 جزءاً.

10 ـ البلاذري. أحمد بن يحيى (ت. 279هـ/ 892م).
أنساب الأشراف. القسم الرابع: بنو عبد شمس؛ معاوية، زياد، يزيد، عثمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت. فرانتس شتاينر. فيسبادن، 1400هـ/ 1979م.

11 ـ **فتوح البلدان**، تحقيق عبد الله عمر الطبّاع، بيروت. دار النشر للجامعيين 1957م/ 1377هـ.

12 ـ البلخي، المطهر بن طاهر المقدسي (ت. بعد 356هـ/ بعد 966م)
البدء والتاريخ. تحقيق وترجمة ك. هويار (C. Huart) باريس 1903م/ 1321هـ. الجزء الثالث.

13 ـ الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت. 427هـ/ 1053م).
قصص الأنبياء المسمّى بعرائس المجالس. القاهرة 1954م/ [1374هـ].

14 ـ الجاحظ، عمرو بن بحر (ت. نحو 255هـ/ نحو 868م).
الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون. ط1، القاهرة 1945م/ [1365هـ].

15 ـ ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت. 592هـ/ 1201م).
تنقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير. القاهرة، 1975م/ 1395هـ.
16 ـ الجوهري. إسماعيل (ت. 396هـ/ 1005م).
الصحاح في اللغة والعلوم، تجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية، تقديم مرعشلي، ط1 بيروت، 1974م/ [1394هـ].
17 ـ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (ت. 852هـ/ 1448م؟)
الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، 1939م/ [1358هـ].
تهذيب التهذيب. ط2. بيروت 1993م/ 1414هـ).
18 ـ ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت. 655هـ؟/ 1257م؟).
شرح نهج البلاغة. تحقيق الشيخ حسن تميم. مكتبة الحياة، بيروت 1963م/ [1383هـ]. 3 مجلّدات.
19 ـ الخصيبي، الحسن بن حمدان (ت. 357هـ؟/ 967م؟).
الهداية الكبرى. مخطوطة مطبوعة دون ترقيم للصفحات، مكتبة مرعشي. قم/ [د.ت].
20 ـ الدميري. كمال الدين محمد بن موسى (ت. 808هـ/ 1405م)
حياة الحيوان الكبرى. [د.م.]/ [د.ت]/ جزءان.
21 ـ الذهبي، شمس الدين محمد (ت. 749هـ/ 1348م)
تذكرة الحفاظ، ط2. حيدر آباد. 1333هـ/ [1914م]. 4 أجزاء.
22 ـ السبكي. تاج الدين عبد الوهاب بن علي الكافي (ت. 771هـ/ 1310م).
طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو. ط1. القاهرة 1964م/ [1384هـ]، 4 أجزاء.

23 ـ ابن سيّد الناس. محمد بن محمد (تَ. 735هـ/ 1334م).

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسّير، ط2. بيروت، دار الجيل، 1974م/ [1394هـ]. جزءان.

24 ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان (ت. 911هـ/ 1505م).

طبقات الحفّاظ، تحقيق محمد عمر، ط1. القاهرة [1973م/ 1393هـ].

تاريخ الخلفاء. بيروت. 1970م/ [1390هـ].

25 ـ الشعراني. عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري (ت. 973هـ/ 1565م).

الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات السادة الأخيار. ط1 القاهرة 1954م/ [1373هـ].

26 ـ ابن شهراشوب، محمد بن علي (ت. 588هـ/ 1192م).

مناقب آل أبي طالب. تحقيق لجنة من النجف، [النجف] 1956م/ [1376هـ].

27 ـ الشيرازي. إبراهيم (ت. 476هـ/ 1083م).

طبقات الفقهاء، ويليه طبقات الشافعية لأبي بكر ابن هداية الله الحسيني الملقّب بالمصنف. بغداد 1356هـ/ [1937م].

28 ـ الضبي. المفضل بن محمد (ت. 171هـ؟/ 786م؟).

أمثال العرب. تقديم وتعليق إحسان عباس. بيروت. دار الرائد 1981م/ [1401هـ].

29 ـ الطبراني. ميمون بن القاسم (ت. 426هـ/ 1034).

مجموع الأعياد. تحقيق شطروطمان في Der Islam، المجلد 27 ـ 2 (1943 ـ 1944) ص 111.

30 ـ الطبري، محمد بن جرير (ت. 310هـ/ 923م).

تاريخ الرسل والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة. دار

المعارف 1963م/ [1383هـ].

31 ـ الطبرسي. أحمد بن علي أبي طالب (548هـ/ 1153م).

الاحتجاج. النجف 1966م/[1386هـ] جزءان.

32 ـ الطوسي. محمد بن الحسن بن علي (ت. 460هـ/ 1067م).

الغيبة. تهران./ د. ت.

33 ـ العبّادي. محمد بن أحمد (ت. 458هـ/ 1066م).

طبقات الفقهاء الشافعية. تحقيق Gösta Viteslam ليدن 1964م/[1384هـ].

34 ـ عبد الباقي، محمد فؤاد.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة 1364هـ/ [1944م].

35 ـ ابن عبد البرّ. يوسف بن عبد الله القرطبي (ت. 463هـ/ 1071م).

الاستيعاب في معرفة الأصحاب. بهامش الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني. القاهرة 1939م/[1358هـ] 4 أجزاء.

36 ـ ابن قتيبة. عبد الله بن مسلم (ت. 276هـ/ 889م).

الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء. تحقيق طه محمد الزيني، القاهرة 1967م/ [1387هـ].

المعارف. تحقيق ثروت عكاشة. [القاهرة] 1960م/[1380هـ].

37 ـ القهبائي. عناية الله بن شرف الدين علي (ت. ق11,هـ/ 17م).

مجمع الرجال. تهران. [د. ت.]

38 ـ ابن كثير، اسماعيل (ت. 774هـ/ 1372م).

البداية والنهاية. بيروت. مكتبة المعارف 1966م/ [1386هـ].

39 ـ الكشّي، محمد بن عمر (ت. ق. 4هـ/ 10م).

رجال الكشّي. قدّم له وعلّق عليه ووضع فهارسه: السيّد أحمد الحُسيني كربلاء [د. ت.]

40ـ الكليني. محمد (ت. 329هـ/ 941م).
أصول كافي. طهران 1375هـ/ [1955م].

41 ـ الكنجي، محمد بن يوسف بن محمد القرشي.
كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب؛ ويليه البيان في أخبار صاحب الزمان. تحقيق محمد الهادي الأميني، النجف 1974م/ [1394هـ].

42 ـ المامقاني. عبد الله (ت. 1323هـ/ 1905م).
تنقيح المقال في أصول الرجال. النجف 1350هـ/ [1931م].

43 ـ المجلسي. محمد باقر (ت. 1111هـ؟/ 1699م؟).
بحار الأنوار، الجامعة لدُرر أخبار الأئمة الأطهار، ط3. بيروت. 1983م/ [1403هـ].

44 ـ المسعودي، علي (ت. 346هـ/ 957م).
مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق يوسف أسعد داغر. ط1. بيروت 1965م/ [1385هـ].

45 ـ المفضّل بن عمر الجعفي. (ت. 180هـ/ 796م).
كتاب الهفت الشريف. تحقيق مصطفى غالب، بيروت. دار الأندلس [د. ت].

46 ـ المفيد. الشيخ الإمام محمد بن محمد بن النعمان (ت. 413هـ/ 1022م).
الإرشاد. النجف. 1381هـ/ [1962م].

47 ـ النوري. حسين بن محمد تقي الطبرسي (ت. 1320هـ/ 1902م).
نفس الرحمان. طبعة حجرية. طهران 1285هـ/ [1868م].

48 ـ ابن هشام. عبد الملك (ت. 213هـ/ 828م).
السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي.

القاهرة 1936م/ [1355هـ].

49 ـ ياقوت الحموي. (ت. 627هـ/ 1229م).

معجم البلدان. بيروت. 1955م/ [1375هـ].

50 ـ اليعقوبي. أحمد بن أبي يعقوب. (ت. بعد 293هـ/ بعد 905م).

تاريخ اليعقوبي. بيروت. 1960م/ [1380هـ].

الفهارس العامة

1 ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة

1 ـ سورة الفاتحة

2 ـ سورة البقرة

3 ـ سورة آل عمران

4 - سورة النساء

5 - سورة المائدة

6 - سورة الأنعام

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ . 117

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ 205

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ 192

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ 132

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ 151

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ .... 117، 118

7 ـ سورة الأعراف

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ . 152

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ 67

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ 151

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ 185

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ 176

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ 116

8 ـ سورة الأنفال

9 ـ سورة التوبة

10 ـ سورة يونس

11 ـ سورة هود

12 ـ سورة يوسف

13 ـ سورة الرعد

14 ـ سورة إبراهيم

15 ـ سورة الحجر

16 ـ سورة النحل

17 ـ سورة الإسراء

18 ـ سورة الكهف

19 ـ سورة مريم

20 ـ سورة طه

21 ـ سورة الأنبياء

22 ـ سورة الحج

23 ـ سورة المؤمنون

24 ـ سورة النور

25 ـ سورة الفرقان

26 ـ سورة الشعراء

27 ـ سورة النمل

28 ـ سورة القصص

31 ـ سورة لقمان

32 ـ سورة السجدة

33 ـ سورة الأحزاب

34 ـ سورة سبأ

35 ـ سورة فاطر

36 ـ سورة يس

37 ـ سورة الصافات

39 ـ سورة الزمر

42 ـ سورة الشورى

43 ـ سورة الزخرف

45 ـ سورة الجاثية

50 ـ سورة ق

51 ـ سورة الذاريات

57 ـ سورة الحديد

59 ـ سورة الحشر

62 ـ سورة الجمعة

64 ـ سورة التغابن

69 ـ سورة الحاقة

72 ـ سورة الجن

73 ـ سورة المزمل

78 ـ سورة النبإ

79 ـ سورة النازعات

83 ـ سورة المطففين

90 ـ سورة البلد

92 ـ سورة الليل

99 ـ سورة الزلزلة

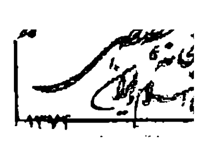
101 ـ سورة القارعة

112 سورة التوحيد

فهرس الأعلام

فهرس الأجناس والأقوام والملل

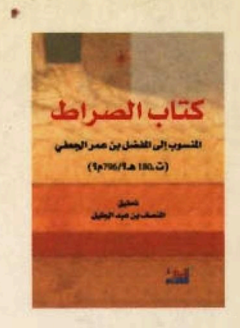
فهرس الحيوان



فهرس النبات

فهرس المصطلحات

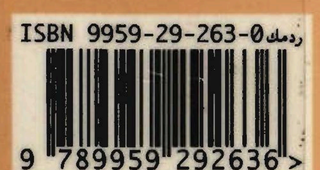
المحتويات



يمثل كتاب «الصراط» مجموعة من الأحاديث في التعريف بالصراط وعقابه، وبيان صفة خلاص المؤمن من أهل الإقرار، ومصير أهل الخلف والجحود.

وهي أحاديث رواها عن جعفر الصادق أحد المقرّبين منه (المفضّل بن عمر الجعفي).

ورغم أن الكتاب يمسّ العقائد النصيرية ويلقى الضوء عليها، إلاّ أنّه لم يحظ بدراسة مفردة - على أهميّته - وقد حُقّق هذا الكتاب على نسخة وحيدة تعدّ نصًّا فريدا نادراً، وقدّم له محققه بدراسة عرّفت بالمفضّل الجعفي وحلّلت متن المخطوطة، في عمل أكاديمي جاد يساهم في تبيان عقائد فرقة لا يزال يكتنفها الغموض الى الآن.


ردمك ISBN 9959-29-263-0
9 789959 292636 >

